

3 سلسله التراث الروحي للإنسان *



الدين المصري

خزعة الماجدي



الشرق



الدين المصري

الدين المصري

تأليف
خزعل الماجدي



رقم التصنيف: 932.0

المؤلف ومن هو في حكمه: خزعل الماجدي

عنوان الكتاب: الدين المصري

الموضوع الرئيسي 1- التاريخ والجغرافيا

2- تاريخ مصر القديم

رقم الإيداع: 1998 / 12 / 2095

بيانات النشر : عمان : دار الشروق

● تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

ردمك 3 - 040 - 00 - ISBN 9957

● الدين المصري.

● خزعل الماجدي .

● الطبعة العربية الأولى: الإصدار الأول 1999 .

● جميع الحقوق محفوظة © .



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف . 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065

ص.ب . 926463 الرمز البريدي : 11110 عمان - الأردن

■ التوزيع في فلسطين :

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله - المنارة - الشارع الرئيسي

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف ولرز الألوام :

الشروق للحماية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية

هاتف: 4618190/1 فاكس 4610065 / ص.ب. 926463 عمان (11110) الأردن

تاريخ الصدور: شباط / فبراير 1999

صورة الغلاف: نقش الملك لإخناتون والملكة نفرتيتي في تل العمارنة (1370-1369 ق.م).

إيقونة الكتاب : إله الشمس في أدفو (بحثي) .

إيقونة السلسلة * رمز الألفية في الألف الخامس ق.م.

الإهداء

إلى

روح أمي الطاهرة

ممنعةً هذا العالم بآلم وبهدهة

مقدمة

مع بدء العصور التاريخية ، في حدود منتصف الألف الرابع قبل الميلاد ، كان الدينان السومري والمصري يشكلان أعظم جذرين راسخين في الحياة الروحية لإنسان العالم القديم . وكان الدين المصري يتشكل بخصوصية نادرة ويشهد معه كل خصوصية مصر وشعبها العريق الذي ظهرت حضارته العظيمة مبكرة ، وكان هيكله المثلوجي واللاهوتي والطقوسي يعكس نمطاً جديداً من التصور الروحي الذي كان له أعمق الأثر في أديان تلك العصور .

وإذا كنّا قد اخترنا الدين المصري محطةً ثالثة في سلسلة التراث الروحي للإنسان ، فذلك لاعتقادنا أن هذا الدين يشكل الجذر الأعرق في الحياة الروحية للإنسان ، بل ويمتاز على جميع الأديان القديمة بشباته الزمني النادر ، فقد امتدّ لأكثر من ثلاثة آلاف عام وهو يهضم في جهازه المركّب أخصب وأعقد التحولات الروحية التي كانت تطرأ على العالم القديم في حين كانت الأديان الأخرى تستبدل بغيرها ، أو تزول ، أما لأسباب حضارية أو لأسباب داخلية تمنعها من الاستمرار .

كان الدين المصري هو الأندر والأخصب والأعظم بين أديان العالم القديم قاطبةً ، ونرى أن أي كتاب ، مهما كان ، لا يمكنه تغطية الجوانب والطبقات الثرية لهذا الدين . وقد صدرت في العربية كتب كثيرة موضوعة و مترجمة عن الدين المصري كتبها علماء أفذاذ في علم المصريات (مصريون وأجانب) وانكبّ على ترجمة النصوص الروحية أجيال منهم ووفروا لنا فرصة نادرة لمعرفة هذا الدين وتاريخه وسبل تطوره وهياكله ونصوصه . . وأن أي متخصص لا يستطيع ضمّ هذا البحر العميق بين يديه أو التطلع الى جميع كنوزه وأغواره البعيدة ، ومن ثمّ كتابته .

وتأتي محاولتنا المتواضعة هذه في سياق عرضنا لأديان العالم القديم والتعرف على التطور الروحي للإنسان ، فحاولنا عرض وتحليل مكونات الدين المصري وفق منهج علمي يرى أن أيّ دين يتكون من مكونات أساسية هي (الأسطورة والمعتقد والطقس) ومكونات ثانوية هي (الأخلاق والشرائع) ولذلك قمنا ، بعد مقدمة في التاريخ السياسي والديني لمصر القديمة ، بتحليل وعرض الأساطير المصرية ورسمنا شجرة أنساب أللهتها الكبرى سعياً

لتنظيم دقيق لانحدارات ومآل تلك الآلهة ، ثم عرضنا أساطير تلك الآلهة على أساس أنها تنتمي لثلاثة محاور كبرى هي أساطير الخليقة وأساطير الإله رع وأساطير الإله أوزيريس .

وفي الفصل الثالث تناولنا خمسة جوانب أساسية من المعتقدات والأفكار الدينية التي ضمها اللاهوت المصري عبر تطوره الطويل فبحثنا في المؤسسة الدينية ومكوناتها ، وفي عقائد الربوبية وطبيعة الآلهة والفرعون والإنسان ، وفي التشريع اللاهوتي للإنسان ، وفي مدارس اللاهوت المصري الرسمية والشعبية ثم في عقائد ما بعد الموت التي تشكل العمود الفقري للدين المصري بأكمله فهو دين آخروي بالدرجة الأولى .

وفي الفصل الرابع بحثنا في الطقوس والشعائر المصرية القديمة وقسمناها إلى طقوس يومية ، وطقوس مناسبات وطقوس دورية (أعياد) ، وطقوس سرية تناولنا بعضاً منها خصوصاً تلك الطقوس المرتبطة بالعلوم السرية كالسحر والعرافة والتنجيم وتفسير الأحلام .

أما في الفصل الأخير فقد تناولنا الأخلاق والشرائع التي رأينا أن جوهرها الديني يكمن في مفهوم الـ (ماعت) الذي حللناه تفصيلاً ثم بحثنا في حقول الحكمة والتشريع والفقه في مصر القديمة .

وبذلك نكون قد عاجلنا جميع جوانب الدين المصري ، وبقينا أن قد فاتنا الكثير من تفاصيل هذه الجوانب ولكن عزاءنا يبقى في ما قدمه قبلنا الأساتذة المصريون الكبار في هذا الحقل وما طوّعه لنا علماء المصريات الأجانب الذين كان لهم فضل السبق والتمحيص والتحليل العلمي الدقيق .
واخيراً...

لا بد من تقديم الشكر لكل من قدموا لنا اقتباساً أو ترجمة والمثبتة جهودهم في الإشارة إلى مصادرهم .

وأملنا أن نكون قد وفقنا إلى معالجة متوازنة لأعرق وأعرق صفحات التاريخ الروحي القديم على الإطلاق .

خزعل الماجدي
(دكتوراه تاريخ قديم)
١٩٩٨/٤/٢٣

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

(تمهيد في التاريخ السياسي والديني لمصر القديمة)



«لا تمتنع أناساً من عبور النهر
إذا كان في قاربك مكان
خذ الأجر من الغني
ورحب بمن لا يملك شيئاً»

الحكيم المصري آمنمؤبي

العصر الحجري الحديث (النيوليت)

مرت مصر في عصور ما قبل التاريخ بالعصور الحجرية (القديمة والوسيلة والحديثة) ، وقد استغرق العصر الحجري الوسيط Mesolithic age حوالي ثلاثة آلاف سنة (٢٨٠٠٠ - ٢٥٠٠٠ ق م. وبدأ كما لو أنه كان متأخراً عن بلاد وادي الرافدين والشام ، وقد تبع ذلك تأخر ظهور العصر الحجري الحديث (٥٠٠٠ + ٣٨٠٠ ق م) حيث حلّ النيوليت Neolithic age في الألف الخامس قبل الميلاد ، ويبدو أن اكتشاف الزراعة قدم إلى مصر من الشام . ولكن هذا الحدث فجّر تطوراً هائلاً في مصر حيث استمر ازدياد عدد السكان بازدياد وسائل العيش ، وهي الزراعة وتدجين الحيوان ، دون أن تترك نشاطات الأجداد ، حيث استمر وجود آلات الصيد البري والبحري في المواقع وإلى جانب المناجل والمعازق . وأخيراً ابتدع الإنسان صناعة الفخار وصناعة النسيج . وتعد هذه الصناعات بدايات التطور الذي قاد مصر خطوة فخطوة من مجتمع الجماعات الصغيرة على سواحل بحيرة الفيوم وشواطئ نهر النيل وفي الواحات ، وهي نقلة من حياة مطاردة الحيوانات إلى ملكية مركزية عظمى قادرة على بناء الأهرامات (انظر بوتيرو/ فيركوتر ١٩٨٦: ٢٥٤) .

وتنتظم مرحلة عصر النيوليت الذي يقدر الآن بألف سنة (٤٥٠٠ - ٣٥٠٠ ق م. مجموعة من الثقافات النيوليتية شمال وجنوب مصر (جدول ١) .

فقد ظهرت في شمال مصر (الدلتا) ثلاث ثقافات نيوليتية هي الفيوم أ ، مرمدة بني سلامة ، العمري - حلوان ، أما في جنوب مصر (الصحراء) فقد سادت ثقافة دير تاسا طيلة عصر النيوليت .

جدول (١)

ثقافات العصر الحجري الحديث (النيوليت) في مصر

| شمال مصر (الدلتا) | جنوب مصر (الصحراء) |
|--|-----------------------|
| ١. الفيوم أ : حوالي ٤٥٠٠ ق. م ٢. مرملة بني سلامة : حوالي ٤٠٠٠ ق. م ٣. العمري - حلوان : حوالي ٣٥٠٠ ق. م | تاسا (٤٥٠٠-٣٥٠٠) ق. م |

وكانت الثقافات الشمالية أكثر انتظاماً وتواتراً في حياتها الاجتماعية والفنية والروحية ، فقد ظهر فيها نمط من البيوت وطرق الدفن وصناعة الفخار لم يظهر ما يرقى اليه من حضارات الجنوب . وكانت ثقافة تاسا الدالة على ثقافة الجنوب جزءاً من ثقافة شاملة عمت حوض النيل حتى الدلتا . وكان شاهدها الآخر قرب الخرطوم في موقع شاهيناب والتي تميز بنمط خاص من الفخار الذي ظهر مع صناعة الجرار الحمر المتموجة الجميلة .

العصر الحجري المعدني (الكالكوليت)

عصر ما قبل السلالات

يسمى العصر الحجري المعدني (الكالكوليت Chalcolithic) في مصر بعصر ما قبل السلالات Predynastic وهي تسمية دقيقة لأن ظهور استعمال المعادن في مصر لم يحدث تغييراً مفاجئاً فيها بل استمر ظهور ثقافات جديدة تعد استمراراً نوعياً لثقافات النيوليت .

ويقسم الآثاريون عصر ما قبل السلالات إلى أربع ثقافات متميزة هي (البداية ، المبكرة ، الوسطى ، المتأخرة) (جدول ٢) .

في المرحلة البدائية ظهرت في الشمال ثقافة الفيوم ب وفي الجنوب ثقافة البداي حيث بدأ استخدام المعادن وتطورت طرق الدفن وظهر ما يشير إلى وجود طقوس الدفن المرتبطة بالحيوانات .

وفي المرحلة المبكرة ظهرت في الشمال ثقافة الجزري (وطلائعها كانت تسمى ثقافة حلوان الثانية) أما في الجنوب فقط ظهرت ثقافة العماري .

وتميزت ثقافة العماري بشكل خاص بحسها الفني الرفيع وجودة منتجاتها الأثرية والفخارية بشكل خاص وظهرت صور الحيوانات المقربة للمصريين آنذاك كالأسماك والتماسيح وأفراس النهر . . وهي حيوانات مائية ربما شكلت منطلق عبادات محدودة ونوازع تقديس طوطمية حيث رسمت بعناية وظهرت معها رسومات الرقص والحركات الطقسية .

جدول (٢)

ثقافات الكالكوليت المصري (عصر ما قبل السلالات) حوالي (٣٥٠٠-٣٠٠٠) ق.م

| مراحل الثقافة | ثقافات الشمال | ثقافات الجنوب |
|-----------------|------------------------|-------------------|
| البداية المبكرة | الفيوم ب | البداري |
| الوسطى | الجزري (حلوان الثانية) | العماري (نقادة ١) |
| المتأخرة | الجزري | الجزري (نقادة ٢) |
| | المعادي | السميني (نقادة ٣) |

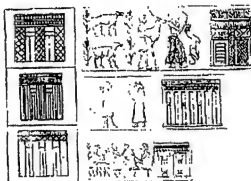
في المرحلة الوسطى من عصر ما قبل السلالات حصل تطور خطير وهام في تاريخ مصر القديم . فقد ظهرت دلائل قوية على حصول غزو أو هجرة أقوام آسيوية قدمت إلى مصر وأحدثت القفزة النوعية التي جعلت مصر تتسارع حضارياً وتبدأ بتشكيل حضارتها النوعية الأصيلة . ويرجع العلماء أن تكون هذه الهجرة أو الغزو من وادي الرافدين (العراق القديم) وأن ملامحها الحضارية تشير إلى أنها ذات طابع سومري وقد سلك القادمون الجدد إلى مصر أحد طريقين الأول من خلال فلسطين واللدنا (وهو الأرجح) والثاني عن طريق البحر الأحمر عبر وادي الحمامات وقفت .

ويسوق العالم جين فيركوتر Jean Vercoutter مجموعة من الأدلة التي تؤيد حصول هذه الهجرة أو هذا الغزو وهي : (انظر المرجع السابق : ٢٧٣) .

- ١ . ظهرت مع بداية عصر حضارة الجرزى مقابر في مصر تحتوي على جماجم ذات رؤوس طويلة (Dolichocephalic) وجماجم ذات رؤوس مستديرة -Brachycephalic ولا بد أن النوع الثاني هو بقايا جنس سلالة جديدة غازية .
- ٢ . إن مقبض العاج الجفوف لسكين صوانية من عصر ما قبل السلالات (مقبض سكينة جبل الأراك (العراق) EL - Arak يظهر أشياء (قوارب) ومشاهد (حيوانات متقابلة) وأشخاص (بشكل شخص ملتح ويلبس عمامة) هي من طراز وادي الرافدين (شكل ١) .
- ٣ . لا بد أن تكون الأبنية المشيدة بالآجر المجفف بالشمس في أواخر عصر ما قبل السلالات المتأخرة مستوحاة من النصب السومرية المعاصرة ، حيث استخدمت الأساليب البنائية والزخرفية نفسها (شكل ٢) .
- ٤ . إن ظهور الكتابة التي في مصر في نفس الوقت الذي ظهرت فيه في وادي الرافدين لا يمكن أن يفسر إلا أنه تقليد للكتابة السومرية التي كانت موجودة حينذاك ، حيث أن كلا النظامين (الكتابين) يعتمد الأسس نفسها ويتضمن عناصر من النوع نفسه .



(شكل ١)
مقبض سكينة
من جبل الأراك



شكل (٢)

اليمن: طبعات اختتام اسطوانية تظهر فيها بنايات سومرية
اليسار: بنايات مصرية من الأسرة الأولى

ويقدم هنري فرانكفورت أدلة أخرى على ظهور المؤثرات العراقية القديمة في عصر ما قبل السلالات مثل ظهور الاختتام الأسطوانية في مدافن جزرية والتي تحمل أشكالاً ونقوشاً رافدينية الطابع (شكل ٣) وكذلك منقوشات المقبض الذهبي للسكين التي عثر عليها في جبل الطريف في مصر (شكل ٤).

ومنقوشات صلاية صيد الأسود (شكل ٥) حيث نقشت صور الصيادين في صغين، يرتدون نقباً يتلصق من كل منها ذيل ثور، وعلى رؤوسهم شعر مستعار فيه ريشتان، وفي أيديهم الألوية والحراب والأقواس والسهام وتحمل هذه الصلاية إشارتين عذما العلماء دالة على بداية انتقال الكتابة من وادي الرافدين والتي قد تعني (معبد أكيرو) أي (معبد إله الأرض) (انظر فرانكفورت ١٩٥٩: ١٢٨-١٣٥).

وتقدم لنا القوارب المائية المنيقوشة على مقبض سكين جبل العراق (شكل ٦) دليلاً حاسماً على المؤثرات العراقية فهي مراكب متداخلة تشبه كثيراً المراكب السومرية المعروفة بنهايتها المرتفعتين أو بشكلها الهلالي .

ويرى فرانكفورت أن من الخطأ اعتبار مولد الحضارة المصرية نابعاً عن الإتصال بوادي الرافدين فقط ، لأن دلائل التطور والتغير التي كانت تتجمع حوالي نهاية ما قبل عهد الأسر كثيرة جداً . والظاهر أن نتيجة هذا التطور والتغير كانت مصرية قطعاً في طابعها العام وفي خصائصها ويرى انه اذا تمّ إغفال المؤثرات الرافدينية كلها فلا يمكن إغفال انتقال بدايات الكتابة من العراق الى مصر (انظر فرانكفورت ١٩٥٩ : ١٤٢) .

وقد وضع وادل قائمة بالأصل الصوري السومري للكتابة الهيروغليفية والتي نقلها المهاجرون السومريون من العراق (Waddell 1930: 161-163) جدول (٣) .

ومن المعروف آثارياً أن الكتابة السومرية في شكلها الصوري هي أول كتابة عرفها الإنسان وأنها ظهرت في حدود ٣٢٠٠ ق م .



(ب)

(ل)

شكل (٣)

اختتام اسطوانية : أ- عراقية ب- مصرية



شكل (٤)

سكين صوانية ذات مقبض مذهب من جبل الطريف



شكل (٥)









صلاية صيد الأسود























شكل (٦)











مراكب متداخلة تذكر بالمراكب السومرية









جدول (٣) يبين الأصل السومري
للكتابة الهيروغليفية المصرية / عن (Waddel 1930: 161-163)











| الكتابة الهيروغليفية المصرية | | | الكتابة الصورية السومرية | | | |
|-------------------------------|-----------------|---|--|---|---|--------------------|
| معناها | لفظها المصري | الصورة | معناها | لفظها السومري | الصورة | |
| يد ذراع | ع |  | يد أ، ع |  | يد، ذراع بردن | |
| جزيرة أرض محددة | إ، يا |  | أرض أ، ع |  | أرض، أرض مبنية | |
| مجمرة صورة المجمرة دخان | أخ |  | النار داخل المجمرة صورة المجمرة مؤطرة | أكا، أكا |  | مجمرة داخل غطاء |
| سديم نسر | عخا |  | طير الريح النسر القوة | أخ |  | نسر |

| الكتابة الهيروغليفية المصرية | | | الكتابة الصورية السومرية | | |
|---|-----------------|---|--|------------------|---|
| معناها | لفظها المصري | الصورة | معناها | لفظها السومري | الصورة |
| قتال يقاتل | أخا أحا |  | حرب قتل طيران | أخا إيخا |  |
| | | ذراع يحمل درعاً وفاساً | | | ذراع يحمل درع وفأس |
| كل ، كلي ، ملوكة صورة لحزمة من الخشب | أو أوي أل |  | كل ممثلي مجموعة من الخشب حزمة ، يعلق | آلا آلال |  |
| | | حزمة مربوطة من الخشب | | | حزمة مربوطة معلقة من خشب |
| لجمة | أنخ |  | لجمة | آن أش |  |
| | | لجمة | | | لجمة |
| محراث | آر هاب |  | حراث يحراث الأرض يكلس | آر أب |  |
| | | محراث | | | محراث مربوط |

| الكتابة الهيروغليفية المصرية | | | الكتابة الصورية السومرية | | |
|--|---------------|---|--|------------------|---|
| معناها | لفظها السومري | الصورة | معناها | لفظها السومري | الصورة |
| مقلع حبل | أير يار |  مقلع | حبل مستعجل مقلع يقذف | أير أر |  مقلع |
| بنائة لضريح | يس أس |  مقام أو ضريح | بيت | اش |  بيت |
| كرسي قاعة العرش | أس آست |  كرسي العرش | صاحب السمو الملك السيد | إشي |  عرش |
| جرة صخرية اسم الاله الذي خلق الطين اله اللحم والذرة والشراب | خام |  جرة صخرية | أناء اسم الأرض طين الاله اله النباتات | كان كان خا |  وعاء |
| وعاء آنية بضائع أثاث | كار |  a. b. c. | وعاء بضائع أثاث آنية جرة | جار كور |  |
| وعاء الشراب | غار |  وعاء | | |  وعاء |

| الكتابة الهيروغليفية المصرية | | | الكتابة الصورية السومرية | | |
|-----------------------------------|-----------------|--|--|------------------|---|
| معناها | لفظها المصري | الصورة | معناها | لفظها السومري | الصورة |
| قصب | ي ي |  قلم من القصب | قصب يقود | جي جن ين |  قصب |
| حائط بناية | ينب |  بناء من الطابوق | بيت من الطابوق | إن |  بيت من الطابوق |
| سيخ | زا لأزار |  سيخ | نار يحرق جمرة النار | إزي أسي |  كف محفورة بالنار |
| اليـد المرفوعة معرفة النفـس | كا |  يد مرفوعة | اليـد المرفوعة كن قويا يحمي يتفـذ | كات |  يد مرفوعة |
| سمك | خو |  سمك | سمك | خا كو كوا |  سمك |

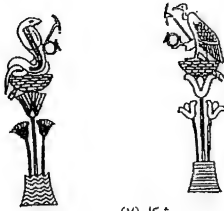
| الكتابة الهيروغليفية المصرية | | | الكتابة الصورية السومرية | | |
|--|-----------------|---|---|------------------|---|
| معناها | لفظها المصري | الصورة | معناها | لفظها السومري | الصورة |
| الاله اوزيريس الاله الأب في الديانة الشمسية | أسار أسير |  | الملك أو الاله أسار الملقب بابن الشمس | أسارو |  |
| صقر الشمس الكلمة تشير إلى حورس اله الشمس الملقب | باك |  صقر | طير الاله بل سيد الرياح | باك |  طير |
| الصدر | بان |  زوج من الأثداء | الطفل الرضيع | بان |  زوج من الأثداء |
| بيت | بار |  باحة منزل | بيت قصر معبد | بار |  منزل محصن |

| الكتابة الهيروغليفية المصرية | | | الكتابة الصورية السومرية | | |
|------------------------------|--------------|--|---------------------------|---------------|---|
| معناها | لفظها المصري | الصورة | معناها | لفظها السومري | الصورة |
| إلهة الخنصر | أوراز واز |  نبتة | إلهة الخنصر سيده الأرض | بوز |  نبتة |
| اليمنى | دا |  يد يمنى | يد (اليمنى) | دا تا |  يد يمنى |
| يضع مقعد مكان | دا |  حافة | يضع مكان يطلب مقعد | دا |  حافة |
| سكين حاد مدبب يقطع | داس |  سكين | خنجر ضربة الريح | دالك تالك |  خنجر |
| الحرارة المتوهجة | تا |  موقد لاهب | حرارة الحداد | دي داي |  فرن لاهب |

وفي المرحلة المتأخرة من عصر ما قبل السلالات تهيأت الأرضية الحضارية لنقلة نوعية قادمة ستجعل مصر ثاني أكبر بؤرة إشعاع حضاري في الأرض مع وادي الرافدين . وخلال هذه المرحلة حصلت تطورات سياسية ودينية كبيرة منها أن مدينة أمبوس (نوبت) في الجنوب صارت أقوى المدن المصرية هناك وكان يعبد فيها الإله (سيت Seth) وتحولت هذه المدينة الى عاصمة إقليم الجنوب التي دخلت مع مدينة (بخيرت) عاصمة إقليم الشمال (التي يعبد فيها الإله (حور) الإله الصقر) في صراع طويل . وقد انتصر إقليم الشمال على الجنوب وتوحدت لأول مرة مصر في ملكة كبيرة سياسياً عاصمتها مدينة (أون) قرب القاهرة التي يسميها الأغريق هيليوبوليس Heliopolis . لكن هذه المملكة لم تدم طويلاً إذ سرعان ما انفصل الإقليمان عن بعضهما ودار بينهما صراع جديد استغرق ما تبقى من عصر ما قبل السلالات .

أصبحت عاصمة الشمال بوتو Buto في الدلتا الغربية وهي قراءة يونانية خاطئة حيث كان اسمها المصري (أوتو) وهو اسم إله الشمس السومري وقد صورت إلهة هذه العاصمة على شكل أفعى تظهر من زهرة نبات البردي (وهو ما يذكرنا بأسطورة الإله أوتوم) . أما عاصمة الجنوب فصارت (الكاب EL-Kab) وكان رمزها الإلهة (نخبت) التي صورت على شكل صقر يخرج من زهرة نبات الأسل (شكل ٨) . وقد ظل فراغة مصر لاحقاً يحتفظون من بين ألقابهم بلقب (ذو الإلهين) أي (بوتو ونخبت) الإلهتين الحارستين للشمال والجنوب ومن هنا أتت العادة التي جعلت المصري يصور هاتين الإلهتين الحاميتين للملك تارة على شكل ثعبانين ، وتارة أخرى على شكل عقابين . وقد دمجتا في ذلك الخليط الكبير من الآلهة التي صورت على شكل ثعبانين أو عيون ، كما أنهما اندمجتا في التيجان الملكية التي أُلْهت عن المصريين وسميت باسم سيدات السحر» (إرمان ١٩٩٥: ٥٨) .

وقد عبد الإله (حور) في الإقليمين الشمالي والجنوبي معبراً عن وحدتهما . وتميز ملوك الشمال بتاج مخروطي أحمر ، أما ملوك الجنوب فتميزوا بتاج مخروطي أبيض .



شكل (٧)

الإلهتان الحارستان للجنوب والشمال

- ١- الآلهة نخبت (الرخمة) ونبات الأسل إلهة المكان في الجنوب.
- ٢- الإلهة بوتو (الأفعى) ونبات البردي إلهة بوتو في الشمال .

وقد ذكر حجر بالرمو Palermo Stone (نسبة إلى متحف بالرمو في صقلية حيث توجد أكبر الكسر الخمسة) وغيره من حوليات المملكة القديمة . أن عدداً كبيراً من الملوك حكموا في مصر ما قبل الأسرات ولا نعرف من أسماء هؤلاء الملوك سوى سبعة من ملوك الشمال مثل (سكّا ، خايو ، ثيش . .) وخمسة أسماء من ملوك الجنوب أوضحهم قراءة هو الملك العقرب الذي كان له نفوذ عظيم . وأطلق على جميع هؤلاء الملوك لقب (عبدة حور) وتحديدأ (شمس حور Shemsh Hor) .

وفي نهاية هذا العصر صارت مدينة نخن (هيرا كونبولس) عاصمة للجنوب ومدينة (بي) أي بوتو عاصمة للشمال .

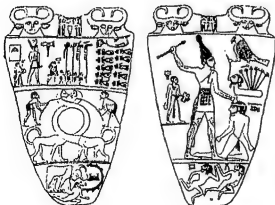
ووفقاً للدراسات الحديثة فإن الملكين (العقرب) و (نارمر) هما اللذين وحداً مملكتي الشمال والجنوب في مملكة واحدة . وهذا ما تظهره نقوش دهبوس الملك العقرب ودهبوس الملك نارمر (نعرمر) وصلاية الملك نارمر (الأشكال ٨ ، ٩ ، ١٠) على التوالي . وهي آثار دالة على الكفاح الذي بذله هذان الملكان في توحيد مصر . لبدأ بعد ذلك عصر السلالات القديمة . وهو ما يمكن أن نسميه ببداية العصر التاريخي لمصر .



شكل (٨)
دبوس الملك العقرب



شكل (٩)
دبوس الملك نارمر



شكل (١٠)
صلاية الملك
نارمر
الوجه: نارمر
يسـك
بالصولجان وهو
يقتل أسيراً.
الخلف: نارمر مع
ضباطه يحملون
شعارات مقدسة
وامامهم اعداء
مقطوعو الرؤوس.
الملك على صورة
ثور يدمر حصناً

عصر المملكة القديمة (حوالي ٣٠٠٠ - ٢٢٥٠) ق.م. عصر الأسرات (١-٦)

بدأ عصر السلالات مع توحيد اقليمي مصر الشمالي والجنوبي في مملكة قوية واحدة ، وقد حكمت ست سلالات لما يقرب من الألف سنة عصر المملكة المصرية القديمة .

واعتلى العرش لمدة قرنين متتالين سلالتان كلتاهما من أصول جنوبية من مدينة طينة (ثينس Thinis) قرب أبيدوس ، ولكن العاصمة الإدارية لهما أصبحت مدينة منف (مغيس Memphis) التي تقع بين الشمال والجنوب . أي في أنسب مكان يمكن أن تقوم فيه عاصمة للقطرين . ولذلك وصفت منف عند المصريين القدماء بأنها (ميزان الأرضين) فهي نقطة توازن للمملكة السياسية والدينية الجديدة (انظر رزقانه وجماعته ب ت : ٧٠) وقد غدت مصر في عهد المملكة القديمة من أعظم دول العالم القديم ونضجت فيها الأنظمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حتى شكلت نسق حضارة أصيلة ومتميزة أعطت للعالم القديم واحدة من أنصع صفحات الحضارة البشرية .

لقد دار الجدل طويلاً حول أصل السلالتين الأولى والثانية ، وما زالت الآراء غير مستقرة في هذا المجال . وهناك آراء ترى أن أصلهما رافديني سومري ، وقد طرح (وادل) في كتابه حول الاصول السومرية للحضارة المصرية آراءً لا تتفق مع الكثير منها ولا نريد الخوض في تفاصيلها لكننا نرى أن المؤثرات الرافدينية في ما قبل التاريخ استمرت في بداية العصور التاريخية بشكل بسيط وعلى شكل حوافز حضارية وخصوصاً في مجال الكتابة الصورية ، ولا يمكن أن تصل إلى أن الملوك الثلاثة الأخيرين لعصر ما قبل السلالات هم من أصل عراقي وهم جد سرجون الأكدي وأبوه وسرجون نفسه كما يرى ذلك وادل بطريقة متعسفة (انظر Waddle 1930 : 11-31) .

ولا نريد الخوض في تفاصيل نظرية (وادل) إلا أننا نرى أن قراءة (وادل) الخاصة لأسماء ملوك السلالة الأولى المصرية هي التي أوحى بهذا التقارب ، رغم أن هناك أدلة مقنعة معقولة يقردها (وادل) ، لكن المشكلة الحقيقية تبقى في سنوات الحكم المتباعدة بين السلالة الأولى المصرية وبين السلالة الأكادية الرافدينية والتي لا يمكن إغفالها ، ولنا وقفة مطولة حول هذا الموضوع في كتبنا القادمة .

السلالات الخمس الأخرى أكثر ثباتاً وهناك اتفاق كبير على أسماء ملوكها واشتهر ملوك السلالة الرابعة ببناء الأهرامات الكبرى في الجيزة .

وكان الملك (الفرعون) بمثابة الإله الحقيقي على الأرض تدل على ذلك ألقابه فهو (ابن الإله رع) و (سليل حورس) و (الإله الطيب) الذي يعتمد عليه نظام الكون بأكمله . وقد ظهر شريط (الخرطوشة) الذي كان يحيط بالاسم الملكي لأول مرة في عهد الملكة القديمة وربما كان يرمز إلى رحلة الشمس اليومية حول الأرض . وكان الفرعون كالشمس نفسها ، سيد الكون نظرياً (انظر بوتيرو/ فيركوتر ١٩٨٦ : ٣١١) .

وإذا كانت العقائد الدينية المرتبطة بتقديس الحيوانات قد نشأت في عصور ما قبل التاريخ فإن عقائد الخصب الأوزيرية نشأت في عصر ما قبل السلالات ودمجت مع عبادة الإله الصقر (حور) .

أما المملكة القديمة فقد شهدت بناء نظام روحي وديني متماسك أصبح المتن الأساس للدين المصري ، ولم تشهد المملكتان الوسطى والحديثة إلا تغيرات طفيفة أضيفت لاحقاً عليه .

ظهرت في هذا العصر المجمعات الإلهية الكبرى والتي ضمت الآلهة الكونية إضافة لبعض الآلهة الشمولية الأخرى ، وتبنت هذه المجمعات ثلاث مدن أساسية سميت المجمعات باسمها هي (الاشمونين - هرموبوليس) و (أون - هليوبوليس) و (منف - ممفيس) .

بالإضافة إلى ذلك استمرت الآلهة المحلية الخاصة بكل مدينة بالحضور القوي فيإله المدينة كان واهب النعم والخيرات ورمز لواء المدينة ، وكان أحياناً يسمى باسمها أو يلقب بأنه سيدها وكانت المدينة تسمى بيته .

واستمرت عبادة الحيوانات كآلهة باعتبارها مقرأ للقوة الإلهية « ولم يكن جميع أفراد كل نوع يعبد من الحيوان أهلاً للتقديس ، وإنما كان يختار فرداً واحداً منه يمتاز بصفات خاصة ، يتميز بها عن غيره من أفراد نوعه . فإذا نفق الحيوان المعبود كُفّن بالكتان والحصير على نحو ما كان يكفن الموتى من المصريين ، ثم يدفن في أماكن مختارة بين مقابر الموتى ، ولكن لم يلبث أن أصبح لبعض هذه الحيوانات المعبودة تماثيل من الصلصال أو الخشب أو الحجر أو المعدن تقوم مكان الحيوان المقدس » (رزقانه وجماعته ب. ت. ٨٣) .

واختلف هذا التقديس المنتقى للحيوانات في هذا العصر عن العصور المتأخرة التي عبدت فيها أفراد النوع الحيواني لذاتها دون عناية روحية خاصة . وظهرت في هذا العصر معبودات الأقاليم التي كانت تضم أكثر من مدينة ، وبذلك ظهرت على المستوى الديني فكرة الأسرة أو الأسر الالهية التي كانت غالباً ما تتألف من ثلاث يتكون من الأب والأم والابن مثل ثلاث منف (بتاح ، سخمت ، نفرتم) ، أو من زوج وزوجتين مثل ثلاث إلفنتين (خنوم ، عنقت ، ساتت) ، أو من أم وابنتين مثل ثلاث المقاطعة السابعة في الصعيد (حتحور ، سماتاوي ، أحي) واحتل الإله (حور) مرتبة رفيعة بظهور المملكة الموحدة وأصبح كما لو أنه ملك الآلهة الذي كان الملك بمثابة ابنه أو الصورة الأرضية له . وأصبح التناغم والانسجام بين السلطات الدينية والسياسية عالياً .

وظهرت الأساطير مترافقة مع الأحداث السياسية التي كانت ترتفع فيها الآلهة وتتصارع وبذلك صارت الأحداث والوقائع مادة مهمة في نسيج الأساطير .

ومثل المصريون القدماء ألهمتهم على شكل الإنسان الكامل أو الإنسان برأس حيوان . وهناك على رأسه أو في يده ما يشير إلى أصله أو يرمز له . وأصبحت الرموز الإلهية صفة من صفات التجريد الروحي والفني الذي كان يرتفع بالعقيدة الدينية . ومع ذلك فقد بقيت عادة تصوير بعض الآلهة كحيوانات موجودة مثل العجل المقدس في منف (أيبس) .

وأصبح الإله (رع) هو الإله القومي المصري دالاً على الشمس في صيغة رسمية وكهنوتية عالية . أما الإله (حور) فقد ارتبط بالعبادة الشعبية التي كان يمثلها أبوه (أوزيريس) كإله خصب من جهة ، وبالعبادة الرسمية التي كان (رع) يعبر عنها شمسياً كإله حاكم .

وكانت عبادة الشمس طاغية في المملكة القديمة «ولم يشأ كهنة العبادات الأخرى أن تتخلف معبوداتهم عن إله الشمس فشبهوها وادعوا أنما هي صور له . ليكون لها نصيب من جاهه وسلطانه . وهكذا اتخذ كثير من الآلهة شخصية إله الشمس واتحد به ، ومن أمثلة ذلك مين رع ، سبك رع ، خنوم رع ، منتور رع ، أمون رع . وقد تبع ذلك أن وجدت طقوس عبادة الشمس سبيلها إلى طقوس غيرها من الآلهة حتى أصبحت الطقوس الدينية في جميع المعابد واحدة في نهاية الدولة القديمة » (رزقانه وجماعته ب . ت : ٩٢) .

ولعل أعظم المظاهر الدينية التي ظلت متماسكة طيلة التاريخ المصري القديم والتي تبلورت أساسها في المملكة القديمة هي الطقوس والعقائد والأساطير الجنائزية والتي تعبر عن الاسكاتولوجيا المصرية القديمة خير تعبير . فقد تحول إله الحصب والزراعة والأرض (أوزيريس) إلى إله عالم الموتى ، وأصبح يرعى الحياة بعد الموت بكل تفاصيلها . وأظهرت كتابات الأهرامات كما هائلاً من العبارات والأشعار السحرية التي تعطي للموتى وتظهر هذه الكتابات لأول مرة على جدران هرم أوناس وظلت تستخدم على جدران جميع أهرامات السلالة السادسة بعد ذلك . وترقى العبارات السحرية هذه إلى عصور مختلفة فبعضها يرقى دون شك إلى عصر ما قبل السلالات حيث أنها تذكر أحياناً بعض الأحداث السياسية الخاصة بذلك العصر . ويمكن ملاحظة تقليدين جنائزين في كتابات الأهرامات ، أحدهما ، لا بد أنه يرجع بأصوله إلى أصل كهانة معبد هيلوبوليس حيث يلعب فيه الإله رع الدور الرئيس في حين يعطي الآخر المركز الأول للإله العالم السفلي أوزيريس . وقد أخذ العديد من العبارات السحرية الواردة في كتابات الأهرامات لتظهر في نصوص توابيت المملكة الوسطى ثم انتقلت في عهد المملكة الحديثة إلى ما يعرف عادة بكتابات الأموات (بوتيرد / فيركوتر ١٩٨٦ : ٢٢٤) .

عصر المملكة الوسطى (٢٢٥٠-١٥٦٧) ق.م

الأسرات (٧-١٧)

يمكننا من الناحية التاريخية تقسيم عصر المملكة الوسطى إلى خمس مراحل متجانسة هي :

١ .مرحلة الأسرات (١٠,٩,٨,٧) وهي الفترة الأولى التي أعقبت انهيار المملكة القديمة وقد شهدت أول مراحلها سيادة الفوضى وظهور سلالات غير شرعية وضعيفة ونشوب الاضطرابات الاجتماعية والغزوات الأجنبية .

ثم استولى أمراء هيراكو بوليس جزئياً على الحكم ، وسرعان ما انهارت الأمور بعدهم ونشبت الحرب الداخلية في عهد السلالة العاشرة .

٢ .مرحلة الأسرتين (١٢,١١) : وهي فترة حكم ملكة طيبة . وقد استعادت الحضارة المصرية قوتها في هذه المرحلة وانتشرت إلى ما وراء حدود مصر ، وكانت بلاد الشام والنوبة العليا تحت نفوذها الحضاري والسياسي مباشرة .

٣ . مرحلة الأسرتين (١٤,١٣) : حيث بدأ الضعف يدب في ملوك هاتين السلالتين وكان الوزراء هم أصحاب السلطة في البلاد ، وقد ظهر الانحلال في البنى الاقتصادية والسياسية للبلاد ، ومهد هذا الوضع لاحتلال الهكسوس لمصر .

٤ . مرحلة الهكسوس (١٦,١٥) : وهم البدو الذين قدموا من الشرق وتعني كلمة هكسوس (الملوك الرعاة) ولكنها في اللغة المصرية (هيكسا - خاسوت) التي تعني (الرؤساء الأجانب) . وكان لغزو الهكسوس لمصر منافع مثلما كانت له اضرار ، أهمها الاتصال بأسيا وتحفيز مصر لمرحلة عالمية جديدة وإعطاء شحنة جديدة لحياة مصر الروحية والحضارية ستظهر نتائجه في المملكة الحديثة .

٥ . مرحلة ملكة طيبة وطرده الهكسوس (الأسرة ١٧) : وقد حكم فيها (١٦) ملكاً لم يستقل منهم استقلالاً حقيقياً سوى الملوك الثلاثة المتأخرين ، فقد كان معظمهم تابعين للهكسوس ولكن بعضهم استطاع ان ينظم أقاليم مصر العليا وحفزهم لتحرير البلاد .

إن عصر المملكة الوسطى شديد الاضطراب ويفتقد الى الاستقرار والهدوء والبناء الرصين الذي ساد في المملكة القديمة . وقد انعكست التغيرات السياسية والاجتماعية لهذا العصر على العقائد الروحية والدينية .

لقد تأثرت عقائد الاسكاتولوجيا (الجنائزية) بشكل واضح فبعد أن كانت في المملكة القديمة (نصوص الأهرام) مختصرة على الملوك في مراحل ما بعد الموت ورفقة وعناية الإله (رع) لهم ، أصبح الفرد المصري ينال مثل هذه العناية وهذه الامتيازات الملكية . وهكذا أصبحت نصوص الأهرام تنقش على الجدران الداخلية للتوابيت الخشبية ونشأت بذلك ما يسمى بـ (نصوص التوابيت Coffin Texts) .

وقد تبع ذلك أن أخذ الإله الشعبي (أوزيريس) دوراً أكبر في حياة ما بعد الموت لأنه كان شفيح الناس العاديين وكانت عبادته منتشرة بين العامة أكثر من الملوك . وقد مهد هذا تدريجياً لأن تتحول حياة ما بعد الموت من عهد (رع) إلى (أوزيريس) حتى أصبح الإله الأعظم لملكة الأموات في عهد المملكة الوسطى . وإذا كنا نعتبر الإله (رع) هو الإله القومي لمصر في للملكة القديمة فإن (أوزيريس) صار هو الإله القومي لها في عصر المملكة الوسطى . وبذلك تحول طريق الحج الديني من مدينة (أون) (هليوبوليس) حيث يعبد (رع) إلى مدينة (أبيدوس) حيث كان يعتقد ان قبره الرئيس كان هناك فو أصبح كل مصري يتوق إلى أن يدفن قرب معبد الإله أو ، إن لم يضمن تحقيق تلك الأمنية ، إن يترك وراءه في

الأقل بعض ما يشير إلى حضوره في أبيدوس . لذلك فقد وجدت أعداد لاخضر لها من المسلات ضمن الحرم المقدس . وأصبحت أبيدوس أعظم مركز ديني في مصر بما يفسر الضراوة التي احترب بها الهيروكلوبوليسيون والطيبيون للسيطرة عليها (بوتير / فيركوتر ١٩٨٦: ٣٤٩) .

وفي هذا العصر ظهرت فكرة العقاب والثواب بعد الموت وكانت مزوجة بالسحر ثم تبلورت تدريجياً في اللاهوت المصري فكرة (محكمة الأموات) . وظهر ذلك السيناريو الطويل لمعاملة الميت بعد الموت مباشرة .

وكان من النتائج المباشرة لزعزعة مكانة الإله (رع) وتصدر النزعة الشعبية في العبادة شيوع آلهة قليلة الأهمية في عهد المملكة القديمة مثل وبوايت في أسسوط أو خنوم في إلفنتين أو مونتا في طيبة الذي صار الإله الصقر الممزوج بالإله رع وحاز على اللقب العظيم (الإله المقاتل) .

إن هذه التطورات المهمة في الديانة المصرية التي حصلت في العهد الوسيط كان لها الأثر العظيم في إعادة صياغة هذه الديانة وحققتها بمنشطات جديدة إضافة إلى التلاحق المخلص الذي حصل قبل وبعد غزو الهكسوس والذي ادخل عناصر آسيوية جديدة للديانة المصرية .

عصر المملكة الحديثة (١٥٦٧-١٠٩٠) ق.م

الأسرات (١٨-٢٠)

كانت ملاحقة المصريين للهكسوس ، بعد طردهم من مصر ، الخطوة الأولى في قيام الإمبراطورية المصرية حيث تعقبوهم في آسيا وحاصروهم في (شاروخين) في جنوب فلسطين ثلاثة أعوام حتى استولوا عليها ، ثم قاموا بحملة أخرى استولوا فيها على ثغور فينيقية . وقد أثار مدّ النفوذ المصري خارج حدود مصر حماسة الشعب وأعاد ثقته مضاعفة ، بقدراته .

وسبب انتصار ملوك طيبة على الهكسوس سطوعاً هائلاً لهذه المدينة وديانها في جميع أنحاء الإمبراطورية ، التي امتدت من نهر الفرات إلى بلاد السودان . وأصبحت الأقصر

(حيث مكان طيبة) مدينة للمعابد والقصور وكان معبد الكرنك فيها أعظم مباني طيبة . وكان محتومس الثالث أعظم ملوك مصر الحاربين ولهذا يسميه هرستد «نابليون مصر» فقد حكم أكثر من خمسين عاماً ودون على أحد جدرا من معبد الكرنك أخبار حروبه على مدى عشرين عاماً ، حطم خلالها مدناً وممالك في غرب آسيا ، ثم كَوّن منها إمبراطورية ثابتة الأركان ، وبنى أول أسطول حربي كبير مكنه من بسط نفوذه على بحر ايجة ، وجاء بعده ملوك فاتحون آخرون ولم تبدأ قوتهم في الانحلال إلا بعد مضي قرون من الزمان على وفاته (انظر هرستد ١٩٦٢ : ١٢٩) .

عاشت مصر خلال عصر الإمبراطورية (الملكمة الحديثة) حياة مرفهة يمكن وصفها بالعصر الذهبي لمصر القديمة وظهر ذلك على عمرانها وفنونها وتفصيل حياة شعبها المترفة آنذاك .

وبعد نحو قرنين من تأسيس الإمبراطورية تولى الملك أمنحوتب الرابع عرش البلاد وقد تنامي في مصر شعور بأن العالم يمكن أن يكون موحداً (بسبب سعة الإمبراطورية المصرية) وأن إلهها واحداً لهذا العالم يختفي خلف مظاهر هذه الآلهة المحلية والإقليمية والقومية . ولذلك وجد أمنحوتب الرابع القفر مؤثراً لإعلان ثورته الدينية الموحدة وسمى نفسه اخناتون «وأصدر أمره إلى جميع شعوب الإمبراطورية بما فيها آسيا وأفريقيا ليعبدوا إلهاً واحداً سماه (أتون) وأغلق المعابد وطرد الكهنة ليحمل الناس على نسيان دينهم القديم وأمر بمحو أسماء هؤلاء الآلهة أينما وجدوا وبخاصة في نقوش المعابد ، وكره الشرك فأمر أيضاً بتكسيير علامة الجمع أينما وردت في أي نص يذكر جمع كلمة (إله) وكانت كراهيته شديدة بنوع خاص للإله (أمون) إله طيبة في عصر الإمبراطورية» (هرستد ١٩٦٢ : ١٣٧) .

وكانت هذه الثورة الدينية التوحيدية سبباً مباشراً في سقوط هذا الإمبراطور وبداية في ضعف الإمبراطورية وتدهورها . فقد عادت عبادة أمون بقوة بعد وفاة اخناتون وحكمت الأسرتان (٢٠، ١٩) بعد وفاة صهره توت عنخ أمون لقرنين من الزمان بدأ خلالها ملوك مصر بالضعف وزاد ضعفهم ظهور أقوام جديدة قوية في الشرق حتى انهارت وزالت الإمبراطورية وبدأت مرحلة أفول الحضارة المصرية بكاملها .

وصلت عبادة الإله (أمون) إلى ذروتها في هذا العصر (باستثناء فترة اخناتون) وكان هو الإله الرئيس في الإمبراطورية وقد دمج بالإله رع فأصبح يسمى (أمون رع) ، واحتفظ الإله (بتاح) ، الذي أصبح يسمى الإله القديم ، بخصائص الخلق والتكوين .

وكان التغير الواضح في العقائد الجنائزية ، فاستبدلت ألواح التوابيت لنقش تعاويذ ودعوات الموتى وظهرت مكانها البرديات الطويلة التي صارت فيما بعد أساس (كتاب الموتى) فوساد الاعتقاد الأعمى في شدة مفعول السحر وتوهم القوم وجود السحر في التعاويذ السالفة حتى اعتقدوا أنها تكفي لأن تجلب للميت كل ما يحتاج إليه ويشتيه . ولما ترهف القوم ولم يرق في نظرهم ما تخيلوه من أعمال الموتى ، من حرث وضم وحصد حقول (ياور) الأخرية وضعوا تماثيل صغيرة حاملة أدوات الشغل اللازمة المنقوش عليها تعاويذ سحرية معتقدين أنها ستحيي في الآخرة وتؤدي جميع أعمال الميت هناك ، كلما طلب منه ذلك . أما هذه التماثيل فكانت تعرف باسم (أوشبتي) وهي كلمة مشتقة من فعل أوشب- أي أجاب- فهي لذلك مجيبات عن الميت في أخراة (برستد ١٩٢٩: ١٦٣) .

وقام الكهنة بدور أساس في انحطاط العقائد الجنائزية فقد شجعوا على اقتناء مثل هذه التماثيل وأخذوا يبيعون التعاويذ المكتوبة على البرديات نقلاً عن كتاب الموتى على أنها ضمان للميت لبرأته أمام محكمة الموتى ، وبذلك سهل الكهنة لأي إنسان مهما كبرت جرائمه الحصول على البراءة . ثم تفتنوا في وضع كتاب آخر سموه (كتاب الدار السفلى) ذكروا فيه أوصاف الكهوف الاثني عشر الخاصة بساعات الليل والتي تمر عليها الشمس في سياحتها الليلية ، ثم وضعوا كتاباً آخر لقبوه بـ(كتاب الأبواب) شرحوا فيه الأبواب والحصون الموصلة لتلك الكهوف بعضها ببعض وصادفت هذه البدع السحرية هوى في نفوس العامة فكانت بداية لانحطاط العقيدة الدينية المصرية بأكملها (انظر المرجع السابق) .

أما الظاهرة الأكثر إشراقاً في هذه المرحلة فهي تطور فن بناء المعابد وتنوعها فلم تشهد مصر مثل هذا العدد الباذخ من المعابد بسبب إيرادات الغنائم الإهائلة التي كانت تأتي مصر من أطراف الإمبراطورية .

وظهرت المقابر العظيمة للأمراء والملوك منحوتة في صخور الجبال ومزينة بالنقوش والكتابات وصارت هذه المقابر موازية للأهرام في نقوشها ونقائشها وكنوزها لاحتوائها على سراديب وقاعات واسعة منحوتة في الصخور . وكانت عمارة هذه المقابر تماثل عمارة الكهوف التي تخيلها قدماء المصريين ، تخرقها الشمس في رحلتها الليلية في العالم الأسفل .

عصر الأفول (١٠٩٠-٣٣٢) ق.م

الأسرات (٢١-٣٠)

كان عصر الرعامسة الثلاثة الأوائل آخر عصور القوة المصرية ، وابتدأ عصر الأفول بعد رمسيس (رعمسيس) الثالث ، ويبدو أن ملوك مصر هجروا طيبة بعد رمسيس التاسع واتخذوا الوجه البحري مركزاً لإقامتهم لقرنين من الزمان برغم أنهم ظلوا يدفنون موتاهم في طيبة .

قامت الأسرة (٢١) بعد استقلال الوجه البحري تحت سلطة أحد أبنائها ، ثم انفصلت الدلتا عن الإمبراطورية ودبت الاضطرابات . وبعد حكم ملوك هذه الأسرة حكم مصر ملوك أجانب وأدرجوا أنفسهم ضمن السلالات المصرية الحاكمة فقد كان ملوك السلالة الثانية والعشرين من ليبيا .

شهدت بعدها مصر اضطرابات داخلية انقسمت المملكة خلالها إلى عدة إمارات صغيرة مستقلة . ثم حكم الآثيوبيون (التوبيون) مصر . بعدها احتل الآشوريون مصر وضموها إلى إمبراطوريتهم أثناء حكم النوبيين لها .

ويتضح من هذا أن مصر القديمة بدأت بالانهيار بعد أن حكمت من قبل الأقوام الأجنبية عليها كاليبيين والآثيوبيين والآشوريين .

ولم تنفع محاولة الإصلاح التي قام بها الملك بسماتك الذي حكم لأكثر من نصف قرن ثم جاء بعده أمازيس ، لم تكن هذه المحاولة إلا الصحوة التي تسبق الموت ، فقد ضغط البابليون على مصر ثم قام الفرس باحتلالها وكانت الأسر الثلاث الأخيرة شاهداً على نهاية هذه الحضارة العظيمة .

كانت الديانة المصرية في وضع حرج في هذا العصر ، فأمام الانتكاسات السياسية والأفول الحضاري المتدرج ، لجأ كهنة مصر إلى العودة الأصولية للدين المصري في عهد المملكة القديمة ويبدو أن مراحل النكوص الحضاري تفرض أحياناً مثل هذا النكوص الديني ويسود اعتقاد قوي بأن أهل العصر القديم بلغوا من العلم ذروة لا يمكن تعديها .

سميت هذه المرحلة بالمرحلة الصاوية والتي شهدت ولع الصاويين بالبحث عن النصوص والقراطيس البردية القديمة التي علاها تراب الأجيال العديدة وفي جمعها وفحصها ثم

تنظيمها وبذلك يتضح سبب انتصار الماضي على الحاضر وسبب جهل الكهنة المعاضدين لهذه الحركة الرجعية بما هو سائر من حولهم في العالم (انظر برستد ١٩٢٩: ٣٨٨).

ورافق جمع الأصول هذا العودة إلى نصوص السحر القديم وشيوع تطبيقاته وانتعشت الأشكال الحيوانية السحرية للالهة فظهرت مجاميع الآلهة وكأنها فسيفساء حيوانية خليطة ، وكان عودة إلى عالم الحيوان قد استقرت بعد أن أسما المصريون بالهتهم إلى التوحيد في عصر المملكة الحديثة ، وهذا مظهر آخر من مظاهر النكوص .

وفي هذا العصر أبطلت عبادة ست كونه رمزاً للخراب والدمار وتعالى في الوقت نفسه دور الإلهة إيزة (إيزيس) حتى صارت وكأنها الإلهة الأم للآلهة المصرية القديمة ، ويظهر هذا النكوص الأمومي شكلاً من أشكال النكوص الحضاري فقد استحضرت الإلهة الأم في صورة إيزة التي عبدت وكأنها حامية مصر .

وفجأة تعاضم دور العجل أبيس (وهو أحد أشكال الإله بتاح) فعبده بعناية وصاروا يدفنون جثته في احتفال مهيب في جبانة السرايوم الخاصة بذلك بجوار منف ، أما تقديس هذا العجل فكان في بدايته في عهد المملكة القديمة ، وقد أصبح له الآن شأن عظيم لدرجة بلغت حد التعصب الديني بين أهالي الإسكندرية في العهد الروماني . والظاهر أن كهنة العهد الصاوي فسروا هذه المظاهر الخارجية بالفلسفة التي فسروا بها خرافاتهم الدينية فأوجدوا بذلك شيئاً لم يكن موجوداً ولا منسوباً لها سابقاً (انظر برستد ١٩٢٩: ٣٣٨).

العصر الكلاسيكي (٣٣٢ ق.م - ٦٤٢ م)

(اليونان والروماني والبيزنطي)

عندما كانت مصر في هبوط حضاري كانت اليونان في صعود حضاري قُدِّر له فيما بعد أن يصطدم بكل ما تبقى من حضارات الشرق حتى استطاع الإسكندر المقدوني الوصول إلى تخوم العالم القديم كله ، يحذوه حلم تكوين دولة عالمية ، وكانت مصر من أوائل ما استولى عليه . وقد بنى العديد من المدن التي سماها بـ (الإسكندرية) ذكرت المآثر أن عددها جاوز السبعين مدينة ، وعرف منها نحو العشرين ، ولعل أشهر الإسكندريات في

العالم إيسكندرية مصر . وبعد وفاة الإسكندر وقعت مصر بأكملها تحت حكم بطليموس قائد الإسكندر .

وما لبث بطليموس أن دخل شيئاً فشيئاً تحت تأثير ما تبقى من أصداء الحضارة المصرية ونشأ مزيج جذاب من الحضارة الهلنستية في مصر فصار بطليموس فرعون مصر الجديد ، وأصبحت مدينة الإسكندرية مركزاً عظيماً للثقافة الهلنستية وكان يدعمها الملوك البطالة بلا حدود فتأسس فيها متحف الإسكندرية الذي خصص أولاً لربات الفنون وانقضى جيلان أو ثلاثة كانت الأبحاث العلمية التي تجري في اثنائها بالإسكندرية ممتازة الجودة ، وظهرت هناك مجموعة خارقة من رواد العلم وعلماء الطبيعة مثل أفلاطون في الهندسة وأبولونيوس في الرياضيات وهيبارفوس في الفلك وهيرون المخترع وأرخميدس في الفيزياء وهيرفيلوس في التشريح وغيرهم (انظر ويلز ١٩٦٧: ١١٧) .

وأصبحت مكتبة الإسكندرية أعظم دار كتب موسوعية في العالم القديم ، وتحولت مصر إلى مختبر فكري وروحي خرجت منه المدونات الهلنستية الكبرى وعلى ذلك «فإننا نجد في هذه المؤسسة لأول مرة البداية الأولى المحددة للحركة الفكرية التي تعيش فيها اليوم ، وفيها نجد المعرفة-تتجمع وتتوزع بطريقة منتظمة فإنشاء هذا المتحف وهذه المكتبة يعد إزداناً يبدأ إحدى الحقب العظيمة في تاريخ العالم ، فهي البداية الحقة للتاريخ الحديث» (ويلز ١٩٦٧: ١١٧-١١٨) .

وكان من أغرب الظواهر في هذه المرحلة احتفاظ الدين المصري بتماسكه وقوته دون أن يتعرض ، في الفترة اليونانية بشكل خاص ، إلى شروخ أو اهتزازات في بناء العميقة ، ويرى أدولف إرمان أن السبب في ذلك هو التواطؤ المسبق بين الملوك والكهنة ، ولهذا جعل الملوك الأغريق والأباطرة الرومان السلطة الدينية تحت حمايتهم على أن تؤيد من ناحيتها السلطة الزمنية . وهذه العلاقة التي استمرت زهاء الخمسمائة عام ، قد هيأت للعبادة المصرية خاتمة سعيدة ، فقد ظلت باقية من معابدها حتى النهاية يحفها الجلال والعظمة ، وظلت الحكومة تحميها حتى في الوقت الذي بدأ فيها أهلها أنفسهم يهجرونها (انظر إرمان ١٩٩٥: ٤٧٤-٤٧٥) .

واستمرت مظاهر تقديس وتأييد الملوك ، فأصبح ملوك الأغريق وأباطرة الرومان آلهة على المستوى الرسمي أي (آلهة الحكومة) ، أما الشعب فلم يكن يتعبد لهم بل كان الكهنة

المتعلقون قد حصلوا على لقب جديد يقربهم من الملوك كآلهة :وهو لقب كهنة (الآلهة المحبة لاختواتها) أو كهنة (الآلهة الخيرة) .

وبرغم الاختلاط الشكلي بين الآلهة اليونانية والمصرية إلا أن سحر الآلهة المصرية ظل قوياً في نفوس المصريين والأغريق والرومان ، بل إن عبادة الآلهة المصرية غزت أوروبا . والظاهرة الوحيدة للتمازج الحي والخالق بين الآلهة المصرية واليونانية هي في ظهور الإله سراجيس الذي هو الإله (أوزيريس -أبيس) الثور المقدس أبيس في صورة أوزيريس الميت والذي رفعه الأغريق بمرتبة عالية وأصبح الإله الرئيس في ملكة البطلة ودمج مع زيوس .

وارتفعت عبادة الإلهة إيزيس وصارت خلاصة الألوهة المؤنثة ، ومع الزمن تجمعت فيها صفات الإلهات الإناث المصريات والأغريقيات .

وكان الإله حورس الطفل (حرباخرد) أو كما يسمى بالأغريقية (حربوقراط) الإله الابن لسراجيس وإيزيس .

وعند مجيء الرومان إلى مصر وتحول مصر إلى ولاية رومانية عام ٣٠ ق م . كان هذا الثالوث الإلهي يتربع على عرش الدين المصري الروماني . وانتعش السحر من جديد وسادت علوم التنجيم والكيمياء وكان الجانب السحري منها هو الأقوى وظلت لفنون السحر القديمة الأهمية الأساسية وهي «شفاء الأمراض والجروح،وتعاويذ الحب ، ورقى جلب السلطة والهيبة ،وكل التعاويذ الغربية التي تثير الجنون والمرض . وكان يعتقد أن الساحر في ذلك العصر يستطيع أن يفهم منطق الطير والزواحف ، وأن يفتح السماء والأرض والعالم السفلي ، وأن يستدعي الموتى من عالمهم » (إرمان ١٩٩٥ : ٥٣٣) .

وظلت العادات الوثنية حتى عند المسيحيين الأوائل في مصر رغم أن الطبقات العليا من المجتمع كانت مخلصه لما تبقى من الديانة المصرية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، فقد كان معبد سراجيس في الإسكندرية هو المعبد الأول ، وفي منف كان يعبد اسكلبيوس قبل كل شيء وهو الحكيم القديم إمحوتب الذي صار إلهاً وهو الذي حل محل بتاح أيضاً ، وزحج بس الصغير أوزيريس من مكانه في أبيدوس وطفق يعلن نبوءاته ، وكان لها تقدير عظيم . وفي منطقة أخميم بمصر الوسطى كان يعبد إله يقال له بتسي (انظر المرجع السابق : ٥٤٤) .

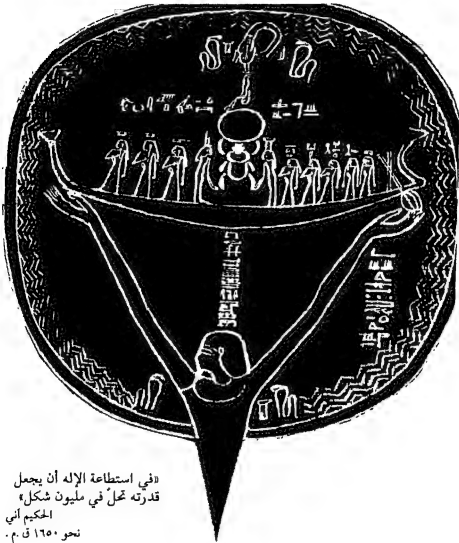
ومع نهاية الديانة المصرية كان هناك أمران أولهما ان الدمج البطيء بين الآلهة المصرية والأغريقية والرومانية ، جعل للآلهة الأغريقية الغلبة .

وثانيهما أن سيادة الثالوث الإلهي المصري (أوزيريس ، إيزيس ، حورس) مهد الأرضية للثالوث المسيحي المبكر (الأب ، العذراء ، الابن) ، ومع انتشار المسيحية في مصر أصبحت آلهة الديانة القديمة أشباحاً في الديانة الجديدة ، بل لقد أصبح لفظ (نتر) ، الذي كان يدل على الآلهة من قبل ، يعني في لغة المسيحيين الأرواح الشريرة . ومع أن هذه الآلهة غدت أهلاً لمقت شعبيها الأصلي ، فقد ظلت تحتفظ في وطنها مصر بمكان تلجأ إليه دائماً ، وهو السحر (انظر المرجع السابق : ٥٤٧-٥٤٨) .

لقد أظهرت الديانة المصرية القديمة خلال أكثر من الألف وخمسمائة سنة الأخيرة من عمرها ، برغم الانتكاسات السياسية التي مرت بها مصر ، ثباتاً قل نظيره وكانت في كل عصور الافول والاحتلال تنهض من جديد مستفيدة حتى من أعدائها . بل لقد هزمت الديانة المصرية أعداءها في دولهم فقد اكتسحت عبادة إيزيس وأوزيريس أنحاء الإمبراطورية الرومانية ووجدت لها جماعات علنية وسرية تحمست لها وبشرت بها ، رغم وجود منافسة قوية جداً من الأديان الأخرى في ذلك العصر إلا أنه «لم يقدر للآل العظيمة في آسيا الصغرى ، ولا لمتراس إله الشمس عند الفرس ، ولا لإله اليهود أن ينتزع أي منهما الأسبقية من الآلهة المصرية ، وذلك لأسباب كثيرة . وكان من أوائل هذه الأسباب ذلك الاجلال الغامض ، الذي كان يحس به المرء نحو هذه البلاد ذات الحضارة القديمة والآثار العجيبة» (المرجع السابق : ٥٥٢) .

الفصل الثاني الأساطير المصرية

(دراسة في الآلهة والأساطير المصرية القديمة)



«في استطاعة الإله أن يجعل
قدرته تحمل في مليون شكل»
الحكيم أني
نحو ١٦٥٠ ق.م.

القسم الأول
شجرة أنساب الآلهة المصرية

الصعوبات التي تعترضنا ونحن نحاول تشكيل شجرة أنساب الآلهة المصرية كثيرة . . . منها كثرة الآلهة التي قد تصل إلى ثلاثة آلاف إله ، وعدم وجود أنساق نسب واضحة تجعلنا نضعها في تسلسل متواتر صحيح ، إضافة إلى تعدد مراكز القوى الكهنوتية التي كانت تجعل من مدنها وأكله مدنها مستحوذة على قمة الهرم الإلهي وتنوع مادة هذا الهرم حسب إرث المدينة الروحي وطبيعة آلهتها .

ومع ذلك . . فقد حاولنا وضع شجرة أنساب تقريبية تضم في صلبها الأساس تسلسلاً هرمياً واضحاً للآلهة الكبرى ثم الحقناً بها جداول للآلهة الثانوية والآلهة الأجنبية .

إن تقسيم الآلهة المصرية وفق شجرة الأنساب هذه والجداول الملحقة بها سيكون دليل عملنا في تحليل الآلهة والأساطير المصرية ودراسة خصائصها ورموزها ومعانيها الروحية والأخلاقية العميقة .

سنقدم أولاً عرضاً سريعاً لأقسام هذه الشجرة وأهم الآلهة التي تحتويها ، أما الحديث المفصل عن الآلهة وأساطيرها فسنقوم به عند الحديث عن معجم الآلهة المصرية القديمة عند عرض هذه الأساطير .

تتكون شجرة أنساب الآلهة المصرية من عدد من المجمعات الإلهية المتجانسة التي يمكن أن ندرجها انطلاقاً من أصولها وجذورها الأولى :

١ . الثامون الهيليولي : الذي يضم الآلهة العتيقة قبل أن يخلق الكون وهي أربعة أزواج إلهية حسب عقيدة الأشمونيين .

٢ . الإله الخالق : وهو متعدد الأسماء حسب المدن التي يظهر فيها ولاهوتها ، ويشكل الإله الخالق أول مرحلة في تحول الهيليولي إلى الكون ، وقد أحصينا سبعة آلهة خالقة أساسية في مصر هي (شبسي في خنمو ، رع في أون ، بتاح في منف ، آمون في طيبة ، أتون في تل العمارنة ، خنوم في الفيثنتين ، نيت في سايس) وقد اتخذ أغلبها طابعاً شمسياً .

٣ . آلهة الخليفة : وهي الآلهة التي جسدت عناصر الكون ، وقد اختلفت مجاميعها وأساطيرها وطبيعتها حسب الإله الخالق الذي اندرجت تحته ، ولعل أشهرها هو تاسوع أون ، وتاسوع منف .

٤ . الإله الملك حور : وهو الإله الشمسي الابن الذي يمثل ملك الآلهة ووريث الإله الشمسي الخالق ، ولهذا الإله عدة أسماء وأشكال وأبناء وله زوجة أساسية هي (حتحور) .

٥ . الآلهة الثانوية وتضم :

أ . الآلهة الذكور

ب . الآلهة الاناث

٦ . الآلهة الأجنبية وتضم :

أ . الآلهة العراقية القديمة (الرافدينية)

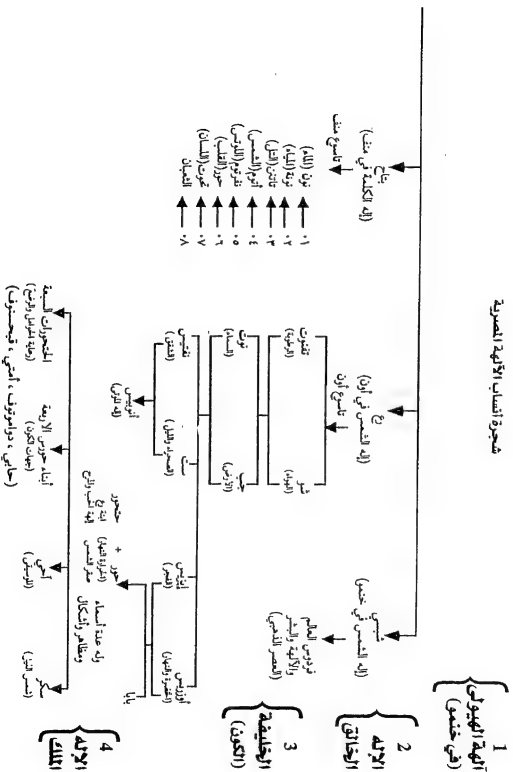
ب . الآلهة السورية والحديثة

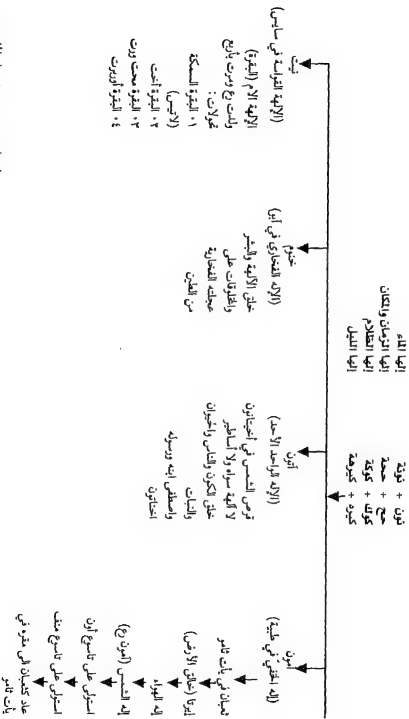
ج . الآلهة السودانية

د . الآلهة الليبية

وستضم شجرة الأنساب الآلهة الأساسية (جدول ٤) أما الآلهة الثانوية والآلهة الأجنبية فقد ذكرناها في جدولين لاحقين .

شجرة أنساب الآلهة المصرية





إعداد وتصميم : خزعل الماجدي

١. الآلهة الكونية؛

يقول والس بدج عن الآلهة المصرية : «إن المصريين قد أسبغوا الشرف على عدد جد ضخّم إلى حد أن قائمة أسمائها وحدها تملأ مجلداً كاملاً ، ولكنه في الحق كذلك ما فحواه أن الفئات المثقفة في مصر طوال العصور طراً لم تضع الآلهة أبداً على المستوى الذي وضعت عليه الله نفسه ، ولم تتخيل قط أن آراءها في هذا الموضوع يمكن أن يطالها الغلط . قبل التاريخ كان لكل قرية أو مدينة ، لكل كورة أو صقع ، ولكل مدينة كبيرة ، رب خاص معين» (بدج ١٩٨٥ : ١١٩) .

إن المؤسسة الإلهية المصرية لم تكن قط معزولة في برجها السماوي بل كانت متشعبة في حياة الناس وتفاصيلهم فقد كان لكل أسرة غنية أو فقيرة إله خاص ، وكان العديد من مظاهر الحياة اليومية آلهة خاصة . ويمكننا إجمالاً النظر إلى المؤسسة الإلهية وفق شجرة الأنساب التي ذكرناها ووفق التقسيمات الإقليمية لمصر نفسها بطرق تنازلية متدرجة .

فالآلهة الكونية هي الآلهة التي تسيطر على المظاهر الكبرى للكون كالسما والارض والشمس والقمر والكواكب والهواء . . الخ وقد ذكرنا في شجرة الآلهة كل هذه الآلهة مع تفاصيل نسلها وعلاقاتها واساطيرها .

وتنظم هذه الآلهة في مجاميع يسميها المصريون أنفسهم (بوت) تتكون من أعداد محددة من الآلهة كالثالث والرابع والنامون والناموس . فالثالث يتكون في الغالب من إله أب كوني ومن زوجة وابن يكونان في مرتبة أقل وقد اشتهرت الثلوثات المدن والأقاليم المصرية . وهناك ثلوثات مكونة من أب وزوجتين . . . الخ .

ومن الأمثلة على هذه الثلوثات ، ثالث منف المكون من (بتاح ، سخمت ، نفرتم) ، وثالث طيبة المكون من (أمون ، موت ، خنسو) ، وثالث إلفنتين المكون من (خنوم ، عنفت ، سات) ، وثالث المقاطعة السابعة في الصعيد المؤلف من (حتحور ، سماناوي ، أحي) .

ويعد أقدم ثلوث في الآلهة المصرية ذلك المكون من الإله تيمو أو خبيرا الذي خلق من جسمه الخاص (شو) عن طريق العطاس و(تفنوت) عن طريق البصاق . ويعتبر هذا المجمع المكون من الهين وإله هو الثالث الأقدم Trinity كما يقود بدج (بدج ١٩٨٩ : ٢١٢) .

أما الرباع فنادر في المجمامع المصرية الإلهية ويكون غالباً داخل مجاميع أكبر مثل الرباع المكون من (شو) و(تفنوت) إلها الهواء والرطوبة وابنيهما (جب) و(نوت) إلها الأرض والسماء .

ورباع الآلهة الأرضية (أوزريس ، إيزيس ، نفتيس ، ست) الذي شهد صراعاً طويلاً . وهذان الرباعان جزء من تاسوع عين شمس .

أما الثامون فلعل أشهر ثامون الهة مصري هو ثامون الأشمونين المؤلف من الآلهة الهولية الكاؤوسية الأولى التي ظهر منها الكون . ويسمى تاسوع الآلهة المصرية بـ (أ يعاد) وأشهره تاسوع أون (عين شمس) وتاسوع (منف) .

وكانت الآلهة الكونية في مصر بمثابة الآلهة العالمية التي تسير العالم كله ، ورغم ذلك فإن لها خصوصية قومية تنطلق من مركزية الإله الشمس ، سواء كان هذا الإله (رع) وأشكاله الشمسية المختلفة أو (حور) وأشكاله الشمسية المختلفة . حيث الشمس مركز الآلهة الكونية التي تدور حولها هذه الآلهة .

كان الإله الشمس (رع) بمثابة الإله الأب للآلهة والملوك والبشر أما الإله (حور) فهو الإله الابن الذي كان يتطابق مع شخصية الملك باعتباره الشمس المتحركة على الأرض ويأخذ صفاته من الشمس أيضاً .

٢. آلهة الأقاليم:

عندما تكونت المدن المصرية القديمة كان لكل مدينة إله ، وكان لهذا الإله معبده الخاص وطقوسه وأعياده ، وظلت (آلهة المدن) ، في مستوى قداستها نفسه حتى عندما طغت عليها آلهة الأقاليم التي ضمت عدة مدن وحتى عندما عبدت الآلهة الكونية فيها «وكان إله المدينة يعتبر عند سكانها أعظم من آلهة المدن الأخرى ، فهو الذي خلق كل شيء» ، وهو واهب الخيرات والنعيم . وقد ظل إله المدينة حتى أواخر الحضارة المصرية على صلة وثيقة بمدينته ، فكان لواؤه هو نفسه علم المدينة التي نشأت عبادته فيها ، وكان في كثير من الأحيان يسمى باسمها ويلقب بأنه سيدها ، كما كانت المدينة نفسها تسمى بيته «رزقانه ب . ت : ٨٣» .

لقد منحت بعض المدن أسماءها إلى الآلهة (أو العكس) فمدينة نخب (شمال إدفو) منحت اسمها للإلهة نخبيت الإلهة الرحمة . وكذلك مدينة باست (بوسطة أو الرقازيق) التي منحت اسمها للإلهة باستت الإلهة القطة . وكان الإله تحوت يلقب بأنه سيد الأشمونيين وسماها الأغريق هيرموبوليس (مدينة هرمس الذي هو تحوت) . . . الخ .

وعندما تكونت الأقاليم ارتفع شأن المدينة التي أصبحت عاصمة للإقليم ولذلك أصبح إله تلك المدينة إلهاً للإقليم بأكمله وكان الكهنة في هذه الحال يسلكون أحد أمرين : إما يهملون إله مدنها الخاصة ويتملقون إله الإقليم ، وإما يقربون صفات الإله الخاص من إله الإقليم ويذيون الفروقات بينهما ويدعون أنه صورة من إله الإقليم وبذلك تتحول وظيفته أو تصبح له وظيفة جديدة ويعتبر المنهج الذي قام بتطبيقه فرانسوا دوماس في تقصي آلهة المدن والأقاليم المصرية منهجاً كمياً قديماً فقد أحصى وتتبع الآلهة المصرية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ، ولم يكشف لنا كتابه المكرس لهذا الغرض الايقاع الذي كانت تنبض به أرض مصر روحياً بل كان مجرد سرد جغرافي -ثيولوجي (انظر دوماس ١٩٨٦) .

لقد كانت الأقاليم المصرية ماثار تدوين واعتناء من قبل المصريين القدماء أنفسهم وقد وصلت على جدران الهياكل والمعابد قوائم بهذه الأقاليم التي كانت تنقسم بصورة عامة إلى قسمين هما : أقاليم الوجه القبلي وعددها (٢٢) إقليمياً . وأقاليم الوجه البحري وعددها (٢٠) إقليمياً . ولم يكن تقسيم الأقاليم في مصر يخضع إلى إرادة إدارية موضوعة بل كان إلى حد كبير طبيعياً فرضته طبيعة مصر وحافظت عليه طوال عصورها الفرعونية .

ومن الجدير بالذكر أن لكل إقليم إشارة خاصة كانت تصور على أعلام وتثبت فوق العلامة الهيروغليفية التي ترمز للإقليم . وفي مرحلة لاحقة صورت هذه الإشارات والأسماء فوق رأس سيدة تحمل بين يديها ما يرمز لخيرات الإقليم . أما في العصور المتأخرة واليونانية والرومانية فقد شاع تمثيل الأقاليم على هيئة إله النيل يحمل شارة الإقليم فوق رأسه (انظر فخري ، الموسوعة المصرية : ١١٠) .

وكانت إشارة الإقليم في الغالب تمثل إلهه المحلي وربما مثلت طواطم كانت العشائر المصرية القديمة التي استقرت في ذلك الإقليم تتخذ منه شارة أو شعاراً لها .

ومن أجل إحصاء دقيق لتلك الأقاليم القبلية والبحرية وأسماؤها المصرية واليونانية واللاتينية وعاصمتها واسمها الحديث ، والآلهة التي عبدت فيها عملنا على وضع الجدولين المرقمين (٦،٥) اللذين نظمهما الاستاذ عبدالعزیز فهمي صادق (انظر صادق ، الموسوعة المصرية : ١١٢-١١٣) .

جدول (٥)
أقاليم الوجه البحري

| الرقم | الاسم المصري | الاسم اليوناني اللاتيني | العاصمة بالمصرية | الاسم الحديث | الالهة |
|-------|---------------|----------------------------|------------------|------------------|-----------------|
| ١ | اينب حج | مفيس | اينب حج | منف | بتاح ، سخمت ، |
| ٢ | ايوع | ليتوبوليس | من-نفر | ميت رهينه | نفرتم |
| ٣ | أمنت | جينا يوكوبوليس | خنم | اوسيم | حورس |
| ٤ | ثيت رسي | برنت امار | برنت امار | كوم الحصن | ايبس ، حتحور |
| ٥ | ثيت محت | بروسويس | جقق بر | زاوية رزين | ثيت ، أمون - رع |
| ٦ | جوخاسو | سايس | ساو | صا الحجر | ثيت |
| ٧ | رع امنتي | زويس | خاسو | سخا | أمون - رع |
| ٨ | رع اياپ | ماتيس | رع امنتي | العطف | ايزيس - حورس |
| ٩ | عنجتى | هيرونوليس | لكو | تل المسخوطة | اتوم |
| ١٠ | ايح كم (كاكم) | بوزيريس | چدو (ددر) | أبو صيرينا | اوزيريس |
| ١١ | ايح حسب | اتريس | حوت تاحرى ايب | تل اتريب | حورس |
| ١٢ | ثب نترت | سبنوتس | بالقرب من هوريط | انويس ، حورس | |
| ١٣ | حقا عنج | هليوبوليس | كا-سب | | |
| ١٤ | خنت اياپ | تائيس | سمنود | رع ، ائوم ، تحوت | |
| ١٥ | جحوتي | هرموبوليس برفا | الطرية . عين شمس | رع ، ائوم | |
| ١٦ | حات محيت | منلس | صان الحجر | حورس ، ست ، حابي | |
| ١٧ | بحدت | ديوسبوليس | دمنهو | حورس ، تحوت | |
| ١٨ | امتى خنتى | بوياستيس | برچجوتى اوب | | |
| ١٩ | امتى بحو | برسپدو | رخوى | | |
| ٢٠ | سبدو | أرابيا | چدت | تل الربيع ، عسى | خنوم ، أوزيريس |
| | ثب نتر | سبنيتوس | الاميد | البلامون | سيد ، حورس ، |
| | | | بحدت | أمون رع | |
| | | | بست | بست ، أمون رع | |
| | | | بوتو | واچيت | |
| | | | برسپدو | سپد | |
| | | | سمنود | رع- ائوم- تحوت | |

جدول (٦)
أقاليم الوجه القبلي




| | | | | | |
|----|----------------|-------------------|---------------------|---------------------------------------|--|
| ١ | تا-ستي | الفنتين | أبو | اسوان | خنوم ، سسات- عنقت و حورس |
| ٢ | اوتسي حر | أبولينيوبوليس | جيج | ادفو | حورس البحدتي ، حتحور ايحي نخبيت |
| ٣ | نخن | هيراكونبوليس | نخن | السكر ، السكر الاحمر | موت-خنس مين |
| ٤ | واست | طيبة | واست | الاقصر | موت-خنس مين |
| ٥ | بيكوى أو نثروى | كوبتوس | جيتيو | قفط | حتحور-حورس |
| ٦ | ايتى | تنتيريس | ايونت | دنطرة | حتحور-نفرحتب |
| ٧ | بات | ديوسبوليس | باتيو(بات) | هو | اوزير خنسي- أمنتير-أوريس |
| ٨ | تاوور | ابيدوس | ثنى(طينة) | العراة المدفونة | مين ، حر-ور حورس-ماي حسا حورس-ست |
| ٩ | منو | پانوپوليس | منو | اخميم | عنتى ، حورس |
| ١٠ | راجت | افروديتوبوليس | واچت | لوم اشقاو | أوب-واوت حتحور |
| ١١ | شأى | هيسيليس | مركز | شطب | نحوت حورس |
| ١٢ | چو-نت | هيراكونبوليس | پرعتى | البر الشرقي من أسيوط | أوب-واوت حتحور |
| ١٣ | نجفت خننت | ليكونبوليس | ساوت | أسيوط | نحوت حورس |
| ١٤ | نجفت پخت | كوساى | قسى | القوصيه | أوب-واوت حتحور |
| ١٥ | أونو | هرموبوليس | نخمنو | الاشمونين | أونوبيس |
| ١٦ | محت | هيراكونبوليس | جبنو | (بالقرب من المنيا) | أونوبيس |
| ١٧ | انپو | كينوبوليس | حنو | القيس | أونوبيس |
| ١٨ | عنتى | هيبونوس | اون هنو | الحبيه | أونوبيس ، سكر حريشف |
| ١٩ | وابو | اوكسيرونوكس | سپت مرو | البيهنسا | حريشف ، خنوم |
| ٢٠ | نمرت خننت | هرنلوبيوليس ماجنا | تتونسوت (حنن نرسوت) | اهناسيا المدينة | حريشف ، خنوم |
| ٢١ | نمرت پخت | نيلوبوليس | شنع خنوت | (البر الغربي ، شرق أبو صير الملئق) | حنوم ، حتحور |
| ٢٢ | متنوت | افروديتوبوليس | پرايدت | أطفيح | حتحور |


٣. الآلهة الثانوية :


وهي الآلهة التي كانت خارج الآلهة الكونية وعائلاتها الموجودة في شجرتها ، فهي مختصة بالكثير من التفاصيل الصغيرة وشؤون الحياة الدقيقة . يصعب وضع مسرد دقيق بها لكثرتها وتنوعها وتحولها . . وكان كثير منها يرتبط بطبيعة مصر وخصوصاً بحيواناته رغم أن لكل آلهة مصر جذوراً أو أصولاً أو رموزاً حيوانية .




ويصعب وضع تصنيف خاص بها لتشعبها ولكن بالإمكان تقسيمها إلى آلهة ذكور وآلهة إناث ، وكما يلي :




١- الآلهة الثانويون المذكور



| الرقم | اسم الإله | دلالاته | جذره أو رمزه | السموم | الصورة |
|-------|-----------------------|--|--------------------------------|---|---|
| ١ | أوبوات Upuaut | فاتح الطريق . إله الموت والحرب | الثعب | إله أسيرط وحليف أوزر وأنييس ، وهو إله مقاتل يحمل درعه ويتعلم مركب احتفالات أوزر ، ويقود قارب الشمس خلال رحلاتها الليلية في الثروات . وقد عبد أيضاً تحت اسم (خنتي أميتي) أي الذي يحكم الغرب . |  |
| ٢ | أپس Apis | مجدد حياة بناح قوة الجسد والشلل | الثور | إله عفيس ، وكان حيوان بناح المقدس ويعتقد أنه كان إعادة لتجسيده . وكانت تغذيه تتم في المعبد ويقطع ليعرج كل يوم وفي ساعة معينة في صحن المعبد وسط دعشة العابدين وترجم كل حركة من حركاتها باعتبارها تنبؤاً بالمستقبل وكان يسمى أيضاً (عاب) . |  |
| ٣ | أكّر | إله أرض إله اليوم والغد | اسدنان ملتصقان بالحاء معاكس | وهو أحد الآلهة القديمة التي قدمت من وادي الرافدين ، وكان اسمه بالأكديّة (أكّر) ، (أكور) أي حارث أو فلاح ، ويصور بشرط من الأرض مع رأس بشري أو رأس أسد على طرفيه . ويُنزل بأسدنين ملتصقين أحدهما يواجه الغرب والآخر يواجه الشرق حيث غروب وشروق الشمس . ويظهر الإله أكّر حاملاً مركب الشمس . | |
| ٤ | أسار حابي (سرابيس) | أوزر بهيمشة الشور المتوفي . إله الموت | الثور وأقروا الكبش | اسمته مركب من (أوزر) و (أنيس) أي الشور المقدس أبس الشوقي ، وقد أعلا شأنه الأفرقيق البطالة وسماهو (سرابيس) واصبح إله سينوب ذو اللحية والشعر الأشعثين فهو الإله الأعلى |  |

| الرقم | اسم الإله | دلالتة | جذره أو رمزه | المجموعـــات | الصورة |
|-------|-------------------|-------------------------------|---------------------|--|---|
| ٥ | إخرت Aar-ti | الإلهة الصل (الكوبرا) | الانعى | البيظلة وحل تماماً محل أوزر (أوزيرس) وكان السيرابيوم مكان دفن الثيران المقدسة محل عبادة . وقتل الصل المصري (الكوبرا) ذات العنق المنتفخ ، والحية التي كانت تصور على أكمل الفرعون ، وأصلها من الإلهة (ووقت) الكوبرا على جبين الملك في ملكة بوتو القديمة ما قبل التاريخ في الدلتا ، وصارت شعاراً للبريتن اللكين حورس وست . وهو إله أرض الموتى المراقبة في جهة الغرب حيث تنتقل الأرواح إلى هناك ، وكان يشير إلى المكان الخفي أيضاً والمقصود به العالم الأسفل أو الأرض السفلى . إله ثنية يقيض على حرية وشير إلى الأجداد الذين استقروا في هذا الإقليم (١٨) الذي خرج منه أبطال الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب . وهو إله قدم اغتصب أوزيرس صفاته وقلت أهميته في الدولة القديمة والوسطى ، أما في الحديثة فقد ارتفعت مكانته ودمج بالآلهة العظمى . ربما أشار إلى عبادة القصب القديمة ، وكان في (أون) يرفع كعمود يوضع على قمته رأس ثور بطقوس مهيبه وأصله بالمسلة أصبح رمزاً للقمر . ويبدو أن كلمة (عورن) لها علاقة بالاسم ، وقد سمي حورس (أون موقت) أي (عماد أمه) . كان يبدو بمثابة الطويل ورأسه المزين برشتين مرتفعتين كسالمو أنه يظهر من تحت الماء كالشمس . وقد حظي عبادة تساري |  |
| ٦ | إمنتت Amenet | إله الموتى (الغرب) | - | | |
| ٧ | إنحور (أوزيرس) | الذي يحضر البعيد إله الصيد | طائر | | |
| ٨ | إون iwn | إله القمر | الثور العمود | | |
| ٩ | بنو Benu | روح القيس | الطائر أبو قردان | | |



| الرقم | اسم الإله | دلالاته | جذره أو رمزه | المعلومات | الصورة |
|-------|---|-------------|--------------|--|---|
| ٦ | موتش إله الحرب إله الرعب (الهكسوس) | - | - | جاء إلى مصر مع الهكسوس ، وكان الههم المفضل ، وصور في هيئة رجل ذي لحية أسبورية . وفي مصر وحده بينه وبين ست . مركز عبادته الرئيس هو أواريس ثم في واحات الصحراء الغربية . وأصله إله حثي . |  |
| ٧ | قيتش (قش) Qetash | إلهة الحب | - | وولدت من فينيتشيا مع جنود مصر ، ومن لقاءها (رية السماء) ، و(سيدة الآلهة) ، (عين رع) و(التي لا مثيل لها) وأدمجت مع حتحور . وكانت تصور في هيئة امرأة عارية وتمسك بيديها زهوراً وأفاعي وتقف فوق ظهر أسد واقف . | |
| ٨ | كنت Kent | سيدة السماء | - | إلهة حبشية . | |
| ٩ | عنت | إلهة الحرب | - | وولدت إلى مصر في عهد الدولة الحديثة ، وارتبطت بالإلهة عشتار وكان يطلق عليها (درع الملك في مواجهة أعدائه) واعتبرت كزوسيلتها زوجة الإله ست وابنة الإله رع . تصور كامرأة تلبس الناح الأبيض برشتين ولها درع وحربة وفأس . | |


| الرقم | اسم الإله | دلالاته | جذره أو رمزه | المسموسات | الصورة |
|-------|------------------|-------------------------------------|---------------|---|---|
| | | | (ملاك الحزين) | عبادة (رع) . واستعملت صورته لتمني (رع) نفسه في الفترة المتأخرة من الهيرودوليفية . واقرن بطائر الفينيق المعروف . | |
| ١٠ | پنو Penu | إله الغار (إله مقابر) | الغار | وهو الإله الشار في المقابر ، وكانت الإلهة (ودت) تعتبر حامية القتران ، وتقول الأسطورة المصرية أنها اتخذت صورة الغار لتنجو من يد الإله ست الذي كان يطلب قتل حورس . | |
| ١١ | ينخا (بوتخيس) | القصور والتنبؤ بالمستقبل | الثور | إله مدينة أروست الذي دمج بالإله (منتى) جميع المصريون بينه وبين (منيفيس) وثور هيليوبولس القدس وبذلك ارتبط بعبادة (رع) ، له جبانة كبيرة مخصصة لدفن الثيران المقدسة اسمها (بوتخيوم) . |  |
| ١٢ | بس | حامي الولادة إله اللهو والقضحك . | الأسد - القط | صور على هيئة فرم سيقانه مقلدة ويرتدي جلد الأسد ويوحى مظهره بالجنون والقضحك . وكان يبعد العين الشريرة عن المرأة الوليد ، وكان أيضاً رفيق الناس في رحلات اللهو والسرد . |  |
| ١٣ | خنثي - أمتي | أول الغريين إله الموتى | | الإله المحلي و إله الجبانة في أبيدوس ، صور مثل أنوبيس على هيئة ابن أوى واندمج مع الإله أوزير تحت اسم (أوزير خنثي أمتي) . | |
| ١٤ | حضور heteh-ur | الأيض العظيم | القرد | وهو القرد الذي عبد في المعصور القديمة واعتبر في عصر بناء الأهرام مصور ضمن صور الإله تحسوت . وكان يسمى الأبيض العظيم . | |
| ١٥ | حرفشاف (حرفش) | الذي فوق بعيرته إله البحيرة | الكبش | إله هيراكليونيس ماجنا (أخناسيا) ، وكان يرتبط مع الإلهين (رع) و (أوزير) ثم (أمن) وكان لبحيرة معبدته أهمية في عبادته ، وفي العصر الروماني سمي (حرسافيس) ويقال أنه ابن الإله اليوناني (زئوس) من (ليرا) . |  |



| الصورة | المسميات | جذره أو رمزه | دلالاته | اسم الإله | الرقم |
|---|--|--------------|-------------------------------|---------------------|-------|
|  | الإله الحامي للنيل وهو في هيئة بشرية تجمع بين الأنوثة والذكورة في هيئة صياد السمك ذي اللحية التقليدية وله ثديا امرأة وظهر منزهل . وكان يتباهى خادم الآلهة . | الحثي | إله النيل | ححي (حپ) | ١٦ |
|  | عبد في بلدة الفيوم ثم كوم أمبو ، وورث بينه وبين النيل وكانت احتفالاته تقام مع ظهور مياه الفيضان . واعتبر في اللغات ابن الإلهة نيت حيث صور بوضع من صدرها ، ويط مع الإله رع (سوك-رع) . | التصاح | معطي الحياة للنبات على الشاطئ | سوك | ١٧ |
|  | وهو إله الموتى الذي أخذ شكل الصقر ، وسركريس اسم يوناني شاع لهذا الإله . | الصقر | إله الموتى | سوكريس | ١٨ |
| | إله من أصل اسبوي ، والحامي لحدود مصر الشرقية . وكان يطلق عليه (معظم الغزاة) و (سيد البلاد الأجنبية) ارتبط اسمه بالإله حور وعرف باسم (حور سوبد) وكان يمثل الشمس عند شروقها . | الصقر الجاثم | إله الحرب | سيد (سوبد) | ١٩ |
| | ابن رع وباستت وكان يعبد في هيئة الأسد الحي وبعد موته ودفنه في مقبرة الاسود كان يعرف باسم (أوزر-ساما) وهو إحدى صور الإله رع واعتبره الاغريق إله الضوء والنار والبرق والرعد وكان تاجه يشبه تاج نفرتوم أو تاج الأنث . | الأسد | الإله الأسد | ماحسا (ماحيس) Mahes | ٢٠ |
| | إله أرونت (هرموتيس) والطود وطيبة والمداود وكان هذا الإله يقوم بحراسة رع أثناء رحلته الليلية في العالم الآخر . وله زوجتان | الصقر الثور | إله الحرب | مونتو | ٢١ |

| الرقم | اسم الإله | دلالتة | جلذره أو رمزته | المعموسومات | الصورة |
|-------|-----------|----------------------------|----------------|---|---|
| | | | | هما تنتنت وأينوت ويصور بهيمته رجل له رأس صقر يعطو قرص الشمس وریشان وكوربا أوله رأس ثور بيديه اسلحة . |  |
| ٢١ | مينش | إله الخصب | الثور | الصورة الحية لرع وكان بين قرنيه قرص الشمس والكبرياء ، أهم به اختناون في تل العمارة وأربط بالآلهة الخالقة (اتوم ، بتاح ، رع) وأودر وأقيمت له الشعائر فيها ودفن مع عجلون أبيس في السرايوم . ويسمى الثور (ميرو) . | |
| ٢٢ | كاموتف | فحل أمه إله الخصب | المجل الذهبي | هو الشمس الذي تلده بقرة السماء في هيئة المجل الذي يكبر في نهاية اليوم ليطلع أمه لتلد الشمس مرة أخرى . وقد توحد مع (مين) ومع (أمون) باعتباره الإله الذي يخلق نفسه بنفسه . | |
| ٢٤ | مين | إله الخصب | الثور | من أقدم الآلهة المصرية (منذ العصر الجزي) وقائليه أقدم التماثيل على الإطلاق . يصور في هيئة رجل يرتفع إحدى ذراعيه ويمسك بالآخرى تقبضه التتصب وادمج مع كاموتف باسم (مين كاموتف) وادمج مع أمون رع باسم (أمون رع كاموتف) إله عيد الحصاد الذي كان يشارك فيه الملك . |  |
| ٢٥ | نحب-كاوو | حارس الشمس حارس البوابة | الثعبان | إله في هيئة ثعبان ضخم ذي رأسين أحيانا ، وله أيد بشرية وكان يحرس الاله رع في قاريه . وفي اللاهوت الجنازي صور حارسا لإحدى بوابات الآخرة ويقوم بتوفير الطعام للمتوفي . زوجته سرفت . له معبد خاص في هيراكليونيليس (ألفاسيا) . | |
| ٢٦ | يون موتف | عمود أمه | | في متون الأهرام ذكر مرتبط بالآلهة حثحور ثم بالملك ويخص الخدمة اليومية في المعابد من عبادة وتقديم قربانين واطلق اسمه على رتبة من الكهنة . وحلوه مع حور تحت اسم (حورموتف) مركز عبادته في أدفو . | |



٢- الإلهيات الثنائيات الإناث

| الرقم | اسم الإله | دلالاته | جذره أو رمزه | المعمولات | الصورة |
|-------|---------------|-----------------------------|-------------------|--|---|
| ١ | أمّنت | إلهة الثروب (الموتى) | | حامية شاطئ غرب النيل التي تدل على الدفن فهي حامية الموتى ، وكانت تقدم لها القرابين من أهل الموتى في الجبانات ، وكحامية للموتى أصبحت من أتباع أوزيريس ، وارتبطت بحتحور إلهة الثروب الجليل مقر الموتى . | |
| ٢ | بانخت (بانست) | | قطة | عبدت في تل بسطة منذ أقدم العصور (ربما الأسرة الثانية) وعبدت في منف ودمجت مع إلهتها سخيت (البقرة) وكان لها أعياد كبيرة ، وأصبحت ابنة (رع) وزوجته وصورت ولدها ماحس الذي أنجبته من (رع) في هيئة رجل برأس أسد مرتديا الشاح الذي بأوزيريس . |  |
| ٣ | تاأورت (أبت) | | أنثى فرس النهر | عبدتها المصريين تحت اسم (البيضاء) أو (أبت) بمعنى الحريم و(تاأورت) بمعنى العظيمة . واعتقدوا أنها تساعد في المولد اليومي للشخص وسموها عين رع وأم إيزيس وأوزيريس . وكانت الإلهة الحامية للمرأة الحامل والطفل الوليد . |  |
| ٤ | حفت | إلهة الولادة | الضفدعة | زوجة الإله (خنوم) ترسم برأس ضفدعة ولقبها سيدة مدينة حوزو ، في العصور المتأخرة أصبحت تلقب بأم الإله حوزو (حور الأكبر وأمين رع) و(اسيدة السماء) وكانت ترسم على التوابيت لحماية الموتى . | |
| ٥ | دبوت | إلهة الحصاد إلهة الرضاعة | الكوبرا البقرة | كانت إلهة الحصاد الوفير ، والتحلت مع الكوبرا التي تختبئ في أكرام القمح ، وهي الإلهة المزيبة التي أشرقت على الرضاعة والتي تحمي كل طفل ساعة ولادته وأحيانا ترضع أرواح الموتى ، | |


| الرقم | اسم الإله | دلالتة | جذره أو رمز | المعلومات الأساسية | الصورة |
|-------|--------------|-----------------------------------|--------------|--|---|
| | | | | وتوضع الإله (ببري) إله متابل القمح . ولها أشهر أعياد مثل شهر (برمودة) وعيد وزن القمح . | |
| ٦ | سبت (سودس) | | | |  |
| ٧ | سرفت | إلهة الموتى | المغرب | إلهة الإله نحب- كاو، ولعبت دوراً في العقائد الجنائزية وكانت تقوم مع قبحسوف بحماية الكبد في أواني الاحشاء ، وصورت منذ عصر الدولة الحديثة على أركان التوابيت وصناديق حفظ الموتى . | |
| ٨ | محتيت (مهنث) | إلهة حارس | ليوة | إلهة مدينة ثبي ونخن ، مثلت كلبوة يظهر من ظهرها أربعة قضبان مثنية ، لها مقصورة تظهر فيها وكأنها تشير إلى قصر الملك . | |
| ٩ | موت -سجر | الإلهة الحارسة لجبانة طيبة | الكويرا | اسمها يعني (محببة السكون) ، كانت على هيئة كويرا برأس امرأة أو بهيئة أسد رافض له رأس ثعبان الكويرا ، وكان مركز عبادتها في طيبة في البر الغربي وتلقب سيد الغرب . | |
| ١٠ | مستخت | الإلهة الولادة لهة الخط والقدر | كرسي الولادة | واحدة من الهات حجرة الولادة الأربعة ، وتلازمت مع الإلهة حقت ، وتخصص بهيئة كرسي الولادة وتأتي الذين الذين يحمل عليها المرأة أثناء الولادة . ولذلك صورت بهيئة قلب الذين . أو امرأة بريشتين تملآن براعم النخيل أو الثبات اللاتي . | |
| ١١ | مفلت | الالهة الحامسية للملك | القطة | إلهة قديعة ترجع للإسرة الأولى ، صورت كقطة أو امرأة ترتدي جلد القطة . وكان هناك عيد للاحتفال بولادها . | |

| الرقم | اسم الإله | دلالاته | جذره أو رمزه | المعلومات | الصورة |
|-------|-----------|---|--------------------|---|---|
| ١٢ | واديث | الإلهة الحامية للملك | أقنص الكوبرا | إلهة الأقليم الساس من النلتا ، كانت مدينة بوثو مركزاً لعبادتها ، وكان اسمها (أدجو-واجه) بمعنى الخنزيرة التي يقوم بحماية الملك ، وكانت تقوم بنفث الدبور نحو الصحراء . | |
| ١٣ | نخبت | إلهة الصعيد | الرخمة (أنثى النس) | إلهة نخب (الكاب) والإلهة الحامية لمصر العليا قبل الأسرات كانت تصور كحامية للملك تزور بجناحيهما فوق رأسه وهي أبنية رع وذلجة خنتي اميتو . سماها اليونان (اليشيا) وعبدوها تحت هذا الاسم وسما بلديتها الشياشيليس . |  |
| ١٤ | وامست | إلهة الحرب | | إلهة طيبة ، كانت في عصر الدولة القديمة معبوداً ذكراً ، ثم أنثى فيما بعد . وكانت تصور في هيئة سيدة فوق رأسها شارة الأقليم وتُحملك بإحدى يديها رمحاً وقوساً وسهمين وفي اليد الأخرى فأس القتل . | |
| ١٥ | شانت | إلهة الكتابة والكتابات والمعمارة والوثائق | عود سبع ورقات | زوجة الإلهة تحوت ، كانت تسجل سني حكم الملك وأعماله ، وتسجل اسمه على الشجرة المقدسة في هليوبوليس وكان من ألقابها (ذات القرون السبعة) (سفتخت عبث) الذي أصبح من أسمائها . |  |
| ١٦ | محت-حزوت | القضبان العظيم بقرة السماء | البقرة | القضبان الذي بزغت منه الشمس والقمر التي تالد الشمس كل يوم تفرغها من اللاد بين قرنيها لتلدع بها إلى السماء فهي بقرة السماء وهي (عين رع) . وصورت بهيئة بقرة بين قرنيها قرص الشمس . وفي العصر اليوناني وحدوا بينها وبين ايريس وذكرها بلوتارك باسم (ميتي) . | |

١.١. الآلهة العراقية القديمة

| الصورة | المعلومات | جذره أو رمزه | دلالتة | اسم الإله | الرقم |
|---|---|--------------|-------------------------|---|-------|
|  | كان الإله أنو السومري الها للشمس وانتقل الى الدنيا وأصبح اسماً لاقليم اوتو الذي أصبح بعد ذلك بونو. والصورة القابلة هي صورة الإله (أنو) في شكل الأفعى. | قرص الشمس | إله الشمس | أنون | ١ |
| | أما أنون فأصبحت صورته رمزية تدل على قرص الشمس. | | | | |
| | كان أحد أسماء الإله الشمس عند السومريين هو (أمنا Amna) ولا نستطيع أن نجزم أن هذا الاسم هو أساس ظهور الإله أمون في مصر ولكن تشابه الاسمين واضح هنا. | الشعبان | الإله الخالق (الخفني) | أمون | ٢ |
| | كان أوسار أحد ألقاب الإله تموز الذي انتقل الى مصر، وكان في بداية الأمر الها للخصب، وهناك بعض التشابه بين أسطورة تموز واسطورة أوزيريس وطقوس موتهما. | النباتات | إله الخصب إله الموتى | أوزيريس | ٣ |
|  | أشهر إلهة بابلية انتقلت عبادتها الى بلاد الشام ثم الى مصر وأصبحت وجه للإله ست وحملت من ألقاب الآلهة (سيدة السماء) و (سيدة الآلهة) و (سيدة الخيل والعربات) ووصفت بأنها ابنة بتاح وحلت مع الإلهات ايزيس وحثحور. | لبوة | إلهة الخيل والعربات | عشتار (عشتارت، Asharth Ashoreth) | ٤ |

ب. الآلهة السورية والحيثية

| الرقم | اسم الإله | دلالتة | جذره أو رمزه | المعالم ومبانيات | الصورة |
|-------|-------------------------|----------------------|--------------|--|---|
| ١ | أسيت Aasit | الهة الحرب | - | إلهة حيثية واعتبرت بنت الإله (ست) وأصلها الإلهة عناة زوجة واخت بعل إله الحصب والحرب الكنعاني . | |
| ٢ | أنات Anat | الهة التصور | - | زوجة أو رفيقة الإله سوتخ | |
| ٣ | إنثرتا Anthreta | الهة الحرب | - | إله كنعاني عرفه المصريون مع دخول الهكسوس واستقراهم في الدلتا ، وقد قبله الناس كصورة مطابقة للإله (ست) لم تشيد له معابد ولم يحظ بعبادة خاصة وكان يذكر كدلالة على قوة الملك وشدة بطشه بأعدائه . | |
| ٤ | با (بعل) Bar Baal | اله الحرب | - | رشف وهو إله الحرب الكنعاني الذي كان ابناً للبعل وعناة ، ويعمل القوة والبأس ، ويرتبط أحياناً بالصواعق والعواصف . |  |
| ٥ | رشيپو Reshipu | إله الحسرب والضوء | - | | |

د. الآلهة الليبية

| الرقم | اسم الإله | دلالاته | جذره أو رمزه | المعلومات | الصورة |
|-------|-----------|---|----------------------------------|---|--------|
| ١ | أش ASH | إله الموت إله الصحراء | حيوان ذئبي الشكل | إله ليبي ظهر على الأبراج المصرية منذ الأسرة الثانية وبرز بروزاً كبيراً في الأسرة الخامسة ، أما في الأسرة (٢٦) الليبية فقد سيطرت عبادته وخصوصاً في الواحات . له صلة كثيرة بالإله ست ويلقب بإله الطحون (إله ليبيا) .. | |
| ٢ | تحت | إله الأرض الحراء | | إله لبيبي قدم . | |
| ٣ | حا | إله الصحراء الغربية إله الليبيين (إله الغرب) | الصحراء (ثلاث قسم متجاورة) | مركز عبادته الأقليم السابع من أقاليم الدلتا ، يرسم كرجل فوق رأسه ثلاث قسم متجاورة ، ويحمل حربة في يده ليحمي بها البيت من أي مكرره ، ظلت عبادته في مصر إلى آخر أيامها وكان يرسم على جدران المعابد ومقابر الواحات الغربية . | |
| ٤ | سش | إله الصحراء والحرب | حمار | كان إلهها شمسياً يعبر عن الصحراء والحرب ، وقد ظهر في تصور الأهرام أن قوة الملك تستمد من قوته ، وظهر من الصعيد رفيقاً لإله الدلتا (حور) وأصبح في عهد الهكسوس (رب الأرباب) وصار إله الموت الأحمر وتحول من معبود مقدس إلى رمز للشر . | |
| ٥ | نيت | الإلهة الأم الإلهة الحامية القناسة | البقرة | كانت وظيفتها القديمة حماية المدينة بقوسها وسهامها ، ثم صارت الإلهة الأم التي أنجبت الإله رع ، وكانت إلهة للدفن وهي ربة النسيج والاكتاف التي يلف بها البيت . | |

٤. الآلهة الأجنبية (الوافدة):

وهي الآلهة التي قدمت الى وادي النيل من بلدان مجاورة عن طريق الحرب أو السلم أو التأثيرات الروحية والثقافية . وهي آلهة كثيرة دمج بعضها كلياً مع الآلهة المصرية وأخذت طابعاً مصرياً كاملاً ، بعضها قديم جداً يرتبط بالخصب والشمس ، وأغلبها ارتبط بالحرب والصحراء والقوة .

وكان لبعض هذه الآلهة الوافدة ، خصوصاً تلك التي قدمت مبكراً ، مكانة عظيمة في بانثيون الآلهة المصرية مثل الآلهة أوزيريس وأمون وأتون . . الخ . ولكنها أخذت طابعاً مصرياً أصيلاً فيما بعد لان عمق التراث الروحي المصري كان كفيلاً بإذابتها في نسيجه الهائل وصبغها بألوانه المحلية .

وفيما يلي أغلب هذه الآلهة الوافدة من وادي الرافدين وسوريا وبلاد الحثثيين وليبيا والسودان . وقد أهملنا الآلهة اليونانية والرومانية لأنها لم تكن سوى مقابلات يونانية/مصرية أو رومانية/مصرية للظواهر أو الطبيعة التي كانت تمثلها تلك الآلهة . . ولم تدخل ، من الناحية العملية ، في نسيج الآلهة المصرية ، بل حصل العكس ، فقد هزمت الآلهة المصرية نظيراتها في اليونان وروما وأصبحت مشار دةشة الأمم التي كانت تخضع لهما أيضاً .

هـ . الآلهة السودانية : وتشمل

١- أهر Ahu

٢- بس Bes

٣- تيتون Tetun

٤- ميرل Meril

القسم الثاني
أساطير الخليقة (التكوين)

Myths of Gensis

١. التكوين الأول

(الثامون الهولي)

تتناز أساطير التكوين المصرية بأنها تضع الكون والآلهة والإنسان في مستوى واحد من الخلق ولا تفرق بينهم . ولذلك سنتحدث عن خلق الكون والآلهة والإنسان في الوقت نفسه .

والتكوين الأول في الأساطير المصرية هو ظهور الثامون الإلهي الذي يدل على الهولي ، وذلك قبل خلق الكون والإله الشمسي الذي خلق الكون . وقد أتت هذه الأسطورة من خنمو (الأشمونين بالقبطية ، هرموبوليس باليونانية) وتنص على أنه ، في الأصل ، كانت ثمانية آلهة أولية موجودة فوق تل ظهر في (خنمو) من المحيط الأزلي ، وهي أربعة أزواج إلهية يتكون كل زوج منها من ذكر وأنثى ، الذكور فيها على هيئة الضفادع التي ترمز إلى المحيط المائي والإناث على هيئة الأفاعي التي ترمز إلى الحياة المتجددة . (شكل ١٤) وهذه الآلهة كما يلي (الذكر أولاً ثم الأنثى) وما تمثله من خلال تحليل معنى أسمائها :

١ . نون ونوت : يمثلان المياه الهولية الأزلية .

٢ . حح وححة : يمثلان سرمدية الزمان والمكان .

٣ . كيكيو وكيكو : يمثلان الظلام .

٤ . كيره وكيره : يمثلان الليل .

وقد عشر في بعض النصوص على أن الزوج الرابع كان (أمون وأمونيت) وهو تدخل لاحق أريد به تكريس وجود الإله أمون قبل خلق العالم .

وكان يسيطر على مشهد الضفادع والحيات الإلهية السكون فكانوا يتعانقون على تل خنمو وينعمون بالهدوء الأبدي .



ثامون الأشمونين (الضفادع والأفاعي)

٢. التكوين الثاني

(الإله الخالق)

أعطانا الثامون الهبولي فكرة عن الخليفة العتيقة الساكنة التي كانت تكتنفها عناصر الماء والظلام في زمان ومكان سرمديين .

وجاء ظهور الإله الخالق بعد أن تحرك ذلك العالم الساكن . والتراث اللاهوتي والمثولوجي المصري يحفل بعدة مدارس أو مقترحات لكيفية ظهور الإله الخالق . وقد قمنا بإحصاء هذه المقترحات أو المدارس فوجدناها سبعة تتفق الى حد ما على ظهور الإله الخالق من الهبولي المائية الأولى ، ولكنها تختلف في تحديد طبيعته واسمه .

فبينما تستمر مدرسة الأشمونين في أسطورتها وتظهر الاله الشمسي (شيشي) كإله خالق ظهر من الثامون الالهي ، ترى مدرسة أون أن الإله الشمسي أيضاً (رع) ظهر من المياه الهبولية (نون) بصورة أتوم . لكن مدرسة منف رأّت أن الإله (بتاح) حين استوى على عرشه لأول مرة كان روحاً للكيان المائي العظيم بكل ما احتواه من ذكر وأنثى وأنه كان هو التل الأزلي نفسه ، ولم يكن إلهاً شمسياً بل إلهاً لوغوسياً امتلك القدرة على الخلق من خلال الفكرة والكلمة (القلب واللسان) .

أما مدرسة طيبة فرأّت أن الإله الخالق هو الإله (أمون) الذي زجوه مع زوجته كزوج رابع في الثامون الهبولي عمل على تحريك الخلق ، وأنه (خفي) لا شكل ولا أب ولا أم له وهو الإله الهوائي الذي ظهر منه الوجود كله . وتحت مدرسة تل العمارنة منحى توحيدياً عظيماً ورأّت ان الإله الخالق الواحد الأحد هو (أتون) الذي يمثل قرص الشمس لا إله قبله أو بعده . أما المدرسة السادسة فكانت مدرسة (أبي) التي رأّت أن الإله الخالق ذو طبيعة طينية مائية وهو (خنوم) (خنوم) الفخاري .

والمدرسة السابعة وهي مدرسة (إسنا) رأّت أن الإله الخالق إنما كان انثى هي الإلهة (نيت) القواسة التي ظهرت من قلب (النوو) على شكل بقرة .

وهكذا نرى أن الإله الخالق في المثولوجيا المصرية تراوح بين أن يكون إلهاً شمسياً (شيشي ، رع ، أتون) أو إلهاً شاملاً لوغوسياً أو خفياً مثل (بتاح ، أمون) أو مائياً مثل (خنوم) أو إلهة أنثى خالقة مثل (نيت) .

ولا بد أن نذكر أيضاً أن هناك الكثير من الآلهة المحليين والشاويين الذين رفعوا إلى مرتبة الإله الخالق ولكنهم في حقيقة الأمر لا يمتلكون عناصر الشمول والخلقة مثل الآلهة الذين ذكرناهم .

وسنحاول المرور على جميع الآلهة الخالقين ومدارسهم اللاهوتية والمنولوجية .

أ . الإله شبشبي (إله خنمو) :

تعرفنا في التكوين الأول على الآلهة الهيولية الثمانية المتعاقبة في سكون والتي تشكل مادة العالم العتيق قبل خلقه والذي تم تصويره في الأشموتين التي يشير اسمها إلى الآلهة الثمانية والتي سميت هرموبوليس عند اليونان أما اسمها المصري القديم فهي (خنمو) وهي عاصمة الإقليم الخامس عشر من أقاليم الصعيد وقد عرف باسم إقليم الأرنب الذي رمز له به . وأما تسمية هرموبوليس فتعني مدينة هرمس التي تشير إلى أنها أصبحت مدينة الإله تحوت إله الحكمة .

وكانت مادة الكون قبل خلقه مكونة من المياه الأزلية الموحلة بما علّق عليها من طمي وقد استمدت صورة الأفاعي والضفادع من الصورة البرمائية حين تغرق الأرض بالفيضانات ثم يسيطر عليها سكون الماء والطمي ورؤوس الحيوانات الساكنة التي تبرز منه .

وذات يوم تحركت هذه الآلهة ونتج عن هذه الحركة عدة أمور حسب روايات مختلفة للأسطورة فمنها من يرى أنها شكلت بيضة ومنها من يرى أنها شكلت زهرة اللوتس ، ومن الاثنين خرج الطفل الشمس . وهناك رواية ثالثة ترى أن الثمانية سكبوا نطفهم على زهرة اللوتس فولدت الزهرة الطفل الشمس . أما الرواية الرابعة فتري أن الثمانية تحولوا إلى ثيران وأبقار سوداء ، ثم اتحدت الثيران في ثور أسود وسمي الثور آمون والبقرة آمونيت وانقض الثور على البقرة وأراق نطفته على الماء الذي أزهى زهرة اللوتس (على شكل جعران برأس كبش) وبعد النظفة صار على شكل طفل يضع أصبعه على فمه ويحمل تاجاً عليه صل وهو يمثل أيضاً الطفل الشمس .

وبذلك تنتهي مرحلة التكوين الثانية بظهور الطفل الشمس الذي هو إله الشمس الذي اسمه (شبشبي الذي في خنمو) الابن الرائع للثامون .

«زهرة اللوتس .. هذا الإله الذي في قلب حوض الماء الخاص به الذي انبعث من جسدهم (أيها الثمانية) ، زهرة اللوتس الضخمة المنبثقة من البركة الكبرى التي كانت فاتحة النور ، عند المرة الأولى .. إنكم تبصرون نورها وتستنشقون عيبرها وأنفكم ملآن بها . إنه ابنكم الذي يظهر على هيئة طفل ليثير البلاد بعينه .. لقد جثت إليكم زهرة اللوتس الواردة من المستنقعات ، فهي عين (رع) شخصياً ذاك الذي يحقق في ذاته حصيلة الأقدمين ، الذي خلق الآلهة السابقة وصنع كل ما يوجد في هذا البلد ، وإذ يفتح عينيه ، فكل شيء ولد منه ، هذا الطفل الذي يتألق في زهرة اللوتس ، والذي تحيي أشعته كل الكائنات» (لالوت ١٩٩٦ ج ١ : ٣٦) .

ب. الإله رع (إله أون) :

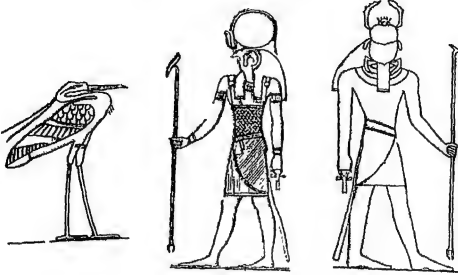
كانت مدرسة أون تؤكد على أن الإله الخالق هو (رع) الذي يتخذ ثلاثة أشكال تكون ثالوثه وهي :

- ١ . خبيرا : إله الشمس المشرقة ويرمز له بالجعران .
- ٢ . رع : إله الشمس من الصباح إلى المساء ويرمز له بالقلق (بنو) .
- ٣ . أتوم : إله الشمس الغاربة ويرمز له بالثعبان أو زهرة اللوتس .

وكان هذا الثالوث الشمسي هو أساس لاهوت ومثولوجيا مدرسة أون الذي يرى أن الإله الشمس ظهر أولاً في شكل (أتوم) الذي ظهر من (نون) رمز المياه الهيولية السحيقة والتي تلخص الثامن الإلهي الهيولي ولكن (أتوم) لم يجد مكاناً يقف عليه فوقف على تل ثم صعد فوق حجر على هيئة مسلة (بن بن Bin Bin) في أون وهي رمز الشمس وبقي أتوم هكذا منفرداً بوحدايته ثم امتزج بظله أو استمنى فأنتج عنصرين : ذكرى شكل الهواء هو الإله (شو) ، وأنشوي شكل الرطوبة هو الإلهة (تفنوت) ثم اكتمل التسامع المعروف الذي سنناقشه في التكوين الثالث .

إن أتوم يعني (الذي تكامل بعد أن امتص الآخرين) وقد «وَجَدَ بالتل البدائي الأرضي وتلك حقائق توحى بأنه صور كممثل إلهي لكل هذه الكائنات الحية الأولى التي نشأت منذ فجر التاريخ على التل البدائي حيث اختلطت به وفق تفسير لاهوتي ، وتبدو هذه النتيجة مؤيدة ببعض النصوص التي تقول بأن الآلهة هم الذين اندمجوا في أتوم وليس الكائنات الحية الأولى » (كرمر / آتس ١٩٧٤ : ٣١) .

ويروى لنا نص اسطوري كيف أن الإله أتوم خلق نفسه بنفسه بقدرته السحرية :



(ب)

(ا)



(ج)

شكل (١٥) الإله الخالق في أون (هليوبوليس)
١. الإله خبيرا ورمزه الجعران ب- الإله رع ورمزه طائر اللقلق (ينو) (فونكس) ج- الإله أتوم

«أنا (نور) أنا الواحد الأحد ، ليس كمثلي شيء .. لمقد جلبت جسدي الى الوجود بفضل قدرتي السحرية ، لقد خلقت نفسي بنفسي وشكلت نفسي حسبما كنت أتمنى ، حسب رغبتني » (لالوت ١٩٨٦ ج ١ : ٣٠) .

وهكذا تشكل الخالق الإله الشمسي وسيطر حتى على الهيولى السابقة عليه ولكن أتوم صار رمزاً للشمس المعجوز الغاربة وكان لا بد من وجود ثلاثة أشكال هي خبيراً ورع وأتوم أشكالا إلهية للشمس المشرقة والدائمة والغاربة . وهو ثالث أون (هليوبوليس) الشمسي . وكان لأتوم زوجتان هما : إيوسحاست ونبييت حوتب . أما رع فله ولدان أو مظهران هما : هو(تاست) وسا(توج) .

حـ. الإله بتاح (إله منف):

غلبت على الإله بتاح الصورة المعنوية لا المادية ولذلك لم تكن له صورة مادية تتمثل بظهور من مظاهر الطبيعة كالشمس أو القمر أو الهواء أو النجوم . وحتى مظهره الشمسي كان معنوياً ورمزياً ، لأن الإله الخالق في مصر كان لا بد أن تكون له مسحة شمسية . وكان الإله بتاح راعياً للحرفيين والبنائين ومخترعاً للفنون وكان المعجل أبيس هو رمزه الحيواني المقدس .

وقد صور كهنه منف الإله بتاح على أنه الخالق القديم ، وأن الأرباب التي عرفها البشر لم تكن غير صورة منه ، وأنه منذ استوى على عرشه لأول مرة كان روحاً للكيان المائي العظيم بكل ما احتواه من آلهة هيولية ذكرية وأنثوية على شكل صفادع وحيات . وقد صار الإله بتاح أباً لأتوم الشمسي وبذلك اندرج ، بسبب شمولية وعلمه ، في النظام الإلهي الشمسي .

والإله بتاح في حقيقته إله لوغوسي لأنه خلق الكون عن طريق الكلمة التي تجسدت عبر مرحلتين الأولى خفية هي الفكرة والتي يمثلها القلب ، والثانية علنية وهي الكلمة التي يمثلها اللسان . فقد كان يخلق العالم والناس والآلهة والأشياء بمجرد أن يفكر بها في داخله ثم يطلق اسمها فتخلق .

وقد صار ، فيما بعد ، الإله حور قلبه والإله نحوت لسانه . وتكون ثالث منف من الإله بتاح أباً والآلهة سخمت إلهة القوة أمماً ، أما الابن فهو الإله نفرتوم الذي يمثل زهرة اللوتس .

ويُفسر اتخاذ (بتاح) صفة إله الحرفيين أو الصنّاع أنهم حين كانوا ينتحون أو يرسمون أو يشكلون أو يكتبون ، فإنهم يخلقون على هيئة تماثيل أو نقوش أو تصاوير أغلفة ، هي كتل أو مجرد ملامح ، في الإمكان أن تدب فيها الحياة عند النطق بالكلمات من قبل الإله بتاح ، ولذلك فإن الحرفيين كانوا يعرفون باسم (سي عنج) أي (ذاك الذي يحيي) وفضلاً عن ذلك فهي طريقة لإسباغ الخلود على الخلق الجديد ، من خلال إيجاد أشكال تغالب الأيام ، فتحييها عناصر الكائن اللامادية (انظر لالويت ١٩٨٦ ج٢: ٢٨) .



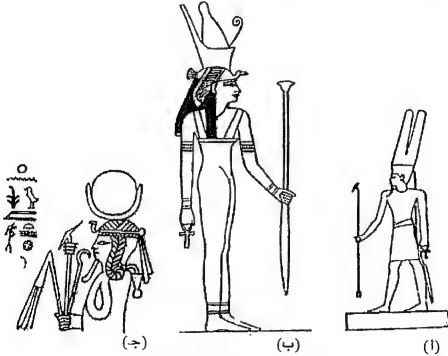
شكل (١٦)
الإله بتاح

د. الإله آمون (إله طيبة):

الإله آمون يعني (الخفي) وكان إله طيبة (واست) وكان مثل بتاح ذا صفة معنوية ولم يأخذ شكلاً مادياً . وقد جعل منه كهنة طيبة المصدر الأثلي القديم للآلهة جميعاً فهو الخالق الأعظم وهو الإله الأكبر الذي أوجد ذاته بذاته ، شأنه في ذلك شأن أنوم ، ولم يكن هناك إله آخر غيره ليخلقه ، ومن ثم فلم يكن له أب ولا أم ، لم يكن مرنياً ، وإنما ولد في الخفاء ، واستمر فرداً حتى أتم عهداً قدره لنفسه وحين ذلك اختار لنفسه مكاناً قدسياً أرى إليه واستقر فيه ولذلك رمزوا له بالشعبان وتخيلوا مأواه في عالم سفلي بعيد يقع مدخله في مكان قرب مدينة (حابو) غرب طيبة وسموا هذا المكان (يأت ثامو) وحاز آمون على لقبين آخرين هما (آمون نف) أي (خفي الاسم) والآخر هو (كم أنف) أي (الذي أتم عهده) (انظر مهران ١٩٨٤: ٢٦٢) .

ويبدو أن الإله آمون كان خفياً اسماً وشكلاً ولكنه كان حين يباشر عملية الخلق يظهر في/ أو مع الآلهة الأخرى المعروفة في مصر كما سنرى في التكوين الثالث ولكنه سرعان ما يعود إلى شكله الذي أتم عهد (كم آتف) هو الشكل الأزلي القديم له . وكانت طريقة خلقه استيلائية أي أنه كان يستولي على الآلهة الذين سبقوه ، ويصبح هو خالقهم ويوضح هذا الإجراء طبيعة الدولة الحديثة التي جسدت به قدرتها على امتصاص كل ما سبق من عقائد . ولكنه كان بحق الإله الذي سطعت تحت لوائه حضارة مصر في طورها الذهبي . وهكذا صارت واست (طيبة) هي أول مدينة ظهرت في الوجود ، وهي الماء الأول (نون) والأرض الأولى (التل الأزلي) حيث ظهرت الخليفة وكونها آمون .

وكان ثالث طيبة يتكون من آمون وزوجته (موت) التي كان رمزها الرخمة وابنه (خونسو) الذي كان إله القمر الذي يرمز له بالصقر .



شكل (١٧) الثالثون الإلهي لطيبة

١- الإله آمون (الأب) ب- الإلهة موت (الأم) ج- الإله خونسو (الابن)



شكل (١٨)
الإله آتون

هـ. الإله آتون (إله تل العمارنة أو أخيناتون)

تعد المائدة الكبرى التي خرج بها أخناتون إلى العالم حدثاً نادراً في تاريخ الأديان القديمة النزاعة في غالبيتها إلى تعدد الآلهة .

فقد بشر أخناتون بالإله (آتون) الذي يعني قرص الشمس والذي رمز له بهذا القرص مع أشعة تنتهي بأيدي تمنح الحياة لمن يطلبها ، ولم يصور الإله آتون بصورة إنسان أو حيوان مطلقاً كما هو حاصل مع جميع الآلهة المصرية .

ورفض أخناتون (نبي أو رسول الإله آتون) أن يكون الإله آتون له علاقة بهيولى العالم القديم أو أنه مظهر من مظاهر الطبيعة ورأى أنه الخالق الواحد الأحد ولا شريك له من الآلهة :

«ما أكثر مخلوقاتك

وما أكثر ما خفي علينا منها

انت إله يا أوجد ولا شبيه لك

لقد خلقت الأرض حسبما تهوى أنت وحدك

خلقتها ولا شريك لك

خلقتها مع الإنسان والحيوان كبيره وصغيره

خلقتها وكل ما يسعى على قدميه فوق الأرض

وكل ما يخلق بجناحيه في السماء» (أوبكر ١٩٦١: ٩٧-١٩٨) .

وأنا لنلمح الشكل المادي للإله الخالق هنا في صيغة قرص الشمس (أتون) الذي عُبد في مصر قبل اخناتون وكان إلهاً ثانوياً لكنه ارتفع إلى أقصى شكل توحيدي له في عصر اخناتون ، وربما كان مصدر هذا الإله غير مصري فاسمه يدل على اشتراك واضح مع الإله السومري (أوت) إله الشمس في سومر .

و. الإله خنوم (إله أبو أو الفاتنتين):

الإله خنوم إله الشلال كان منذ أقدم العصور إلهاً محلياً في منطقة الشلال الأولى في الإقليم الأول من أقاليم الصعيد وعُبد في إسنا وغيرها من المدن الكثيرة ، وكان إلهاً خالقاً اشتق اسمه من فعل (خنم) أي (يخلق) وهذا يشير إلى أنه كان إلهاً خالقاً منذ البداية ولم تسبغ عليه صفة الخلق كغيره من الآلهة . وكان خالقاً للآلهة والبشر والنيل و (صانع كل ما هو كائن وكل ما سيكون) .

كان الكيش الأفريقي رمزه ، ولذلك كان يصور في هيئة رجل له رأس الكيش وأمامه دولاب الفخار حيث يضع فيه ما يشاء من الآلهة والناس ، إن الإله خنوم بطبيعته المائية مع دولابه الطيني أو الفخاري يشير إلى أن الإله هنا هو إله مائي يستعمل الطين لخلق ما يريد ، وهذه المفارقة أخرجت الإله الخالق في مصر عن طبيعته الشمسية في الغالب .

وكان ثالوث مدينة أبو يتكون من خنوم وزوجته عنقت (سيدة ماء النيل) رمزاها الغزالة أو زوجته الثانية سات إلهة الماء والرطوبة ورمزها البقرة .

«خنوم- رع إله عجلة الفخاري ، الذي أسس الأرض بساعديه

الإله الذي يوحد الأبدان في بطن الأم ، البناء الذي يعمل

على ازدهار الفرخين ، الذي يحيي الكائنات التي ما زالت

في طفولتها بفضل نسمة فمه ، الذي يغمر البلاد بأمواءه الـ (نوو)

الدافقة ، في حين تحيط به الدائرة السائلة الكبرى ، ويحيط به

بحر الأطراف العظيم» (لالويت ١٩٩٦ ج١: ٢٨) .

وهناك نصوص مصرية قديمة أعطت الصبغة الشمسية للإله خنوم بل وجعلته يأخذ أوامره من الإله (رع) .



(ب)



(ج)



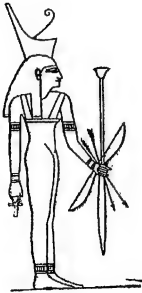
(ا)

شكل (١٩)

أ- خنوم الفخاري

ب- خنوم (الذي في شمس)

ج- ساتيس زوجة خنوم



شكل (٢٠)

الإلهة نيت القواسة

ز. الإلهة نيت القواسة (إلهة سايس):

الخالق السابع في المثلولوجيا المصرية هو الإلهة (نيت) صاحبة القوس (القواسة) وهي إلهة مدينة سايس (صا الحجر) في غرب الدلتا وكانت إلهة للصيد، وقد ورد ذكرها منذ عصر ما قبل الأسرات على فخار نقادة واعتبرت في الدولة القديمة ابنة (رع) لكنها سميت بعد ذلك (أم رع) وصارت زوجة الإله (خنوم). ولعبت دوراً مهماً في المعتقدات الجينية منذ متون الأهرام. وكانت تصور على هيئة سيدة تلبس تاج مصر السفلى الأحمر وتمسك بيدها قوساً وسهمين (انظر صادق، الموسوعة المصرية: ٣٩٤).

وتحكي أسطورة خلقها أنها انبثقت من ذاتها من قلب (النور) والارض ما زالت في ظلماتها. وصارت بقرة ثم صارت سمكة بياض وأخذت تسير في طريقها حتى ضاعت البصر بعينيهما فكان النور، وارتفعت أكمة وسط المياه هي (أسنا) وتسمى أرض المياه ومدينة سايس التي خلقت عليها كالجعران، ثم ظهرت مناطق أخرى في مدينة سايس وسميت أرض سايس أرض الترويح. وفي هذا المكان ستخلق الآلهة ثم الشمس، ثم بقية العالم عن طريق الكلمة كما سنرى في التكوين الثالث.

وهكذا تمثل أسطورة الإلهة الخالقة (نيت) أسطورة مثالية للجمع بين طريقتي الخلق الانثوي (باعتبارها إلهة) والخلق الذكري (عن طريق الكلمة) وهو توصل نادر جسده أسطورة هذه الإلهة خارج النظام الشمسي للخلق. وقد شبه اليونان هذه الإلهة بعبودتهم أثينا (بدلالة القوسين) واعتقدوا أنها تشق الطريق أمام فرعون عند خروجه إلى الحرب وتتولى حمايته.

وفيما يلي النص الذي يشير إلى خلقها:

«إن أب الآباء، وأم الأمهات، الكائن الإلهي الذي استهل وجوده في البدء، كان موجوداً في قلب الـ (نور) لقد انبثقت من ذاتها، بينما كانت الأرض لا تزال في، الظلمات، ولم يكن نبات ينمو. اتخذت في البداية شكل بقرة حتى لم يكن في مقدور أي إله، في أي مكان كان، أن يعرفها، ثم تحولت إلى سمكة بياض وعندئذ بدأت تسير في طريقها. أعضاء البصر بعينيهما فكان النور. عندئذ قالت: هذا المكان الذي أنا موجوده فيه، فليصبح من أجلي أرضاً يابسة في قلب الـ (نور) حسب الكلمات التي نطقت بها. وصار هذا المكان أرض المياه، ومدينة سايس» (لالوت ١٩٨٦ ج١: ٤١).

٣. التكوين الثالث

الكون والآلهة والبشر

بعد أن ظهر الإله الخالق كان لابد ، بعد أن استوى على عرشه ، من أن يبدأ بعملية الخلق التي كانت تشمل خلق الكون (كوسموغونيا Cosmogony) وخلق الآلهة (Theogony) وخلق الإنسان (Anthropogony) وقد تم خلق هؤلاء جميعاً في وقت واحد في المثلولوجيا المصرية طبقاً للمعتقد المصري الذي يرى بأن مادة خلق الكون والآلهة والبشر واحدة وأن لا فرق بينهم ، وهذا المبدأ تجسيد للقوة السارية الواحدة في الوجود . وقد أذيت الحواجز بين الآلهة والإنسان (كما سنرى) لتطابقهما في النوع واختلافهما في الدرجة فقط .

وقد اختلفت الخليقة المصرية بحسب الإله الخالق الذي كان يتبع مدرسة لاهوتية أو مثولوجية معينة ، وسنمضي بذات التقسيم الذي مضينا فيه في التكوين الثاني شارحين ما خلقه كل إله خالق من كون وآلهة وبشر .

أ. خليقة شبشي في خنمو (فردوس هرموبوليس)

لم تزودنا الأساطير بتفاصيل كثيرة ومهمة عن خليقة الإله (شبشي) ولكن ظهوره كإله للشمس وإله لللافق تم وفق تصور خاص لا يخلو من نبرة تلفيقية ، فقد كان هذا الإله (الابن الرائع للشمس) على شكل «زهرة لوتس على هيئة جعران برأس كبش واتخذت شكل طفل يضع أصبعه على فمه ويحمل تاجاً عليه صل» (لالوت ١٩٨٦ ج ١ : ٣٧) .

ويشير هذا إلى تأثير بمدارس أخرى معروفة (خبيرا ، أمون ، رع) ولكن أهم ما نعرفه هنا هو أن الإله في زهرة ، وهو تقليد شعائري دائم وثابت لعقيدة هرموبوليس (خنمو) الذي كانت شعيرة تقديم زهرة اللوتس مبدؤه الأساس «وسواء هي زهرة اللوتس الزرقاء أو زهرة اللازوردية أو زهرة اللوتس الفضية ، فإن رفع الزهرة حتى الأنف الإلهي أثناء الخدمة الإلهية ، داخل المعبد ، يعتبر رمزاً للحياة الشمسية » (المرجع السابق) .

أما هذه الزهرة المركبة في رمزيته والتي يبدو أنها لخصت الخليقة كلها في نظامها الرمزي (كزهرة تدل على النبات وحيوان يشير إلى الجعران والكبش وكطفل يشير إلى الإنسان وكشمس يشير إلى الكون والآلهة) هذه الزهرة خلقت في زمانها « الجمال والرفق

والسعادة وفي عصرها جاء إلى السماء ناموس الحقيقة والعدالة (ماعت) واتحد مع أهل الأرض . وفي زمن الآلهة السابقة ، كانت الأرض تفيض بالخيرات والبطون متخمة والمجاعة لا وجود لها في القطرين والجدران لا تهدم والشوكة لا تحز . لقد خلقت الآلهة الدائمة قرص الشمس ، والبشر وجميع الأبرار في عصرهم . وهبط ناموس الحقيقة والعدالة على الأرض ، وتأخى مع الآلهة - وفي زمن الآلهة السابقة ، كان الطعام وافراً في جسد البشر ، والشر لا وجود له على سطح الأرض ، والتمساح لا يخطف فريسته والثعابين لا تلدغ» (المرجع السابق) .

ويشير هذا المشهد إلى العصر الذهبي حيث عاشت فيه الحيوانات والبشر والآلهة في سعادة وتضامن ، وقد يذكرنا هذا المشهد بصورة دلون في المثلوجيا السومرية . حيث وصف الفردوس الإلهي هذا بتشابه كثيراً في المثلوجيا السومرية والمصرية ولا يستدعي ذلك بالضرورة وجود مؤثرات في بعضهما . وربما كانت صورة العصر الذهبي للإنسان واحدة في كل الأم .

ب. خليفة أتوم في أون (تاسوع هليوبوليس)

شكلت مثلوجيا الخليفة في أون (هليوبوليس) مجعماً إلهياً منتظماً أثر بعمق في كل مثلوجيات الخليفة الأخرى وأصبح أبرز علاماتنا على الإطلاق . كان الإله الخالق أتوم يقع على رأس هذا التاسوع وقد بدأت أول مرحلة للخليفة عندما وجد هذا الإله نفسه وحيداً فقرر أن يخلق أبناء له من نفسه وذلك عندما أخذ من نفسه ويده كمية من (المني) ووضعها في فمه بين أسنانه وشفتيه ثم عطس فكان الإله الذكور (شو) إله الهواء ، ثم تفل فكانت الإلهة الأنثى (تفنوت) إلهة الرطوبة . وحين يكون الحديث عن الإله (رع) بصفته (أتوم) يكون ابنا (رع) هما (شو) و (ماعت) باعتبارها نظيرة (تفنوت) ، وهذا يشير إلى أن النظام الكوني الذي عبرت عنه ماعت أول ما ظهر في هرم الخليفة .

لقد خلق (شو) و(تفنوت) على التل الأزلي ، وهناك نصوص أخرى تشير إلى أن أتوم ظل في مياه نون ، حيث أنجب فيها ولده وابنته ، وتعهدتهم بالرعاية (عين أتوم) حيث انفصل(شو) و(تفنوت) في أحراش مياه نون ثم أرسل أتوم عينه لتجيء بهما ، ولكنه في

الوقت نفسه استبدل هذه العين بعين أخرى أشد لمعاناً ، بما أغضب العين الأولى كثيراً ،
وحينئذ أخذها أتوم ووضعها على مقدمة رأسه ، حيث تستطيع ان تحكم العالم الذي كان
على وشك أن يخلقه .

هذه هي أسطورة نشأة العين (إلهة العين) التي صارت إلهة مدمرة وكان يعبر عنها في
مصر بالشمس المحترقة . . . وارتبطت مع الإلهة الكوبرا (أديج) التي كانت توضع على رؤوس
الفراعنة رمزاً لقوتهم .

اما كيفية خلق البشر فقد تمّ بعد أن عاد شو وتفنوت إلى أبيهم أتوم فسالت دموعه من
الفرح ومن هذه الدموع جاء البشر (انظر مهران ١٩٨٤ : ٢٤٨) .

ويشير أحد النصوص إلى أن الآلهة ظهروا من عرق رع ، في حين نرى هنا أن الناس
ظهروا من دموع رع . . . ولذلك يحمل الإنسان جوهرأ إلهياً لا يختلف ، إن لم يكن أرقى ،
من الجواهر الإلهية لما تبقى من الآلهة .

ثم تناسل (شو) و (تفنوت) وأنجبا الإلهين (سب) أو (جب) إله الأرض والإلهة
(نوت) إلهة السماء .

وكان هذان الإلهان يعيشان أول الأمر مع والديهما في النون ثم رفع الأب (شو) ابنته
(نوت) إلى الأعالي وأصبح جب أسفلها وقد عدلت هذه الصورة فأصبح الأربعة يلتقون
ويتعانقون بعد غروب الشمس كل يوم ويبقون هكذا إلى أن يجيء الصبح فينهض الإله شو
بينهم ويضع نوت على أربعة أعمدة حتى المساء ليسمح بعبور (رع) في جسدها وتكرر
هذه الحالة كل يوم .

وكانت الإلهة (نوت) تصور في هيئة بقرة تمثل أرجلها الأعمدة الأربعة التي ترفع
السماء ، وكان رع في السابق يركب على ظهرها ليشرق على العالم ثم أصبح يرحل على
بطنها بزورقة (وهذه الأسطورة جزء من أسطورة رع وفناء البشر كما سنرى) . وكانت هذه
البقرة تستند إلى آلهة حح الثمانية (حح تعني مليوناً) وصار (شو) تحت البقرة ورفع يديه
ليسند بطنها ويحرس حح الثمانية . ولأن رع يركبته يصل إلى أعلى بطنها فإنه في طريقه
إلى الغياب ولذلك تزيت بطن البقرة بالنجوم التي تظهر في الليل . ومنذ عصر الدولة
الحديثة ، في الأقل ، تغيرت صورة نوت من بقرة إلى امرأة مستطيلة الجسد ومنحنية على
الأرض تلمسها يديها وكان شو يرفعها .



شكل (٢١) تاسوع عين شمس

- ١- الإله رع
٢- شو (الهواء) وتفنوت (الرطوبة)
٣- الإله شو يرفع السماء (نوت)، والإله جب الأرض
٤- الآلهة أوزيريس، إيزيس، نفتيس، ست.

صارت العين اليسرى لأتوم تفنوت وانفصلت عنه وصارت القمر وهذا يفسر صلة الرطوبة والماء بالقمر، أما العين اليمنى لأتوم فصارت (شو) وانفصلت عنه وصارت الشمس، وهذا يفسر صلة الهواء الجاف بالشمس .

أما المرحلة الأخيرة في تأسيس أون فيتكون من رابوع إلهي متلازم شكل نواة الأساطير الشعبية القديمة في مصر . وهم أربعة آلهة أخوة ظهرُوا من زواج السماء والأرض (نوت وجب) :

- ١ . الإله أوزير (أوزيريس) : وهو إله الخضرة .
- ٢ . الإلهة ايزة (ايزيس) : زوجته وهي رمز الالهة المؤنثة .
- ٣ . الإله ست (ست) : إله الصحراء والليل وهو رمز الشر .
- ٤ . الإلهة نبت حت (نفتيس) : زوجة ست و (سيدة الدار) .

وإذا نظرنا من زاوية الخصوبة والجفاف إلى هذه الآلهة الأربعة فيمكننا القول أن هذه الآلهة تمثل صراع الحياة الخصبة ضد جفاف الموت في مصر فاوزير يمثل النيل الذي يسبب خصوبة الأرض وإنتاجها للمحاصيل ، وتمثل ايزة الأرض السوداء التي تنتج المحاصيل بعد إرتوائها من مياه النيل ، بينما يمثل ست أرض الصحراء القاحلة الحمراء ، وتمثل نفتيس تلك الأرض البور التي كانت مهيشة للإنتاج إذا ما وصلتها مياه النيل (انظر مهراڤ ١٩٨٤ : ٢٤٥) .

وإذا نظرنا من الزاوية الوجدانية فأنا سنرى في أوزير العاشق القليل وفي ايزة الحبيبة المضحية وفي ست العدو للمنافس في الحب وفي نفتيس الصديقة المؤاسية .

ورغم أن الأساطير حاولت أن تؤكد على هذين الجانبين (الخصبي والعاطفي) في رسم صورة هذه الآلهة . إلا أننا استطعنا أن نهتدي ، من خلال قراءة متأنية لأسماء هذه الآلهة ، إلى تفسير شمسي حاولت الأساطير تحاشيه والابتعاد عنه ودفتنه بعيداً في أغوارها ، وأبرزت الشكل الشعبي الخصب لها .

وتتمثل قراءة لهذا الرابوع الإلهي بالشكل والتسلسل التاليين :

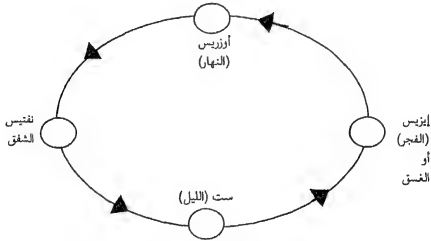
- ١ . إيزيس : ومعنى اسمها يشير إلى بداية الفجر أو اللحظات الأولى من ظهور الشمس في الأفق (الفسق) .

٢ . أوزيريس : ومعنى اسمه يشير إلى دائرة الاقح أو ظهور الشمس في كبد النهار .

٣ . نفتيس : ومعنى اسمها يشير إلى أول لحظات الغروب (الشفق) .

٤ . ست : ومعنى اسمه يشير إلى الليل .

واذا اتبعنا هذا التسلسل فأنا سنلاحظ الشمس وهي تتحرك من الفجر على شكل إيزيس ثم تصير ساطعة على شكل أوزيريس ثم تبدأ بالغروب على شكل نفتيس ثم تغرب تماماً على شكل ست كما في الشكل التالي :



ويمكننا هذا التفسير وهذا المخطط مفتاحاً للكثير من المشكلات وتفسيراً للكثير من الأمور التي تعج بها مثولوجيا أوزيريس وعالم الموتى .

إن المنظار الشمسي الذي رأينا به الآلهة الخصيبة هذه يعيد الايقاع المنسجم الذي وضعت به المثولوجيا المصرية هذه الآلهة في النظام الشمسي لها .

ونلاحظ أيضاً أن ست كان يلاحق إيزيس بالشر وإيزا كانت تلاحق أوزيريس بالخير وأوزيريس كان على علاقة مع إيجابية مع نفتيس (ربما خلف منها انوبيس) ، ونفتيس كانت تلاحق ست بالشر وهكذا تكون الملاحقة السفلية شريرة والعلوية إيجابية أما الملاحقة المباشرة من ست لأوزيريس وكانت مباشرة وعمودية صاعدة من أقصى الشر والليل إلى

أقصى الخير والنهار ولذلك كانت قاتلة ومدمرة . ولم يستطع أوزيرس أن يرد عليها مباشرة بل من خلال ابنه حور الذي يمثل الملك الشمس الذي صبق ببقوته ست . . . وهكذا . . .



شكل (٢٢)
الإله أنوبيس

ج. خليقة بتاح (تاسوع منف)

اختلفت خليقة بتاح للوغوسية عن خليقة رع الجنسية فقد خلق بتاح العالم والآلهة والإنسان بالكلمة ، وكان يسمى ما يريد في قلبه كفكرة ثم يطلقها على لسانه ككلمة أو اسم فيخلق ما يريد . وقد وضع كهنة منف الإله بتاح كإله خالق للنون نفسه الذي يرمز للثامون الهوليول وللذلك يقوم الإله بتاح بخلق (نون) وزوجته (نونه) ثم يخلق تاتن الذي هو التل البدائي الذي خرج منهما بكلمة بتاح ، وبكلمة بتاح خرج من هذا التل أتوم ، ثم خلق نفرتوم (زهرة اللوتس) والشعبان ، ثم خلق حور وتحوت وهما قلب ولسان بتاح وبهما خلق العالم والأشياء والآلهة الأخرى والناس .

وهكذا اعتبر الإله بتاح (الفتاح والبناء والخلق) هو الإله الخالق والمتحكم بالقضاء والقدر هو رب الرابية التي ظهرت في منف وليس في عين شمس ولذلك كان يلقب بـ (تاتن) أي إله الأرض العالية ، وهكذا أعلن المنفيون أن الأرباب الذين عرفهم البشر جميعاً لم يكونوا غير صور من بتاح أو أقانيم له وأن بتاح هو الرب الخالق القديم وقد صار بمثابة (القلب واللسان) لهم جميعاً (انظر مهراڤ ١٩٨٤ : ٢٥٦) .

ولكي يتم الاستيلاء كلياً على تاسوع أون أصبح بتاح قلب ولسان تاسوع أتوم ومن ثم فقد سلبوا من أتوم كل عمل خلاق وكل قدرة ونشاط في الخلق والإبداع . وهناك ما يشير إلى أن المنفيين اعتبروا بتاح التل الأزلي نفسه ، أي أن بتاح هو الأرض نفسها وهكذا يبدأ



نفرتم
(اللوتس)



بتاح
(الخالق)



تاتن
(الطل)



حورس
(القلب)



تحوت
(اللسان)

شكل (٢٣)
بعض أعضاء تاسوع منف

خلق الكون من التل الأزلي إلى الأرض ، ولكي يضم لذلك الشمس والقمر نقول أن حورس كان يمثل الشمس ، ونحوت كان يمثل القمر قديماً وهكذا مثلاً هذان الكوكبان بالإضافة إلى تمثيلها للفكرة والكلمة . وكان الشمس والقمر كلمة الكون وسره اللوغوسي .

وكذلك خلق بتاح الإنسان عن طريق الكلمة وأعطاه قلباً ولساناً لكي يصنع بهما ما يريد .

أما الآلهة الأخرى فقد صنع أشكالهم من التماثيل باعتباره إله الصناعات والفنانين ثم أدخل الكلمة إلى جوفهم فصار الآلهة وخلقوا ، وظلت هذه التماثيل شواهد على خلقه . وهكذا فإن كل الآلهة و (كائنات) هذه الآلهة قد جمعت أنفسها له ، راضية ومقترة بسيد الآلهة .

وهو الذي خلق المدن وأسسها وصنع النظام السياسي لها ، وهو الذي صار الهاً للموتى ولجبانة منف (السقارة) ولذلك صار الإله بتاح سكر ومثل برأس صقر دلالة عليه . ولكي يكتمل المشهد الخلفي الشامل لبتاح كان لا بد أن يرتبط بالإله أوزير إله الخصب من ناحية وإله عالم الموتى من ناحية أخرى . وبذلك ظهر المثلث الإلهي (بتاح- سكر- أوزير) الذي مثلوه على هيئة رجل برأس جعران ، وأحياناً كان كصورة مومياء ملتحية تعلوها الريشتان وقرص الشمس وقرون الخروف ، وكان إلهاً جنزياً . وقد ارتبط بتاح ، كما رأينا ، كذلك بالإله نون ، ثم الإله جعبي إله النيل ومصدر الخصب ، وجب إله الأرض ، وتتن إله الأرض القديم والذي يمثل التل الأزلي ، وشو الذي يصعد إلى السماء وحتى أنون (انظر مهران ١٩٨٤ : ٣٠٥) .

د. خليفة آمون (امتصاص الخليقات السابقة)

كان آمون (إله واست أو طيبة) على شكل ثعبان يتخذ العالم السفلي مقراً له والعالم السفلي هنا مكان محدد في واست وهي أول مكان ظهر من النون على شكل تل أولي ويقع تحديداً في مكان غرب طيبة في مدينة حابو اسمه (يات ثامو) ومن هذا المكان انطلق آمون وبدأ بخلق الأرض ولذلك سمي (ايرتا) .

وفي مدينة الأشمونين بعد ان حشر كهنة طيبة الإله آمون وزوجته ، فبدلاً من الزوج الرابع (كبره وكبرهه) أصبح (آمون وامونيت) هما الزوج الرابع للثامون الهيليوي الأشموني ، ثم أصبح بالتدريج هو الإله الأعظم في الهيليوي وأصبحت بقية الآلهة السبعة شكلاً من أشكاله . وتطور الأمر أكثر حين أصبح بمرور الزمن إله الهواء في مدينة الأشمونين وبذلك صار حفيظاً على مقومات الحياة وشريكاً في توليد شمس السماء والصورة الأصلية لإلهها وصار لقبه الجديد هو (الحفيظ) ثم صار لقبه (أمون رع) لسيطر كلياً على الهوية الشمس ، واتجه الإله إلى مدينة (أون) وسيطر على تاسوعها ثم اتجه إلى منف وسيطر على عرش بتاح ثم عاد إلى طيبة واختفى في جحره القديم كشعبان . وكان يسمى أيضاً بـ (الموقوفي العظيم) لأنه خلق العالم من بيضة وكان يرمز له بالوزة .

وهكذا خلق آمون الكون كله وعاد مختفياً في مكانه . . . وحقيقة الأمر أن ليس هناك قصة خليقة منظمة للإله آمون بل هناك محطات اكتساح او استيلاء متتالية للعواصم التكوينية الإلهية القديمة (الأشمونيين ، أون ، منف) كان هذا الشعبان يستولي عليها واحدة بعد الأخرى . وهكذا نجد ان الاله آمون شكل النموذج التفريدي (Henotheism) الأكبر في التراث اللاهوتي المصري ويأتي بعده بتاح الذي كون تاسوعاً مرقعاً ، ثم استولى على تاسوع أون . وهذا ما فعله آمون أيضاً الذي شكل له مجمعاً الهياً يتكون من (١٥) إلهاً من هنا وهناك .

وتبين هذه الترتيمة الموجهة لآمون من عصر امنحوتب الثاني مكانة آمون وقدرته :

«التعبد لـ (أمون-رع)

الثور في قلب هليوبوليس ، رئيس الآلهة جمعاء

الإله الكامل والمحبوب

الذي يهب الحياة لكل لهب وكل ماشية على السواء..

تحية لك ، يا (أمون -رع) ياسيد عرش القطرين

الذي يتزعم الكرنك ، ثور أمه الذي يهيمن على حقوله ،

(الإله) صاحب الخطوة الواسعة الذي يتزعم مصر العليا

سيد (المجاوي) وأمير بلاد (يونت)

إله السماء العظيم ، أول الأولين في الأرض ،
سيد ماهو كائن ، وسند الأشياء كلها ،
إنه الواحد الاحد ، فلا يوجد سواه بين الآلهة
إنه الثور الكامل للتاسوع وزعيم الآلهة جمعاء ،
إنه سيد الحقيقة والعدالة ، ووالد الآلهة ،
فهو الذي شكل البشر وخلق الأغنام
سيد ماهو موجود وخالق نباتات الحياة
(إنه) فاطر المراعي التي تُحيي القطعان
(إنه) القدرة الإلهية التي خلقها بتاح
(إنه) الفتى الجميل والمحبوب الذي لا تنفك الآلهة تهلل له
فاطر العالم السفلي والعالم العلوي على السواء مضيئاً بنوره القطرين
بينما يعبر السماء في سلام
الملك (رع) ملك الوجهين القبلي والبحري ، صاحب
القول الصادق ، زعيم الأرضين» (لاليت ، ١٩٩٦ ج٢: ١٦٦-١٦٧) .

هـ. خليفة آتون (أيدي الشمس تخلق ويتمنح الحياة)

يوضح النشيدان (الصغير والكبير) لاختناون قدرة الإله الواحد الأحد (آتون) على خلق الكون والناس والحيوانات والنباتات وكل الأشياء ، ولا يتطرقاً مطلقاً إلى خلق آلهة مشاركين أو أدنى أو قبل أو بعد الإله آتون ، وهذا هو جوهر فكرة التوحيد الألثوية .
وفي النشيدين تأكيد على أن الإله آتون هو الإله الخالق حيث يؤكد النشيد الصغير ما يلي :

«إيه أيها الإله الذي سوى نفسه بنفسه
خالق كل أرض ، وباريء كل من عليها وما عليها
إن الناس وقطعان الماشية والغزلان والأشجار التي تنمو
فوق البرية إنما تحيا جميعاً عندما تشرق عليهم» (مهران ١٩٨٩ : ١٥٢)

يوضح هذا المقطع خليقة أتون للأرض والكائنات الحية دون تمييز وبلا أسطورة أو قصة خليقة متدرجة . لأنه تعارض مع قصص الخليقة السابقة ووقف ضدها ، وجعل من الإله الحي الواحد الأحد خالقاً عظيماً ، ولكن السؤال هنا هو عن أي طريق خلق أتون مخلوقاته ، هل عن طريق الكلمة مثل بتاح أم التناسل والعرق والدموع مثل (رع) أم عن هذه الطرق مجتمعة مثل (أمون)!! وحقيقة الأمر أن أتون كان يخلق الكون والحياة عن طريق أشعته وضوئه فهو قرص الشمس الذي صورته رسومات اخناتون بأن له اشعة تمتد منه لتنتهي بكفوف صغيرة تمسك أحياناً رمز الحياة (عنخ) ، أي أن هذه الكفوف كانت هي التي تحمل الحياة ، وتخلق ما تريد وتمنحه هذه الحياة . وأن الشمس عندما كانت تغيب تدخل الحياة كلها في نوع من الغيبوبة والموت المؤقت ، ولذلك فإن الحياة تعود لها عندما تعود أشعة الشمس وكفوفها لتمنح الحياة من جديد ، ويوضح تلك الحقيقة هذا المقطع من النشيد الصغير :

«أنت أب وأم لكل من خلقت

عندما تشرق فإن عيونهم ترى بواسطتك

إن اشعتك تضيء العالم كله

عندما تشرق ينشرح كل قلب لأنك سيدهم

وعندما تغرب في أفق السماء الغربي

فإنهم ينامون وكأنهم أموات

يلفون رؤوسهم بالغطاء

وتقف انوفهم عن العطس

حتى يعود شروقك في الصباح في أفق السماء الشرقي .

فيرفعون أذرعهم إليك تعبداً» (المرجع السابق) .

ولماذا اردنا تحليل النشيد الكبير تفصيلاً فسرى ان الخليقة الانونية مفصلة فهو أولاً يقوم بخلق الكون والليل والنهار والحيوانات والنباتات والمياه ثم يقوم بخلق الانسان :

«أنت يا من تجعل سائل الذكر ينمو في المرأة

ومن يصنع الماء في البشر ،

أنت يا من يأتي بالحياة للوليد ، وهو في بطن امه .

أنت يا من تسكنه بتوقف دموعه

أنت يا من رعيته في الجسد

ثم تعطي الهواء ليتنفس كل من خلقت

إنه ينزل من الجسد فيتنفس يوم مولده

انت يا من تفتح فمه

وتخلق له مقومات الحياة» (المرجع السابق: ١٥٧)

ثم يشرح كيف يخلق فرخ الدجاج (الصوص) ثم يذكر كيف خلق البلدان والفصول والنيل . . الخ . ويرى اختناون انه إبن الإله أتون الذي وهب الحكمة ، ولا تقع هذه الصفة ضمن فكرة ان الملك او الفرعون هو الإبن الالهي للرب . بل ان الناس جميعاً هم أبناء الرب وانه بمثابة الأب والأم لهم وان اختناون هو الابن الذي وهب الحكمة .



شكل رقم (٢٤)

اختناون وعائلته والإله أتون يمنحهم الحياة

و. خليقة خنوم (على دولاب الضخار)

خلق خنوم نفسه بنفسه ، ثم خلق الكون حيث خلق الأرض ورفع السماوات على أعمدتها الأربعة ، وخلق العالم السفلي والمياه ، وخلق الكائنات الموجودة .

أما الآلهة والبشر فقد شكلهم من الصلصال على عجلة (دولاب) الفخار ثم خلق الحيوانات وسوى الأغنام والقطعان وصنع العصافير والأسماك وشكل الذكور المنجبين وأتى بالإناث إلى العالم .

وقد مثل الإله خنوم ، أحياناً ، بأربعة رؤوس كباش كانت تشير إلى أماكن عبادته الأربعة وإلى الآلهة الأربعة العظام الذين اتحد بهم وهم (رع ، شو ، جب ، أوزيريس) وكانت هذه الرؤوس الأربعة تشير إلى العناصر الأربعة في الطبيعة (النار ، الهواء ، الأرض ، الماء) في إشارة إلى أنه امتلك السيطرة على عناصر الخلق . ولذلك جاءت علاقته بالكباش بسبب القوة الإخصابية التي ترمز له والتي تستثمر عناصر الخليقة هذه مع دولاب الخليقة الذي تجري عليه عمليات الخلق .

لقد جعل خصل الشعر تنبت وجعل الشعر ينمو ، وسوى الجلد على الأعضاء . وضع الرأس وشكل الوجه ليعطي للملامح شخصيتها ، وجعل العينين تنفتحان وفتح الأذنين ، ومزج الجسد بالهواء مزجاً ، وجعل الفم لتناول الطعام وشكل الأسنان للمضغ ، وفصل اللسان ليتمكن من الكلام ومن الآن استطاع الفكأن أن يتباعد ، وجعل العنق للبلع والبصق أيضاً و (أوجد) العمود الفقري دعامة والخصيتين اللتين يرمحف بسببهما الفخذ أثناء الجماع ، والشرج ليقوم بوظيفته . والخلق ليزدرد واليدين وأصابعهما لتقوم بعملها ، والقلب ليقود (الكائن) . والخصيتين سنداً لعضو التذكير وأداء العملية الجنسية : والأعضاء الأمامية لبلع كل شيء والأعضاء الخلفية لبث الهواء في الأحشاء . وللجلوس أيضاً أثناء الوجبات وإمداد الأعضاء الداخلية بالحياة أثناء الليل . و (أوجد) عضو الحياة للجماع والرحم لتلقي النطفة . وهكذا تتضاعف الأجيال في مصر . و (جعل) المثانة للنبول وعضو الحياة ليقذف وينتفخ عند ضمّ الفخذين . وقصبة الساق للمشي والفخذين للتحول . إذ أن عظامها تنفذ عملها بتدبير من القلب هكذا تشكلت (جميع) الكائنات على عجلته (وفيما بعد) تغير التعبير الشفهي ، حسب كل بلد ، وصولاً إلى لغة تختلف عن تلك التي يتحدث بها أهل مصر (لألويت ١٩٩٦ ج ٢: ٣٨-٣٩) .

كانت عجلة خنوم تدور طوال اليوم كل هذا الزمن وتصنع كل الكائنات التي نعرفها ، وكان خنوم يعير عجلته أحياناً إلى الإله بتاح (سيد الفنانين) الذي كان يضع عليها بيضة العالم ليصوغ من هذه البيضة الكائنات . (شكل ٢٤) .



شكل (٢٤)

الأعلى: الإله خنوم يخلق الناس على دولابه الفخاري والإلهة حتحور تقدم لهم رمز الحياة



الأسفل: الإله بتاح
يشكل بيضة
العالم على عجلة
خنوم الفخاري.

ز. خليقة نيت (تحولات الإلهة الأم البقرة وأحاديثها)

قدّم النص ، الذي قام باكتشافه وترجمته (سرجي سونيرون) عن خليقة الأم الكبرى (نيت) القواسم ، ضوءاً شاملاً جديداً على قصة الخليقة المصرية فقد جمع هذا النص في ثناياه بعض ما ذهبت اليه المدارس والخليقات السابقة ولكنه قدّم في الوقت نفسه صياغة خاصة به ، وهو نص يعود إلى عصر الإمبراطور تراجان ولكنه بالتأكيد ذو جذور بعيدة في الزمان والمكان .

فبعد أن ظهرت (نيت) بنفسها من الـ (نوو) العظيم واجهت على ما يبدو مهمات خلق الكون والآلهة والبشر على أربع مراحل تحولت فيها هذه الإلهة الأم البقرة إلى عدة أشكال خلقت بعدها ما طاب لها من الخلق على أساس الكلمة في الغالب ، وكما يلي :

١. البقرة السمكة (لاتيس) :

وهي البقرة التي تحولت إلى سمكة بياض بعد أول خروجها من الـ (نوو) وإنشاقها من ذاتها ، وقد كانت (إسنا) مدينتها تعرف في الماضي باسم (لاتوبوليس) أي مدينة (لاتيس) وهو اسمها اليوناني ، حيث الجبانة الشاسعة للسمك المنحط الموجودة في صحراء إسنا .

وقد سارت هذه السمكة في طريقها وفتحت عينيها فكان النور ، ثم نطقت بكلمات وبزغت الأكمة التي في إسنا وعندئذ ظهرت مدينة (سايس) ثم (برنثر) ثم (به) ثم (دب) وسميت أرض سايس أرض الترويح ووسط الابتهاج العام بها ظهرت مصر كلها فوق هذه الأكمة . هذا ما كان من شأن الأرض ، أما الآلهة فقد خلقت بالكلمة ثلاثين إلهاً بأن نطقت بأسمائها وحين ظهر الآلهة حيوها وقالوا لها :

«مباركة أنت ، يا سيدة الآلهة ، يا أمنا ، يا من أتت بنا إلى الوجود . لقد صنعت أسماءنا ، بينمنا كنا لا نزال بلا شعور ، لقد فصلت من أجلنا بين النهار وبين الليل . لقد شكلت من أجلنا أرضاً يمكن أن نقف فوقها . لقد فصلت من أجلنا بين النهار وبين الليل . . . يا لفاعلية! أه . . . يا لفاعلية كل ما يخرج من قلبك أنت . أه أيها الوحيدة التي أتت إلى الوجود عند البدء . إن الزمن الأبدي والزمن اللانهائي يمران أمام وجهك » (لأوليت ١٩٩٦ جـ ٢ : ٤١-٤٢) .

ثم أطلقت على أرض (إسنا-سايس) اسم (الأرض العليا) ووعدت الآلهة بانها ستحيطهم علماً بما سيجري وعليهم أن يتذكروا مقاصدها الاربعة الخيرة .

٢. البقرة أحث:

وهي البقرة التي خلقت الإله رع (صنعتة بيديها وخلقتة في قلبها) ، يظهر هذا الإله (الذي هو الشمس) وحين فتح عينيه ظهر النور وحين أغلقها ظهرت الظلمات وولد البشر من دموعه والآلهة من لعاب شفتيه ، وكان اسمه خبى (خبيرا) عند الفجر و(أتوم) عند المساء واسمه الدائم هو (رع) الذي خرج من بيضة نيت التي وضعت فيها إفراناتها ، وفجرت مياه النور هذه البيضة فارتفعت المياه في مكان واحد ، وسقطت نقطة على البيضة وتحطمت البيضة وخرج رع .

وكان رع قبل ذلك مختفياً في قلب النور باسم (أمون) و(خنوم) . ولما كبر (رع) ألقى بنفسه حول عنقها وأصبح هذا اليوم هو اليوم الجميل لبداية السنة . وحين بكى (رع) عندما لم ير أمه ظهر البشر من دموعه والآلهة من لعابه . ثم وضعت الإلهة الأم ابنها في (مركب الشمس) وكانت تجزل له الشئاء تهليلاً معتبرة إياه ورثها .

وكانت الإلهة (نيت) قد بصقت في الـ (نور) فقامت الآلهة العتيقة بطرد هذه البصقة فصارت ثعباناً طوله (١٢٠) ذراعاً أطلق عليه اسم (أبوفيس) الذي عصى (رع) مع بني جنسه الذين انشقوا من عينيه ولذلك خرج الإله تحوت من قلب رع وتصدى لهؤلاء فأصبح (تحوت) إله هرموبوليس (الاشمونين) مع الآلهة الثمانية الهولية .

ثم ذهبت (نيت) إلى مدينة إسنا وقامت بارضاع (رع) ليقوى وسهرت على تربيته ليقف بوجه أعدائه .

٣. البقرة (محت ورت) (السباحة العظيمة):

أخرجت نيت من فمها سبعة أحاديث تحولت إلى سبعة آلهة وقامت هذه الآلهة (أحث) بوضع الإله رع بين قرنيها وسبحت في الماء (صورة مألوقة للبقرة السماوية وهي تضع الشمس بين قرنيها) .

إن الأحاديث السبعة للإلهة نيت كانت قد تحولت إلى عمليات خلق تبدو وكأن كل عملية خلق قامت بها إلهة (الأرض ، المدن ، الآلهة ، الشمس ، البشر ، أبوفيس ، تحوت) .

وقد تبنّت مدينة لاتوبوليس هذه الفكرة ولذلك كانت الآلهة الأحاديث عبارة عن العنصر الفعال لكلام الإلهة وقد ظهرت بعد نشاطها فتجمدت على هيئة مبادئ إلهية ميتة . وكانت هذه الآلهة - الأحاديث السبعة مدفونة في جبانة إلهية في (برثر) (انظر لالويت ١٩٩٦ ج٢: ٥٤) ثم رحلت الأم إلى مدن الجنوب لصد العصاة الذين يتآمرون على (رع) (وهم جماعة ابوفيس) وكان يتألق أمامها لهب سواء في الوجه القبلي أم الوجه البحري .

٤ . البقرة أوريرت:

عادت الإلهة (نيت) من جولتها الخلقية هذه إلى مدينتها الأولى (سايس) مساء يوم الثالث عشر من الشهر الثالث من فصل الجفاف وكان عيداً جميلاً وعظيماً في السماء وعلى الأرض وفي كل بلد من البلدان وعند ذاك بدلت من هيئتها وصارت الإلهة (أوريرت) البقرة أم رع ، وتناولت قوسها بيدها وسهمها بقبضتها ، وأقامت في معبد نيت في صحبة ابنها (رع) .

واحتفل الإله رع لأن أمه أوصلته سالماً معافى وأمر باقامة الأفراح وأن تشعل المشاعل أمامها وتقام الأعياد حتى مطلع الفجر .



الإلهة نيت في صورة البقرة (محت ورت) السباحة
العظيمة وهي تضع رع بين قرنيها

التكوين الرابع

ملك الآلهة (حورس)

كانت نهاية خلق الكون والنظام الكوني في المرحلة الثالثة خاتمة لمرحلة إلهية شاملة . ويبدو ان العقل المصري كان عقلاً جديلاً دائرياً فقد كان الإله الكبير الذي ظهر في نهاية خلق الكون الالهى هو الإله (حورس) الذي كان يمثل الشمس . وهكذا اعادت الدائرة المصرية انبثاق الكون من الشمس والى الشمس .

إن الطبقة الأخيرة من شجرة الأنساب المصرية تمثل الإله الملك الابن الشمس الذي جاء كما نرى من طريقين : الأول أنه واحد من أقدم آلهة مصر ، ولم تكن له علاقة بأوزيريس وأيزيس ، بل كان اله الشمس الذي ظهر أولاً في صعيد مصر ثم أصبح بعد توحيد مصر الإله الاعظم لمصر منذ بداية العصر التاريخي . وهو بسبب ذلك أصبح إله الدولة وإله الملكية الجديدة وجعله ملوك الأسرة الأولى مثلاً بالصقر شعار الملكية والألوهية في الوقت نفسه .

أما الطريق الثاني فقد جاء من تزواج أوزيريس مع ايزيس حيث ولد لهما الإله حورس الذي كان يملك صفات خصبية أرضية وليست شمسية كما سبق في الطريق الأول (وهو ابن التامسوع في عين شمس) لكن الوجهين -الأرضي والشمسي- امتزجا مع بعضهما ليشكلا صورة الإله المصري الشامل الذي جاء نتاج دمجة اللاهوتين الرسمي الفرعوني الملكي مع اللاهوت الشعبي الذي كان يمثله أوزيريس . ثم ان ظهور الشمس في خاتمة البانثيون الإلهي المصري وهي مطعمة أو منحصية بكل ما في الآلهة التي ظهرت من قوى يعطينا فرصة للتأمل في شخصية الإله (حورس) .

يمثل حورس ، من وجهة نظرنا ، الصيغة الدقيقة لفكرة اعتبار الفرعون إلهاً أو ابن الإله الشمس . لأن حورس هو مصدر الملكية وهو ابن الإله الشمس والإله الشمس في الوقت نفسه .

إن اسم (حور) أو (حر) مشتق من كلمة بمعنى (البعيد) ، وكانت أقدم صورة له أنه يمثل السماء وعيناه هما الشمس والقمر ويلمس طرفا جناحيه آخر حدود الأرض . ومنذ أيام الحضارة المصرية كان حور رمزاً للملك سواء الحاكم أو المتوفي كما بدأ يظهر ارتباطه بعبادة

الشمس منذ أيام العصر العتيق إذ أخذ يظهر رسم قرص الشمس الممنح ، ومنذ هذا العصر أيضاً نجد أنهم كانوا يرمزون للملك الحاكم بهذا المعبود (انظر فخري ، الموسوعة المصرية : ٢١٩) .

وكان الصراع الأساسي يجري بين ست وحورس باعتبارهما وجهين متناقضين للشر والخير ، الليل والنهار . وكان جذر هذا الصراع سياسياً بين إله الدلتا وإله الصحراء أو بشكل أدق بين إله مصر وإله الصحراء . ثم انتقلت أسطورة الصراع بينهما إلى الشقافة الأورزية فأصبحت جزءاً من أسطورة أوزيريس وإيزيس . وصار حورس ابن أوزيريس ودار الصراع بين ست وأوزيريس أولاً ثم بين حورس وست الذي قتل أباه .

وهناك من يرى أن الطائر (حر) هو طائر عربي صغير أغر أصقع قصير الذنب ، عظيم المنكبين والراس وقيل أنه يضرب إلى الخضرة وهو يصيد ويختلف عن الصقر ، وتستعمل كلمة (حر) إلى الآن في جزيرة العرب وشمال أفريقيا . . وهذا يشير إلى الأصل الجزيري لاسم (حور) ويعزز هذا الرأي النظرية التي تقول بأن أتباع حور جاءوا في فترة مبكرة من التاريخ من شبه جزيرة العرب إلى الشاطئ الأفريقي في أرتيريا ، ثم ساروا مخترقين البلاد حتى وصلوا إلى صحراء مصر الشرقية ودخلوها عن طريق وادي الحمامات ، وكان ذلك الشعب الذي يعتنق الريشة قد وصل إلى مصر في فترة ثقافة نقادة الأولى . وهناك من يرى أنه جاء من عيلام عن طريق الخليج العربي ثم استقر في القرن الأفريقي ، ثم اتجه إلى الشمال ، ودخل مصر عن طريق القصير وقفت (انظر مهراڤ ١٩٨٤ : ٢٧٦) ومهما كان أصل الإله حور إلا أن ارتباطه بمصر منذ أبعد العصور التاريخية جعله الإله الملك الذي جسّد الألوهية المرتبطة باللوكية . لقد شكل الإله حور بؤره (الإله ، الشمس ، الملك) وبذلك جسّد خلاصة الجوهر الديني للعقيدة المصرية بوجهيها الرسمي والشعبي ، وهو الثمرة الكبرى لشجرة الآلهة (حفيد رع ، ابن بتاح) وهو ملك الآلهة (ابن الشمس) بينما رع أب الآلهة ، وهو ملك الناس (الفرعون بذاته) ولذلك كان الصقر خير معبر عنه كرمز ، وقد ظلّ الصقر إلى يومنا هذا رمزاً للملك والسيادة والقوة .

حتحور:

الإلهة حتحور زوجة الإله (حور) ويعني اسمها (بيت حور) وتوصف بانها ابنة الإله (رع) . وكانت إلهة السماء والحب والجمال والمتعة . وصورت كبقرة أو كامرأة برأس بقرة أو برأس امرأة يزين رأسها قرص الشمس بين قرني البقرة ، ولها دائماً أذنا بقرة .

وكانت أهم معابدها في دندرة (في الصعيد) ، حيث سميت هناك (حتحور العظيمة ، سيدة دندرة وعين الشمس وسيدة السماء وسيدة الآلهة قاطبة وابنة رع ، التي لا شبيه لها) وقد وحدها اليونان بافرويديت لأنها كانت إلهة الرقص والموسيقى والحب وكل ما يبعث على السرور .

وكانت تصوّر أحياناً كمرضعة لحور ابن إيزا وربة للحب والحنان والموسيقى ، فهي إلهة فرحة جذلانة ، ومن ثم فهي ربة البهجة وسيدة الرقص ، وربة الموسيقى وسيدة الغناء وربة التوثب وسيدة التيجان ، ثم صارت بعد ذلك ربة للجبانة ترعى الموتى وترأسهم ، وكانت صاحبة القاب ونعوت كثيرة ، منها الذهبية أو ربة الذهب ، وصاحبة القلادة البراقة كالسماء بنجومها ، كما كانت لها تماثيل موهبة بالذهب (انظر مهران ١٩٨٤ : ٣٣٧) .

ومنذ ظهور الدولة الحديثة انتشرت فكرة (الحتحورات السبعة) وهنّ أشبه بحوريات يرعين كل أم أثناء حملها وعند ولادتها ويحددن للمولود مستقبله . وقد أخذت شكل الحاربة بسبب تسميتها عين الشمس التي تحارب أعداء رع .

وكانت حتحور تعتبر مرضعة الفرعون (كما أرضعت ملك الآلهة حور) ولذلك توحدت حتحور مع الملكة زوجة الفرعون .

وقد أخذت دورها في العقائد الجنائزية الأوزرية وصارت سيدة الموتى ومثلت كشجرة الجميز وبزغ قرناها من هذه الشجرة تخليداً للذكرى أوزر الذي أحاطت به شجرة الجميز في شاطئ بيبيلوس في فينيقيا .

وكانت ترضع الفرعون الميت والموتى من الناس لتساعدهم أثناء تخنيطهم للوصول إلى عالم الموتى . ثم أطلق على المرأة المتوفية اسم (حتحور) مثلما كان يطلق على الرجل المتوفي اسم (أوزريس) .

وإذا كانت حتحور قد اشتهرت بأنها زوجة حور فقد أنجبت منه الإله الطفل (أحي) الذي يصور عادة كصبي يقبض على شخصيته يهزها مشاركاً في طقوس الموسيقى الدينية التي تقام لأمه وكان لها (الحتحورات السبعة) كحاميات للحوامل والمواليد الجديدة .

وكان من أبناء حورس الإله سكر الذي كان يعبر عن شمس الليل وصار إلهاً جنائزياً على هيئة رجل محنط له رأس صقر . ولإله حور أربعة أبناء يمثلون جهات الكون الأربع وهم :



شكل (٢٥)
١. الإلهة حتحور



ب- رأس حتحور (من أحد تيجان
الأعمدة من بوبسطا)



د- أبناء حوريس على زهرة في بحيرة،
يجلس على حافتها أوزيريس



ج- الإلهة حتحور تطلع الموتى
من شجرتها (شجرة الجميز)

١. حجابي الذي يمثل الشمال ، وكان يرسم برأس قرد وكان يرتبط بالإلهة نبتحوت (نفتيس) ، وتحفظ في الآنية التي على شكله أثناء التحنيط الرثتان والقلب ، ومعنوياً يحافظ على القلب (أب) .
٢. دواموتف : الذي يمثل الشرق ، وكان يصور في هيئة المومياء أو هيئة المومياء برأس ابن أوى . وكانت تحميه في دوره هذه الإلهة نوت (نيت) وتحفظ في أنيته معدة الميت ومعنوياً يحافظ على (البا) .
٣. إمستي : الذي يمثل الجنوب ، وكان يصور كإنسان ذكر بلون الأنوثة الأصفر وتشير جذوره القديمة إلى أنه كان أنثى . ولذلك فهو خنثى يجمع بين صفتي الذكر والأنثى . ويحفظ في أنيته الكبد . وكانت ترعى دوره الإلهة (إيزة) . ويحافظ معنوياً على الـ (كا) .
٤. قبحسنوف : الذي يمثل الغرب ، وكان يصور في هيئة المومياء الإنسانية أو التي لها رأس صقر . ويحفظ في أنيته الأمعاء وكانت تحميه في دوره الإلهة سركت ، ويحافظ معنوياً على الـ (سبحو) أو الـ (سا) .
- كان لهؤلاء دور كبير في حفظ أحشاء الميت أثناء التحنيط حيث توضع في أوانٍ تسمى الـ (كانوبية) ويعملون على حفظها بالاشتراك مع آلهة أنات مع كل واحد منهم .

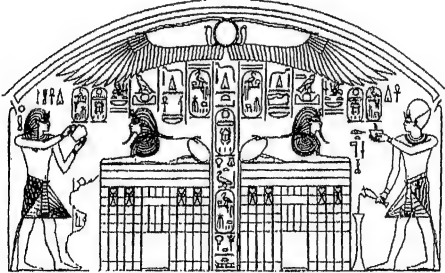


- لقد عبر الإله حورس عن نفسه في أشكال عديدة بعضها كان بمثابة الأبناء له وبعضها اتخذ مرحلة من مراحل ظهوره . ويمكننا أن نصنف هذه الأشكال الحورية كما يلي :
١. أشكال حورس المرتبطة بالشمس
 ١. حور أور (أورييس) : حورس الأكبر وهو ابنه من حتحور والذي يمثل قوة النهار والنور ويسمى وجه السماء .
 ٢. حور خوتي : الشمس في الأفقين .
 ٣. حور سماتاوي : موحد الأرضين
 ٤. حور أم أخوت (هرماخيس) : شمس الصباح وهو أبو الهول الذي سماه الأغريق العنقاء (سفنكس) والذي شمع تمثاله في الجيزة على شكل أسد رابض له رأس

إنسان يلبس غطاء رأس فرعوني . ووجهه يواجه الشمس المشرقة وهو حامي
الأهرامات الذي يمزق أعداء رع .

وتصوره الأسطورة الأغريقية (في حكاية أوديب) كوحش له وجه وتديي امرأة وجسم
أسد وأجنحة ، وقد أرسلته الإلهة اليونانية هيرا إلهة الأرض ليهدد مدينة طيبة وكان أبو
الهول يحرس عمراً على حافة جبل على البحر ويسأل كل عابر أحجية وعندما أعطى الملك
أوديب الجواب الصحيح رمى أبو الهول بنفسه من القمة وسقط في البحر (انظر كورتل
١٩٩٣ : ٤٤) .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بذلك البحث الشيق الذي قدمه إيمانويل فليكونفسكي في كتابه
أوديب واختاتون والذي يعد كشفاً عظيماً يعادل ، بل يفوق ، ما فعله فرويد عندما أثبت أن
موسى مصرياً . فقد أثبت فليكونفسكي أن كل أسطورة أوديب الأغريقية كان أبطالها
ومسرحها يعيشون في مصر لا اليونان وأن أوديب هو اختاتون وأن أبا الهول الذي يلقي
بأسئلته كان هو الإله هرمافيس وتمثاله الشهير قرب أهرامات الجيزة (انظر فليكونفسكي
ب ت) .



تحتوتمس الرابع يقدم القرابين لأبي الهول (حورام أخوت)

- ٥ . حور - آختي : وهو حورس الأفقي وكان يمثل برجل ذي رأس صقر متوج بقرص الشمس .
- ٦ . حور - أم - آحت : حورس في الأفق وهو (قرص الشمس المنح) وهو رمز شهير للشمس ظهر مبكراً في وادي الرافدين وشاع في بلاد آشور .
- ٧ . حور - سا - أمه : حورس المسن وهو الشمس الغاربة .



بحدتي (حورس أدفو)



حور-با-خرد (حوريقراط)



سماتاوي



حور-آختي



حرويرس (حور أور)

شكل (٢٦) أبناء واشكال حور

ب. أشكال حور المرتبطة بأوزيريس

١. حور - با - خرد : أي حورس الطفل ، وكتبه اليونان (حوربكراتس ، حوريقراط) وهو أحد مظاهر الإله حورس وكان على هيئة طفل عار يضع سبابته اليمنى في فمه وتندلى خصلته من الشعر على جانب رأسه ، ويمثل واقفاً أو جالساً على ركبتى أمه إيزا . وقد انتشر عبادته انتشاراً كبيراً في العصر المتأخر في جميع أرجاء مصر وفي بعض بلاد حوض البحر المتوسط ، وإلى جانب التماثيل الكثيرة لهذا المعبود نجد له تماثيل صغيرة (انظر فخري ، الموسوعة المصرية : ٢١٨) .

٢. حور خنت خات : حورس في الرحم (غير المولود) .

٣. حور سا إست : حورس ابن إيزة .

٤. حور نج أئف : حورس المنتقم لأبيه .

ج. أشكال حور المرتبطة بالمدين

١. حور أدفو (حور بحدتي) : إله مدينة أدفو .

٢. حور أتريب : إله مدينة كنشتاوي في الدلتا .

٤. حور سيدو : إله مدينة سيدو في الدلتا .

د. أشكال حور المختلفة

١. حور خنتي أرتي : حورس المتقدم على العينين (الصل) .

٢. حور مرتي .

٣. حور خنت أن ما .

٤. حور هكنو .

٥. حور بهوتيت .

٦. حور نوب .

٧. حور حتحور .

القسم الثالث

أساطير رع

تنقسم أساطير رع) إجمالاً إلى نوعين من الأساطير ، الأول يتحدث عن رع وهو في عزّ قوته عندما كان شاباً ، وهي الأساطير الدورية له لأنها تتحدث عن الدورة اليومية لرع ومقائلته للشعبان أبيب ، والدورة السماوية لرع في زورقة السماوي ، والدورة السفلى لرع وهو يجتاز البوابات الأثني عشر للدوات وتمثل هذه الأساطير العصر الذهبي لرع والعالم .

أما النوع الثاني من أساطير رع فتتحدث عن رع وهو في شيخوخته وضعفه عندما يتمرد عليه البشر وكيف تنقذه الآلهة (حتحور ، نوت ، حورس ، خنوم ، ... الخ) . ونضيف لها أسطوره مع إيزيس التي استغلت ضعفه وسرقت اسمه الخفي . وتمثل هذه الأساطير نهاية العصر الذهبي لرع والعالم .

لقد كانت جميع أساطير رع أساطير تحديات استطاع ان ينجو منها عندما كان شاباً بقوته وسلاحه ، وعندما صار شيخاً بالآلهة الذين حوله ومعه . وإذا كانت أساطير الشباب تعبر عن حركة دورية منتظمة نشطة للإله رع وهو يكتسح فيها أعداءه ، فإن أساطير الشيخوخة تعبر عن حركة متعثرة متهاكة يحاول أبنائه الآلهة صدّ تمرد البشر والأشوار عنه بالقوة حتى يبدو وكأنه استسلم أخيراً أمام الإلهة إيزيس وأعطاه اسم السري لتنتقل إليها قوته .

وربما أشارت أساطير رع هذه ، في واحد من معانيها ، إلى إحدى الدورات الكونية أو دورة الساروس كما يسميها اليونان حيث تشير أساطير الشيخوخة إلى ذبول الشمس وانطفائها ويشير هذا إلى نهاية دورة كونية شمسية وما تسليم اسم رع) السريّ اي (إيزيس) إلا إشارة إلى بدء دورة كونية إيزية . خصوصاً أنها تمثل الفجر .

أ. أساطير الشباب (رع القوي) (الأساطير الدورية لرع)

١. أسطورة المدورة الأبدية (زورق السماء)

تحكي هذه الأسطورة الرحلة الأبدية للشمس وهي تشرق وتغيب ، وتتضمن ، بشكل أولي ، مادة الأسطورتين القادمتين لكنها تتحدث بعمومية عن رحلة الإله رع من الشرق إلى السماء ووصوله إلى الغرب ، إلى عالم (الدوات) الذي هو بمثابة العالم الآخر أو الأسفل .

يتحول الإله (رع) في السماء على ظهر الإلهة السماوية التي كانت تسمى حسب العصور (نوت ، حتحور ، إيزيس) وربما كانت على هيئة بقرة أو امرأة منحنية ، وكان الإله رع يركب قارباً لأن في السماء نبلاً سماوياً . وكان هناك قاريان : الأول للرحلة النهارية على النيل السماوي ، والثاني للرحلة الليلية على النيل السفلي .

وكانت رحلته فجراً من الشرق من جبل (باخو) الذي هو الركيزة الشرقية للسماء والذي يحرسه الإله (سوبك) الإله التمساح . وكانت السماء تنفتح ، والأرض تنفتح ، الغرب ينفتح ، الشرق ينفتح ، كما ينفتح هيكل الوجهين القبلي والبحري ، الأبواب والمصاريع تنفتح من أجل رع عند خروجه من الأفق . وكان يتنفس ماعت ويخلق تفنوت في حين يتبعه رفاقه (انظر لالويت ١٩٩٦ ج٢ : ٧٨) .

«يتجلى رع متألقاً في أفقه ، إن تأسعه في معيته . وعندما يخرج من المكان السري ، تعتري الأفق الشرقي من السماء ، رعشة على صوت نوت . إنها تضفي قداسة على دروب رع أمام عظيم العظماء بينما يواصل دورته ، انهض إذن يارع . أنت الذي في مقصورتك لتستمتع بالنسيم وتستنشق ريح الشمال وتبتلع العمود الفقري وتستحوذ على النهار في شبائك وتتنفس ماعت وتنظم جماعتك ، بينما يبحر قاربك المقدس ناحية السماء السفلى . العظماء يرتعدون عند سماعهم صوتك . أنت تأمر عظامك وتجمع أعضائك وتولي وجهك شطر الغرب الجميل . وهكذا تعود كل يوم وأنت جديد بأسيد المتعة . إنك هذه الصورة الذهبية التي تسند القرص كله . إن أرجاء السماء ترتعش عندما تعود كل يوم وأنت جديد . إن الأفق في فرح وأولئك الذين بين جبال قاربك معتبطون» (المرجع السابق) .

وفي السماء يصادف الإله رع الحقول السماوية ويصادف الثعابين السماوية أيضاً ، فالحقول السماوية عبارة عن أكمام (تذكراً للأكمة الأولية) ومنها الأكمة الخضراء التي يقيم فيها الإله (حور-أحتي) وهو حورس الأفق من الهيئة الشمسية ، وحقل البوص الذي جذرانه من النحاس ويرتفع فيه نبات الشعير والعسل إلى ارتفاعات عالية .

وعندما يكون رع في سمت السماء ينظر له ثعبان اسمه (ذاك الذي فوق جبله ، ذاك الذي في لهيبه) والذي كان واقفاً على جبل (باخو) وعندئذ يتعطل القارب ويصيب مساره الفوضى لأن الثعبان بدأ يبتلع جزءاً من مياه النيل العلوي ، لكن الإله ست يسد حريته النحاسية عليه ويجبره على لفظ ما ابتلعه ثم يقرأ عليه رقية سحرية تدره بالاربطة ويكمل الإله رع رحلته .

أما المرحلة الأخيرة لرع فهي عندما يصل إلى الغروب (أي إلى جبل مانو) وهو الركيزة الغربية للسماء . ويتم الانتقال إلى الزورق السفلي حيث يهمل الموتى ويرفعون له التماساتهم ، ويمسكون حبل قارب رع في أفق مانو ليلبدأ رحلته إلى العالم الآخر (دوات) في النيل السفلي ، ويبدو أن الفكر المثلوجي لم يكن بعد قد وصل إلى ابتكار بوابات الدوات الأثنتي عشرة في هذه الأسطورة .



شكل (٢٧)

قارب الشمس يظهر فيه الإله رع في مقصورته وأمامه وزيره تحوت

٢. أسطورة الدودة النহারية (الهزيمة اليومية للشعبان أبيب) أو (كتاب الموت)

كان المصريون يتصورون أن مسرى رع في قبة السماء ، كان عبارة عن مجموعة انتصارات متتالية له على شعبان كوني ضخم اسمه (أبيب) والذي صنفه اليونان وسموه (أبوفيس) .

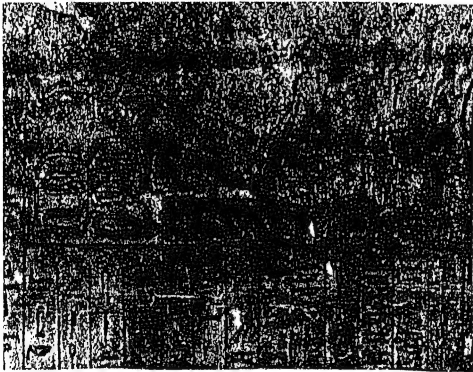
وقد ترك لنا كهنة هليوبوليس (أون) هذه الأسطورة على شكل كتاب يمكن ان نسميه (كتاب الموت) فهو كما يصفه لالويت «سيل من الالفاظ المدمرة ،الفاظ متنوعة أو على وتيرة واحدة بشكل مقصود ، إنه ترنيمة موت طويلة ، وهذيان سحري مهول للالفاظ ، هكذا يبدو لنا للوهلة الاولى هذا السفر الطقسي ، والذين يبرهن برهاناً بيناً على الأهمية القصوى التي أولاها المصريون للكلمة عند تأسيس نظام الكون . وتنهال الكلمات وكأنها سيل من اللعنات ، الفعالة وغير المحتملة ، ولكنها بلا دواء ، وهي موجهة الى أبوفيس» (لالويت ١٩٩٦ ج٢: ٩٠٠) .

وقد عثر على هذا النص الأسطوري الطقسي مدوناً على بردية (Bemner-Rhind) ويمكن تلخيصه كما يلي :

القسم الأول (التعاوين):

ويشتمل على ثلاث تعاوين الأولى للصبق على أبيب ، والثانية لسحق أبيب بالقدم اليسرى ، والثالثة للاستيلاء على الحرية لضرب أبيب . وتصور هذه التعاوين قوة (رع) وجبروته وكيف أن حرارته ستقتل أبيب ، والتعوينة الثالثة تصف الإله (حور) وهو يقف في قيودم القارب وكيف أنه ضرب بحرته النحاسية أعداء (رع) ثم تدعو (رع) و الفرعون ليقطعوا أبو فيس .

« انهض إذن إلهها الإله رع ، عاقب هذا الذي تمرد عليك ، قطع أبوفيس بالسكين تقطيعاً ، للاجهاز على جماعة الشرير ، انهض أيها الفرعون عاقب هذا الذي تمرد عليك قطع أبوفيس بالسكين» (المرجع السابق: ٨٢) .



شكل (٢٨)
الثعبان أبيب (أبو فيس)

وتقرأ هذه التعاويذ ، التي تهيب المعركة ضد أبيب ، على صورة لأبيب مرسومة بالمداد الاخضر على بردية ناصعة البياض ثم يصبق عليها عدة مرات مع بداية كل ساعة من ساعات النهار ، وحتى حلول الغسق ، وفي الساعة السادسة من ساعات النهار توضع البردية على النار مع البصق عليه وسحقه بالقدم اليسرى . . . هكذا .

القسم الثاني (الأسفار) :

ويشتمل على سفرين مكرمين للاجهاز على أبيب بعد أن هيات التعاويذ ذلك سحراً . الأول يقوم بقتل أبيب وتقطيع جسده وفصل (با) ثه عن ظله وفناء اسمه وتدمير أندرته السحرية والثاني يقول بقتل جماعته (أبناء الضعف) والمتمردين الثائرين بلا اسم المنتولين الذين أرادوا أن يرتكبوا مذبحة . ويذكر النص أن هؤلاء هم ليسوا فقط أعداء الآلهة الآخرين مثل بتاح ، آمون - رع ، تحوت ، حورس . . الخ .

« انكفيء على وجهك يا أبوفيس ، أيها الخصم الخسيس للإله رع ، استدر إلى الخلف ، أيها العدو ، أيها الثائر الذي بلا ساعدين وبلا ساقين . سوف يبتسر الجزء الأمامي من جسمك . وعناصر وجهك لقد سقطت . لقد هلكت . إن (رع حور أختي) هو الذي أجهز عليك ، لقد طردك ، لقد أدانك ، إن العين التي تنتمي الى جسده هي التي عاقبتك وقد سقطت بسبب النار الصادرة عنها » (لألويت ١٩٩٦ ج٢ : ٨٤) .

القسم الثالث (الخطاب والأوامر) :

ويشتمل على الخطاب الموجه للإله رع يصف فيه عمله كإله خالق ، والأوامر الموجهة لأبيب حيث يتولى سحر الكلمات احتواء أبيب والمتمردين . وهي خاتمة طقسية بشكل عام .

٣. أسطورة الدورة الليلية (رع في عالم الدوات)

تصف هذه الأسطورة هبوط الإله رع إلى العالم السفلي مساء كل يوم وخروجه منه صباح اليوم التالي . . . وهي أسطورة هبوط آلية سيصادف فيها الإله رع اثنتي عشرة مملكة من ممالك عالم الدوات (عالم الآخرة أو العالم السفلي) .

عندما يحلّ المساء يصل مركب الإله رع (ماعيت) إلى جبل (مانو) حيث يستبدله بقارب المساء (سيكتيت) ويبدأ بالغوص في الغروب في ظلمات الدوات عند ثغرة أبيدوس حيث تقف جمهرة من الآلهة في انتظار القارب المزين بالقرمز والأرجوان واللازورد والذهب الخالص الجميل ، وعندما يبدأ القارب بالهبوط يتعري من حلاه ويرعاريًا من الحلال في الدوات ، ويرقد فيه جسد رع ميتاً وقد فارقت الحياة ، ويمسك الآلهة بالحبال ، ويجرون القارب على صفحة النهر الحزين ويتسع النهر رويداً رويداً وتحتل ربات الليل الاثنتا عشرة أماكنهن حيث يقدن القارب خلال الظلمات لأنهن يعرفن مسرى النهر ولا أحد يعرف مسراه حتى رع ويصادف زورق رع الممالك الأثنتي عشرة وهي (انظر بدج ١٩٩٤ : ١٩٥-٢٩٨) و(الحناوي ب . ت : ١٦٥-١٨١) :

١ . مملكة نهر رع : حيث يقضي رع الساعة الأولى في هذا النهر المخاط بست أفنح على كل من ضفتيه ، وقد اندلعت النيران من أفواهها وتنتشر الأفاعي حول بوابة المملكة الأولى ، بينما الآلهة تحرس قارب رع .

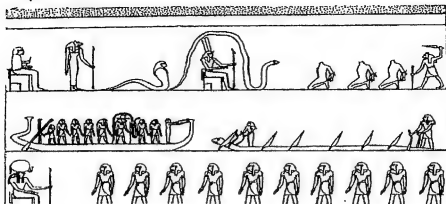
٢ . مملكة أونس (اورانوس) : حيث يتسع النهر ويحمل على مياهه أربعة روامس بلا مجاذيف ولا ساريات ، وتعيش في هذه المملكة أرواح القمح ففيها الآلهة التي تصنع القمح والشعير وتبارك المحصول فتزيد الخيرات والثمرات . وتفتح إله الساعة الثانية البوابات .

٣ . مملكة نهر الإله الواحد (اوزريس) : حيث يظهر إله الموتى أوزير على عرشه الذي استوى على الماء ، فوق غدير عميق رقراق وعلى سطحه زهرة لوتس وحيدة لونها كالسمااء ويقف عليها أطفال حور الأربعة الذين يعاونون أوزير في الحساب ويحفظون أجساد الموتى . ويظهر أوزير وهو يقوم بالحساب ويلقي الخطأة في حفر النار (الذين تهبط قلوبهم في الميزان أمام الريشة لأنها مليئة بالخطايا) . أما الصالحون (الذين قلوبهم أخف من الريشة) فيقودهم تحوت ، بعد أن توضع قلوبهم في أجسادهم ، إلى ظل. عرش أوزير حيث يعيش معه في مملكته .

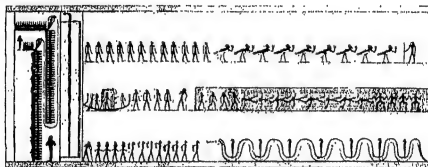
٤ . مملكة فوهة المقبرة : وهي صحراء لانهاية لها وتعج بالشعابين الضخمة المنحثة والنهر في هذه المملكة تائه بين الصخور ومجرأ عميق وشديد الانحدار ويتحول أوزير إلى أفعى تحرس قارب رع .

٥ . المملكة المختفية : حيث الإله سكر (الصقر) إله الجبانة يقيم عميقاً في باطن الأرض في جحر يحرسه أبو الهول مينا وشمالها . وترفض بينهما أفعى بثلاثة رؤوس . وقرب الإله سكر بحيرة يغلي ماؤها يلقي بالخطأة والعصاة فيها .

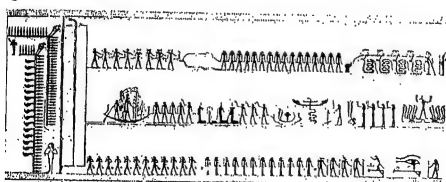
المملكة السابعة



المملكة الثامنة



المملكة العاشرة



شكل (٢٩) ممالك عالم الدوات

٦. مملكة نبع المياه : وهي تابعة للإله أوزير وعلى ضفتي النهر تماثيل للآلهة وسبعة صولجانات وأسد قوي يزأر في الظلام . وثلاثة كنوز يحرس كل منها شعبان ينبعث من فمه الذهب ، وفي تلك الكنوز أشياء غريبة (رأس إنسان ، جناح طير ، رجل أسد ، أفعى بخمسة رؤوس يرقد بين طياتها خبيرا وعند قدميه رمز اللحم وهو سيرد الحياة إلى الموتى وإلى رع الميت في القارب .

٧. مملكة الكهف السري : حيث الشعبان العظيم أبيب الذي يبتلع كل ما يأتي به النهر من ماء ، فقد يتحطم قارب رع ، ثم يفنى رع بعد ذلك ، وعندئذ تسيطر على العالم قوى الظلام والشر وتنتصر على الآلهة . وهذه الساعة هي أصعب ساعات مرور قارب رع ، ولذلك تنف الإلهة إيزيس في مقدمة القارب وترتل تعاويذها السحرية وتحرك يديها بإيماءات سحرية ، أما جثة رع فيلتف حولها الشعبان (مهن) ليحميها ، وحين يمر القارب قرب أبيب الذي يتلوى في الرمال ويستعد للقفز إلى القارب يقوم (سلك ، هرسوف) بتوثيقه بالخيال ثم يطعنانه بالمدى محاولين القضاء عليه ولكن أبيب خالداً لا يموت وينتظر كل ليلة قارب رع ليحطمه .

ثم يمضي القارب باتجاه مدافن الآلهة التي تقع جوار النهر وهي تلال عالية من الرمال ، وعلى كل تل بناء ، وعند نهاية كل تل رأس رجل يترقب مرور رع وكان هذا المشهد يذكرنا بالأهرامات وأبي الهول التي تبدو وكأنها تجسيد لأول مرور لقارب رع بعد انتصاره على أبيب .

٨. مملكة مشوى الآلهة : حيث يقيم الموتى من الآلهة وقيمون محنطين وملفوفين في لفات من الكتان يحيون قارب رع عندما يمر لكن رع لا يجيب ، ويتقدم قاربه تسعة آلهة تتقدمها أرواح تاتن الأربع على شكل كباش كبيرة متوحشة قرونها متسعة مدببة وقد توج أولها بريشة طويلة وتوج الثاني بتاج الشمال الأحمر والثالث بتاج الجنوب الأبيض ، أما الرابع فقد توج بقرص الشمس .

٩. مملكة عالم صور : حيث يجري النهر عنيفاً وتحرس القارب (١٢) إلهة من آلهة النجوم وفي أيديها مجاديف قصار ، وهذه المملكة مضيئة نسبياً لأن (١٢) من الشعبان الكبيرة الملتفة على نفسها في صفوف النهر تقذف الذهب من أفواهها ، وهناك زوامس ثلاثة طافية تحمل حيوانات تشبه البقر والكياش ولها أرواح الناس ، وهؤلاء هم الذين تقدم لأرواحهم القرابين في الدنيا ، وتستمر ربات النجوم بالغناء بينما يمر القارب بهدوء .

١٠ . مملكة نبع المياه والشلوط الرفيعة : حيث يجري النهر عميقاً ومنحدراً ويحرس القارب حراساً مسلحون بأسلحة براققة تتقدمهم نجمة الصباح على شكل ثعبان مزدوج الرأس يسعى على قدميه وعلى رأسه تاجا الشمال والجنوب وبين طياته يقف صقر السماء العظيم ، وهو سيد السماء لأن نجوم السماء تتبعه ولكن الناس يسمونه (هسبر) وسماء اليونان بعد ذلك (لوسيفر) المشتق من اسمه المصري . وهناك على النهر يرقد ثعبان ضخم في رمس هو روح الأرض وهو يراقب أعداء رع في جنبات الدوات .

وفي هذه المملكة (التي هي أكبر الممالك) يمزج خبيرا نفسه برع ويخلق رع من جديد ويظل جسده مسجى في القارب ، بينما روحه قد اتخذت بروح خبيرا .

١١ . مملكة فوهة الكهف : حيث يجري النهر هادئاً ويجر الآلهة القارب بجسد الثعبان (مهن) حامى رع وفي مقدمة القارب نجمة نارية ، وتغمر هذه المملكة جمره مخيفة ، وفي هذه المملكة حفر نار الآخرة حيث تقطع أجساد الأشرار وترمى في النار حتي يحترقوا فيها ويقف حورس ليرى أشلاءهم ، ومن هذه البقعة نشأت فكرة نار الآخرة في الديانات اللاحقة .

وهناك كائنات : الأول (شديو) على هيئة ثعبان أحمر قرمزي اللون ويتكون جسمه من عشر نجوم ، والثاني (أتو) على هيئة ثعبن متجنح له ساقان وبين جناحيه طيف إنسان ، وهو الذي يبعث بنسيم الشمال الرطب إلى أرض مصر . . وحوله تبدو عينا حورس .

١٢ . مملكة ولّى الغلام وأقبل النور : ويقف في مقدمة القارب ذلك الجعمران الكبير (خبيرا) متاهباً ليرد الحياة إلى رع قبل أن يصل إلى حدود الدوات . وتقع هذه المملكة في جوف ثعبان كبير ضخم اسمه (حياة الآلهة) وفيه يسافر القارب ، وفيه يتحول (رع) إلى (خبيرا) ويحيا مرة ثانية ، لأن الرحلة خلال الدوات أوشكت على الانتهاء ويجر لقارب في جوف الثعبان (١٢) من أتباع (رع) يسلمونه عند فم الثعبان إلى (١٢) إلهة يجرنه إلى الأفق الشرقي للسماء ، ويخرج جسد رع الميت من القارب كما يقذف غشاء الحية بعد غو النباتات ، لأن روح رع وحياته في جعمران خبيرا وقد تم البعث وخرج قارب (رع) من تبه الدوات بين الغناء والبهجة .

ويستبدل قارب (سيكتيت) بقارب الصباح (ماعيت) وتنتفتح أبواب السماء على مصاريحها ويطلع النهار ، ومن بين الأعمدة المرمرية يخرج قارب رع ويغمر النور جبل باخو ،

ويستقبل رع هناك الشعبان الضخم حارس المياه الخضراء بابتهاج على الأفق الشرقي والاشعة تنسكب على مخالبه ، وعند مقدمة قارب ماعيت ترح أسماك (آبتو) وأسماك (آنت) في المياه الخضراء .

وتبدأ الدورة من جديد .

ب. أساطير الشيخوخة (رع الضعيف) (أساطير نهاية العصر الذهبي)

لا يعني ظهور أساطير الشيخوخة لرع أن أساطير الشباب ، التي تعبر عن الناموس الدوري لرع ، قد انتهت . ولكن مؤشراً جديداً طرأ على حياة رع عندما أصبح شيخاً ، وأصبحت قواه واهنة وبدأت مؤشرات نهاية العصر الذهبي (حيث الآلهة والبشر في وئام) قد أزفت . وهكذا يطعم الناس وأبناء الضعف بل وحتى الآلهة (مثل إيزيس) بالإله رع ويحاولون النيل منه أو سرقة سرّ قوته الدفين .

١. رع وتمرد البشر . والآلهة تحتجور

بعد أن تقدمت السن بالإله وأصبح شيخاً بدأت جماعة من الناس الأشرار بالتآمر عليه والكفر بنعمته ، فتآلم لكفرهم وقام باستدعاء كبار الآلهة عنده(شو) ، تفتوت ، جب ، نوت) وهم الرابوع الأول من أبنائه ، وحدثهم بالامر سرّاً كي لا يعرف الناس ما سيقدره اجتماعهم ، فاقترحت عليه إلهة السماء (نوت) أن يجلس على عرشه ويوجه نظراته إليهم فيحرقهم ، وحين فعل ذلك رع بدأ الناس يهربون إلى الصحراء . ثم استقر الرأي أن يرسل (رع) عينه تفتوت في صورة الإلهة (حتحور) لتفتك بالعصاة وتشرب دماءهم ولكن تحتجور تمادت في فعلها فقد مزقت الأرباء مع الأشرار وكادت تغني البشر أجمعين ، فحاول (رع) تدارك الامر برحمته وطلب إلى أتباعه أن يجهزوا سبعة الاف اناء من الجعة ويخلطوها بالمرّة الحمراء (وهي أوكسيد الحديد) ليبدو وكأنه دم البشر ، وحين افافت تحتجور صباحاً لتنفذ فعلتها بقتل الناس في مكان معين سكب أتباع (رع) هذا الخليط الأحمر في ذلك المكان فازوت الحقول وارتفع الخليط نحو أربعة أصابع ، وحين نظرت (حتحور) الى هذا السائل رأت وجهها الجميل فيه وشربته وتلذذت بطعمه فسكرت ونسيت أمر البشر .

وتستمر الأسطورة حين تغيق حثحور من تأثير الخمر وتعرف الحيلة التي دبرها أبوها (رع) والتي منعتها من إكمال مهمتها والقضاء على جميع الناس ، وعند ذاك تهاجر من مصر وتتحول إلى لبوة وتتجه نحو السودان وتسكن هناك . ولكن رع يفتقدها ويحزن لفراقها ويرسل وراءها أكثر من رسول ليقنعها بالعودة لكنهم يفشلون جميعاً ثم ينصحه مجمع الآلهة بإرسال (تحوت) الحكيم الذي يذهب إليها بصورة قرد فيجدها تتجول في صحراء السودان ، وحين تراه اللبوة حثحور تزار ، فأدرك أنها ما زالت غاضبة فحاول اضحاكها بحركات بهلوانية ، وهكذا هدأت بل وغرقت في الضحك ، ثم بدأ باقناعها بالعودة حتى نجح في مهمته ، فعادت حثحور إلى مصر وفرح رع بلقاها .

حاول بعض الباحثين جعل هذه الأسطورة أسطورة طوفان مصرية لكن في هذه المحاولة ما يوحى بالقسر ، فالأساطير المصرية تخلو من الطوفان لخلو مصر والنيل من هذه الظاهرة ، لان طوفان النيل المعروف بموعده الثابت كان ظاهرة خير وخصب ولم يكن كاسحاً ومدمراً مثل طوفان وادي الرافدين ، ونحن نميل لمقارنة هذه الأسطورة بأسطورة إنكي ونخرساج في دلون السومرية وسنبحث ذلك في كتبنا القادمة .

٢. رع وتمرد البشر...والآلهة نوت

تمرد البشر مرة أخرى على الإله (رع) فنصح الآلهة أباهم (رع) بأن يركب فوق ظهر السماء ويتعد عن البشر ، فتحولت الإلهة (نوت) إلهة السماء إلى بقرة ، وركب رع فوق ظهرها ، وأصبح في وسع البشر أن يروه على ظهرها ، وتحركت البقرة باتجاه قصر رع وصارت الأرض مظلمة ، وعندما لاح الفجر خرج رجال يحملون الأقواس والعصي فقال الإله رع : ارفعيني فوق ظهرك وابعديني عنهم حتى لا ينالوا مني ، فطلبت منه نوت أن يجهزها بأشياء عديدة إذا ارتفعت الى السماء مثل الحقول لأنه لن يكون بإمكانها الأكل أو الشرب من الأرض ، فعند ذاك خلق (رع) في السماء الحقول والنجوم وظهرت (حقول القرايين) و(حقول البوص يارو) و(حقول النجوم) التي تولد ثم تولد على الدوام . فارتفعت (نوت) إلى هذه الحقول لكن أرجلها استطالت وبدأت ترتعش بشدة بسبب الارتفاع الشاهق فخلق الإله (رع) الملايين (ححو) أي أعمدة السماء التي هي عبارة عن ثمانية آلهة ترفع البقرة اثنين اثنين وتكون قوائمها الأربع .

ثم أمر (رع) ابنه إله الهواء (شو) أن يقف تحت (نوت) ويحمي الأربعة ححو الذين في الشرق والأربعة الذين في الغرب ، وأن يضع نوت فوق رأسه فكم من أب حمل ابنه أو ابنته على رأسه .

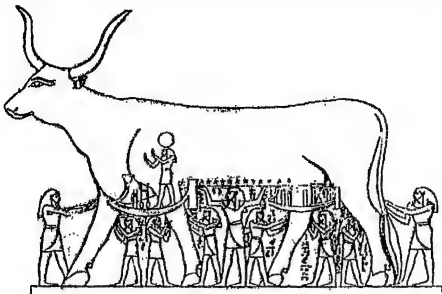
وقد صورت هذه الأسطورة بأكثر من صورة ملونة وجميلة حيث البقرة (نوت) على بطنها النجوم وقارب رع الذي يحمل قرص الشمس ، ثم استبدلت البقرة بامرأة منحنية على الأرض (شكل ٣٠) .

٣. رع وتمرد البشر... والآلهة

ظهرت نصوص متفرقة صغيرة تتحدث عن تمرد البشر وأبناء الضعف على رع ، ففي كتاب الموتى هناك صدى لهذا الموضوع (في الفصل السابع عشر منه) حيث يسلم أبناء الضعف إلى الإله رع فوق الأكمة التي في هرمبوليس ويوصف الإله رع بأنه (القط الكبير) وهو رمز للشمس حيث تنقسم الشجرة (إشد) وهي شجرة البرساء ، شجرة نوت التي تلد الشمس عندما تفتح مع كل فجر . ويحدث تفتح هذه الشجرة عندما يكفر أبناء الضعف عما ارتكبوه ضد (رع) وهذا يعني ولادة جديدة للإله (رع) من الأشرار . وهكذا يخرج هذا القط الكبير من شجرة البرساء فجراً بعد ليلة قتال عنيفة مع هؤلاء الأشرار الذين سعوا إلى الدخول في شرق السماء وكأنهم حاولوا إيقاف الشمس عن الشروق .

أما النص الثاني الذي وجد مكتوباً على جدران معبد كوم أمبو فيتحدث عن بطولة (حور) الذي يقضي على (٢٥٧) من الأشرار الذين يقفون عند شاطئ البحيرة الكبرى . حيث يقتلهم بمساعدة (شو) ويصبح قرمزي اللون بسبب ذلك (انظر لالويت ١٩٩٦ ج٢: ٦٦) .

والنص الثالث وجد مكتوباً على جدران معبد إسنّا حيث يتحدث عن إنقاذ رع وتهريبه من فوضى الاضطرابات الشديدة من قبل ابنه الإله (شو) . وفي نص آخر في معبد إسنّا يقوم الإله خنوم بدور الدفاع عن الإله رع وإنقاذه من الأشرار (المرجع السابق: ٦٧) .



شكل (٣٠)

إلهة السماء (نوت) في هيئة بقرة وامرأة

٤. رع وإيزيس:

كانت إيزيس إلهة حكيمة في بداية حياتها وكانت معرفتها توازي معرفة (رع) الذي صنع كل شيء ، والذي كان يدخل إلى السماء كل يوم ويجلس على عرش الأفقين وقد تقدمت به السنون وأصبح شيخاً وضعفت سيطرته على لعبه الذي كان يسيل من شدقيه ويتساقط على الأرض فتناولت إيزيس لعبه المتساقط هذا وعجنته بتراب الأرض وصنعت منه ثعباناً مقدساً ووضعت على الطريق الذي كان (رع) يسلكه عبر شطري الوادي .

وحين جاء الإله رع متبوعاً بالهة قصره فعضه الشعبان عضه النار فصرخ الإله صراخاً عظيماً طال السماء التي رددته وطلع أفراد التاسوع وقالوا : ماهذا ؟ ماهذا ؟ ولم يستطع رع الإجابة وارتعشت شفتاه واهتزت أعضاء جسده وتمكن السم من جسده . ثم استغاث بالهة التاسوع :

وأنا العظيم ابن العظيم ، صاحب الاسم الذي صورته أبوه ، عندي أسماء كثيرة وأشكال كثيرة ، وهيئتي هي أيضاً في كل إله : أنا الذي يدعى (أنوم) و(حورس له الحمد) ، لقد أخبرني أبي وأمي باسمي وأخفيته في جسدي (بعيداً عن متناول) أبنائي ، خوفاً من أن يعطى لساحر سلطاناً عليّ ، ولما كنت قد خرجت لمشاهدة ماخلقته ، وكنت انتزه فوق أرض القطرين اللذين صنعتهما ، لدغني شيء ما لا أعرفه ، وهو ليس بئارٍ وليس بماء ، ولكن قلبي يحترق ، وجسدي يرتعد ، واغطائي باردة . ليت أبنائي الآلهة يحضرون بكلمات مباركة ، الآلهة التي تعرف التعاويذ السحرية والتي تبلغ معارفها (حتى) السماء (لأنها) ١٩٩٦ ج٢: ٩٣) . فهرعوا إليه ، وهرع إليه الآلهة الصغار يندبون ويبكون ، وتقدمت الآلهة إيزيس تسأله وكأنها لا تعلم شيئاً ، فأخبرها فقالت له : أخبرني باسمك أيها الأب المقدس ، لأن الإنسان يحيا من جديد عندما ينادى باسمه . فعدد لها الإله (رع) أسماء وصفاته المعروفة فقالت له : إن اسمك الحقيقي ليس بين تلك الأسماء ، فأذكره لي وسأناذك بك به ويفارقك السم . وبالطبع لم تكن تقصد اسمه الشهير (رع) .

وكان السم يحرقه ويسري في جسده ، فلم يجد بداً من البوح به لها فقال لإيزيس : قربي أذنك مني حتى يخرج اسمي من جسدي ويسري في جسدي . وهكذا أفسى

الإله العظيم اسمه الخفي للساحرة العظيمة (إيزيس) ، فقرأت هي بعد ذلك تعويذتها السحرية لطرد السم من جسد رع :

«تسرب ، يا سم ، اخرج من رع ومن عين حورس ، اخرج من الإله ، أيها الملتهب ، بفضل تعزيتي ، أنا تلك التي تعمل ، وأنا تلك التي تطرد ، أغرب عني إلى داخل الأرض ، أيها السم الفعال ! انظر لقد افشى الإله العظيم اسمه ، إن رع يحيا والسم قدمات ! حسب كلمات إيزيس الساحرة العظيمة ، سيدة الآلهة ، التي تعرف رع باسمه» (المرجع السابق : ٩٤) .

وهذه الأسطورة توضح أموراً كثيراً منها إن أصول السحر تقتضي معرفة الاسم السري للإنسان ، وكان المصريون يسمون الإنسان باسمين أحدهما علني والآخر سري يكتبوه على جدار مقبرته وكان هذا الاسم إذا أزيل من مقبرته فإن ذلك كفيل بقتله إلى الأبد (حرمانه من الخلود) لأن هذا الاسم يحمل عنصر الحياة الأبدية للإنسان والآلهة .

ثم قال الإله (رع) للإله (تحوت) بأن يسرع إلى الإله جب وأمره بأن يرعى ثعابين جب وسيطر عليها بتعاويز سحرية وأن يضمها إلى ابنه أوزير الذي سيحمي صغارها . ويستمر الإله (رع) بتوزيع مهماته من خلاله (رع) فيغمر ضوء الظلمات ، وأن يقوم تحوت بإعادة النظام بين السكان وأن يكون كاهنه المقدس ويخلق أبو منجل ليكون طائر تحوت ، ويأتي بالقمر الذي هو كوكب تحوت ، ثم يأتي بالقرد ذي رأس الكلب وهو قرد تحوت .

هذه الأسطورة تبين بالفعل نهاية العصر الذهبي ، عندما كان (رع) يعيش بين الناس أي قبل أن يرتفع إلى السماء ، ولكنه يضطر لذلك بسبب فساد أخلاق الناس ، فترفعه نوت إلى هناك ، ويخلق لأجل نوت حقول السماء التي صارت فيما بعد جنات السماء للملوك والصالحين ، ومن هناك يعيد ترتيب العالم ، الفضي (بعد الذهبي) ، من خلال إله الحكمة تحوت كاهنة ووزيره .

القسم الرابع أساطير أوزيريس

تحتل أساطير أوزيريس مكانة عريقة في المثلوجيا المصرية ، وتمثل الوجه الشعبي لهذه المثلوجيا . فقد ظهرت منذ عصر الأهرامات (حوالي ٢٨٠٠ ق م) واستمرت إلى القرون الميلادية الأولى وانتشرت في بلاد اليونان والرومان بل واجتاحت أرجاء العالم الكلاسيكي القديم . وكانت هذه الأساطير تمثل في عروض تمثيلية بدائية يقوم بها كهنة أوزيريس وقد انطلقت هذه العروض الأسطورية والبطقسية أولاً من معبد (أبيدوس) وهو المكان المقدس الذي يعبد الإله فيه . وسنجد ، على شكل فقرات ، أساطير الإله أوزيريس وثالوته الالهية (مع إيزيس وحورس) ، وبعبارة أخرى سنقدم نوعاً من السيناريو الأسطوري لهذه النصوص الكثيرة والمطولة الاغريقية والمصرية :

١ . ولادة أوزيريس : ولدت نوت أوزيريس في طيبة في أول أيام النسيء الخمسة ، وقد سمع رع صوتاً في المعبد ينادي بأنه قد ولد اليوم الإله الملكي العظيم ، سيد كل الدين يدخلون إلى الضوء ، واعترف رع بأوزيريس وريثاً له .

ثم ولد ست في اليوم الثالث من أيام النسيء . ثم ولدت أيزيس وولدت نفتيس ، هؤلاء الأخوة الأربعة أبناء السماء (نوت) وإله الأرض (جب) . وكانت ولادة ست غريبة فقد ألقى بنفسه من رحم أمه ، وانفجر من جنبها .

٢ . تقسيم الأرض بين أوزيريس وست : ما أن كبر الولدان حتى قرر الإله جب أن يقسم الأرض (أرض مصر طبعاً) بين ولديه فأعطى الثلثا أي الوادي الأخضر الكبير لأوزيريس الذي تزوج من أخته إيزيس .

وأعطى الصعيد وهي صحراء الجنوب لولده ست الذي تزوج نفتيس ، وقام أوزيريس بإصلاح مملكته وعلم فيها الناس الزراعة وشرع لهم الأحكام والقوانين وأشاع فيهم فنون

الحضارة كالكتابة والفنون والعلوم وأعطى الأشياء أسماءها ، وقد حكم بالناطق لا بالقوة وكانت إيزيس تساعد . بينما أساءت حكم أرضه وقومه وطمع بأخذ أرض أخيه فاختمهما وفضّ خصامهما الإله (جب) الذي أعطى أرض مصر كلها لأوزريس بسبب حكمته وقدرته على إشاعة الخير والحب بين الناس .

٣ .ست يقتل أوزريس : أكل الحقد قلب ست فدبر لأخيه ،الذي ذهب إلى بلاد أجنبية للغزو ، مقتلاً عند عودته . وتذكر بعض الأساطير انه هياً تابوتاً لأخيه في حفلة واستدرجه إليه ، والبعض الآخر يذكر أنهما تصارعا عند مياه منطقة ندية (ندبت) وهناك من يرى انها عند مدينة عنجتي التي سميت (جدو) والتي أطلق عليها اسم (بر أوزريس) وهي أبو صير الحالية والتي أطلق عليها اسم (الفعل الممزق) إشارة الى مقتل أوزريس ، وهناك اساطير تذكر أن ست تعاون مع ملك أثيوبيا (أسو) واثنين وسبعين متآمراً لإبعاد أوزريس ثم قتله في يوم ١٧ من شهر حتحور (أيلول أو تشرين الأول فيما بعد) من العام ٢٨ من حكمه ، وألقي جسد أوزريس المقطع الى ١٤ أو ١٦ قطعة من النيل .

٤ .إيزيس تبحث عن جسده القتييل : قامت ايزيس ونفتيس بالبحث عن جسده القتييل وهناك عدة أساطير حول قصة العثور عليه ، الأولى تفترض أنهما عثرتا عليه عند شواطئ ندية الثانية قرب منف أو عين شمس وقد دفنتاه هناك ، والثالثة تقول أن الجسد قد حمله تيار النهر إلى منطقة بيبليس في مستنقعات الدلتا ، أما الرواية الرابعة فحرفت اسم بيبليس إلى بيبولس وادعت ان الجسد ذهب إلى البحر المتوسط (البحر الأخضر) وذهب إلى بيبولس (جبيل) في فينيقيا حيث أظلمت هناك شجرة مباركة واحتوته في جوفها . وبحث إيزيس عنه وبلغت جبيل فاهتدت الى الشجرة وحملت جثته وعادت به إلى أرض مصر وتستمرت عليه وأعادت الحياة إليه بسحرها .

٥ .ست يقتله مرة ثانية : كشف ست مكانه السري وقتله ثانية وقطع جسده إلى (٤٢) قطعة ويرمز هذا إلى تمزيق جسد مصر إلى (٤٢) إقليماً متناحراً ويرمز أيضاً إلى عدد معابد ومزارات أوزريس في مصر ، وربما إلى عدد قضاة العالم الأسفل في قاعة المحاكمة والحساب ، وقام ست بتفريق قطع جسد اوزريس هذه على اقاليم مصر ، كل قطعة في إقليم لكي لا تعثر إيزيس عليها .



شكل (٣١) الإله ست وحيواناته



(أ)



(ب)

شكل (٣٢)

١- اوزيريس حياً تحميه ايزيس. ٢- اوزيريس ميتاً بشكل مومياء

٦ . إيزيس تعيد له الروح وتحمل منه ابناً : جمعت إيزيس قطع جسد أوزيريس ولصقتها مع بعضها ثم أعادت بسحره الروح إليه لفترة قصيرة من الزمن ، ثم حطت عليه كما يحط الطائر وحملت منه حملاً ربانياً فتكون منه طفلها (حور) .

٧ . أوزيريس يتحول الى إله الموتى : وتحول الإله أوزيريس وهو يرحل إلى عالم الموت إلى إله ذلك العالم وكانت تلك الصفة من أبرز الصفات التي عرفت عنه ، وأصبح من ثم في العصور التاريخية إلهاً للموتى .

أما في العصور المتأخرة فقد اعتبر إلهاً للقمر لأنه كان يختفي ثم يعود مرة ثانية إلى الحياة كما مثل الشمس الغاربة والمشرقة ثم تعدت رمزيته هذه الحدود وأصبح كحبة الحنطة التي تطفئ في الأرض لتنمو بعد ذلك وتنتج سنبله من الحنطة ، وهكذا أصبح جدل موت وحياة أوزيريس جدل الحياة كلها ، ولكنه عندما مات وغاب عن الحياة تنازل عن حقه في سيادة الأحياء لولده حور . أما أوزيريس نفسه فقد أصبح ملك الآخرة بأكملها وأصبح سيد محاكمة الموتى وسيد حقول أوزيريس النارية والفردوسية .

٨ . آلام ومراثي إيزيس : شغلت آلام ومراثي إيزيس ونفتيس الجزء التراجيدي الحيوي من مشهد أسرار أوزيريس في أبيدوس ، تلك التي كانت تقام في عيد (الشقيقتين) في الشهر الرابع من فصل الفيضان من اليوم (٢٢-٢٦) من الشهر ، حيث يتم إحضار امرأتين عذراوين يتم نزع شعر أعضائهما ، وترقيان على رأسيهما شعراً مستعاراً وتحملان دفيئاً وسيشار إلى اسميهما على كتفيهما لتمييز إيزيس من نفتيس وترتلان مقاطع شعرية من المراثي الأوزيرية العلوية جداً :

«أنا امرأة مفيدة لأخيها

أنا زوجتك وشقيقتك وأملك

عد إذن إليّ ، على جناح السرعة

لاني اشتاق لمشاهدة وجهك من جديد ، منذ الزمن الذي

لم أتمكن من تأمله فيه فالظلام يبقى لنا هنا

في عيوننا وإن كان رجع في السماء

إن السماء والأرض متحدتان والظلام يخيم اليوم على الأرض

إن قلبي يحترق لانفصاله عنك ، يا للويل !

إن قلبي يحترق ، لأنك أدت ظهرك إليّ

.....

إنني أظأ الأرض ولا أكلّ أبداً عن البحث

في داخلي حرارة بسبب حبي لك

وأه تعال لأراك

إنني أبكي على وحدتك

تعال إليّ ، على جناح السرعة لإنني اشتاق لرؤياك

بعد ان تمنيت بشدة أن أتمكن من تأمل وجهك

وأه ، سوف يعم الحبور معبدك

سوف تحمى ، تحمى في سلام (لالويت ١٩٩٦ ج٢ : ١١٣،١٠٥) .

٩ . حوار الأربعة حول حمل إيزيس : صورت متون التوابيت حمل إيزيس بولدها حور في مشهد حوارى يشترك فيه أربعة ، ويبدأ بانطلاق إعصار يروح الآلهة ويوقف إيزيس الحبلى ، وكان هذا الإعصار هو صوت (ست) إله الرعود والبروق وقد اتى يهددها بإيذاء جنينها فاستصرخت الآلهة الذين سمعوا نجاتها وقالت لهم إن بذرة أوزيرس تشكلت في بيضة في أحشائها ونادتهم بان يحموا من هو في بطنها فأتاها صوت (أتوم) مبشراً ليطمئن قلبك . ثم يأتيها صوت امرأة متخابشة : وكيف تدركين أن من هو في البيضة هو بذرة أوزيرس؟ فترد إيزيس بحزم : انا إيزيس ربة الشهرة والقداسة وإن من في أحشائي هو غرس أوزيرس ، فيناصرها أتوم قائلاً : إنها حملت خفية ، وهي فتاة حملت وستضع حملها دون تدخل الآلهة ، وهو غرس أوزير فعلاً ، فليقع ذلك على العدو الذي قتل أباه عن إيذاء بيضته الصغيرة ، وليبجله الساحر الاعظم ، فأطيعوا أيها الآلهة ما قالته إيزيس (انظر مهران ١٩٨٩ : ٢٩) .

١٠ . تحوت يبارك إيزيس : في تعويذة تقي من لدغ العقرب يظهر تضامن الإله تحوت مع إيزيس عندما كانت حاملاً فيقول لها : أقبلي أيتها الإلهة إيزيس ، ما أحسن أن ينصت الإنسان ، يحيا الإنسان بهدي غيره ، اختبئي مع ابنك ، ذلك الطفل الذي يقبل إلينا عندما يكبر جسده ، وتكتمل قوته فسوف تجعلينه يستولي على عرشه وتحفظين له بذلك وظيفته .

ويرسل لها تحوت من يساعدها على حملها وعيشها بين الأحرش مثل العقارب السبع التي أحاطت بها وحرسها ولكل منهن مكان معلوم من بين يديها ومن خلفها ، وقد نبهتهن في حزم إلى آداب الطريق قائلة : لا تتعرفن على الأسود ، ولا تحبين الأحمر ، ولا تفاضلن بين ابن الغني وابن الفقير ، ولتبقى وجوهكن منكفئة على السطريق ، واحذرن إثارة الشكوك ، وأن يتعمكن متلصص يبحث عن مخبأ ، حتى نصل إلى (برسوي) مدينة السيدتين المتعنتين ، عند بداية المستنقع ونهاية القفص الذي نعيش فيه (المرجع السابق : ٣٠) .

١١ . العقارب السبع تدافع عن إيزيس : اقتربت إيزيس مع عقاربها السبع في طريقهما من دار سيدة بخيلة فلمحتها ربة الدار من بعيد وأغلقت الأبواب بوجهها ، ثم وجدت الضيافة عند امرأة فقيرة فانسلت إحدى العقارب إلى دار السيدة البخيلة وأشعلت في بيتها النار ولدغت ابنها ، فهلعت السيدة مع ابنها وقامت إيزيس باخراج السم من جسده وانطلقت النيران بتعويذتها السحرية ، وذاع صيت إيزيس وقدرتها في ذلك المكان فقررت الذهاب إلى أحرش المستنقعات هرباً من بطش ست .

١٢ . ولادة حورس : عاشت ست في تلك المستنقعات الموحشة وهناك ولدت حورس فقامت البقرة برعايته وإعطائه الحليب وقامت هي برعايته وتنشئته بعيداً عن أعين الناس في أرض (خم) .

١٣ . ست يرسل عقربة للدغ حورس : علم ست بأمر الطفل فأرسل عقربة لتلدغه أثناء غياب امه التي وجدته بعد ذلك وهو يكاد يفارق الحياة فاستنجدت بمن حولها من سكان القرية ثم عرفت انه قد لدغ وأدركت أن تعزيمتها لن تنفع فبدأت تصرخ :

«أي رع إن ابنك حور قد لدغ ، إن حور قد لدغ ، وهو الوريث والمولى على عرش (شو) ، إن الطفل الجميل ذا الأعضاء الذهبية قد لدغ ، إن حور ابن إيزة قد لدغ ، إن

حور الذي اعدته لكي يثار لأبيه قد لدغ ، إن حور الذي خشيت أن يصيبه مكروه وهو في رحمي قد لدغ ، إن حور الذي رعيته قد لدغ ، إن حور الطفل الذي رجوت حياته قد لدغ ، إن الطفل قد مات» (المرجع السابق : ٣١-٣٢) .

١٤ . تحوت ينقذ حورس : هرع الآلهة إلى إيزيس فجاءت الإلهة (سرت) و(نفتيس) ، ثم صرخت إيزا صرخة قوية استوقفت مركب الشمس فأرسل الإله رع رسوله تحوت ليستطلع الأمر وجاء تحوت وعرف ما حصل لحورس فبدأ بقراءة تعاويذه السحرية التي يعدد فيها أوصاف حور ويقارنها بأوصاف الآلهة : «حور تحيطه العناية ، حور مثله كممثل ذلك الذي في قرص الشمس الذي يضيء الأرضين بنور عينيه ، أي حور ، استيقظ ، أي حور إن حصانتك مؤكدة ، استيقظ وادخل الفرح إلى قلب أمك إيزة ، إن كلمات حور سوف تربط القلوب ، إن حور سوف ينشر السلام على أولئك الذين يرغبون في السلام ، أنا تحوت بن رع البكر ، إن أتوم وأصحابه أصدروا أمرهم لي بأن اشفي حور لتقر عين أمه ، ولأشفي كل مصاب بنفس العلة ، سيحيا حور من أجل أمه ، وسيحيا كذلك كل من كان مصاباً بنفس الداء» (المرجع السابق : ٣٢) بعدها يشفي حورس فيفرح الآلهة وتفرح إيزيس .

١٥ . عندما أصبح حورس رجلاً : عملت إيزيس كل ما في وسعها لتربي حورس وتنقله من الأهوال التي تحيط به ، ويقال انه قتل ثعباناً في صباه ، وقد بلغ مبلغ الرجولة عن طريق شعيرة تركزت على رباط حزامه أدتها إيزيس ، وحين يصير رجلاً تهبط معه إلى مثنوى أبيه وتطلب منه أن يبقى هو أيضاً معه مثل صورة إلهية للزمن الأبدي ، ثم تعرضه على مجلس الآلهة . . وهناك يقول حورس : «أنا حورس ، أنا الصقر العظيم الذي في أسوار قصر الإله صاحب الاسم الخفي ، لقد بلغت انطلاقتي الأفق ، وابتعدت عن آلهة السماء ، واتخذت مقامي في مكان اسمى من مكان الآلهة الأولية ، وحتى الإله (يا أو) ليس في وسعه أن يبلغ طلعتي الأولى . إن مكاني بعيد عن مكان ست عدو أبي أوزيريس ، لقد غزت دروب الزمن الأبدي والنور ، إنني أرتقي بفضل انطلاقتي . وليس في وسع إله غيري أن ينجز ما انجزته . سوف أخوض حرباً ضد عدو أبي أوزيريس وأضعه تحت نعلي باسمي العنيف هذا ، فانا حور الذي ولدته ايز ، والذي أمنت حمايته منذ كان داخل البهيضة . إن أنفاس فمكم المتوهجة لا تستطيع أن تمجرحني ، تماماً كما لا يصيبني ما تقولونه في حقي . أنا (حور) الذي يتخذ مكاناً بعيداً عن الآلهة وعن البشر ، أنا حورس ابن ايزيس » (لالويت ١٩٩٦ ج ٢ : ١٢٢) .



إيزيس مع حوريس مختلفان في
أحد الأحرش



شكل مركب من إيزيس وحوريس وباستت وغيرهم
يقهرون الأسود والتماسيح والشعابين



نصب صغير للوقاية من الحيوانات
الشريرة؛ حوريس برأس بس، وعلى
جانبيه أحد آلهة الشمس وزهرة نفرتم

شكل (٣٢)
إيزيس وحوريس في الأحرش

١٦ . اجتماع محكمة الآلهة : تقدم حورس إلى أتوم مطالباً بعرش أبيه ، فيأمر أتوم بعقد محكمة الآلهة المكونة من التاسوع الإلهي وعندما انعقدت قدم الإله تحوت العين (وجات) إلى الأمير حور : ووقف الإله شو جنب حورس وضد ست وأيده في ذلك تحوت وفرحت إيزيس ، وكان الإله أتوم يميل إلى الوقوف مع ست (الإله الشمسي) الذي يحرس قارب رع في النهار ومادت المحكمة الفوضى بسبب انقسام الآراء فرأى الإله (أونوريس) اللجوء إلى الإلهين خنوم وبتاح تاتن ليحكمما في الأمر فلما حضرا اعتذرا عن ذلك لجهلها بالموضوع .

١٧ . الآلهة الأم (نيت) تعطي حكمها : قررت المحكمة أن يقوم تحوت بكتابة خطاب إلى الإلهة الأم نيت لتقضي في هذا الأمر فتلقوا جوابها الذي يقف بجانب حور ، ورأت بأن تسلم وظيفة أوزيريس لابنه حور وأن تضاعف أملاك ست ويعطيه الإله رع أبنتيه (عنات) و(عشتار) بلكن الإله رع اعترض على هذا الرأي مدعياً أن (حور) ما زال غلاماً . وعندئذ ثار الإله (بابا) واتهم رع بالخرف فتألم رع من هذه الإهانة وأصبح طريق الفراس وانفضت المحكمة .

١٨ . المحكمة تقف ضد حور : بعد سنين طويلة قامت الإلهة حتحور سيدة جميعة الجنوب بالمشول بين يدي أبيها رع وكشفت له عن عورتها ، عندئذ ضحك رع ونهض وتعافى ، وانعقدت المحكمة من جديد وقال لـ (ست) و(حورس) تحدثا ، فتحدث ست وقال انه يببىد عدو رع عندما يقف في مقدمة السفينة وأنه يستحق وظيفة أوزيريس فأيدت الآلهة مطلبه ، لكن أونوريس وتحوت اعترضوا وساد الهرج من جديد المحكمة ، وتحدث حورس بغضب ثم تحدث إيزيس بغضب وهدد ست الآلهة بأنه سيقتلهم جميعاً . ثم غضب رع على إيزيس وطالب بأن تعقد المحكمة في الجزيرة الوسطى شرط أن لا تحضر إيزيس أو من تشبهها إلى هناك .

١٩ . إيزيس تسام العُبار : أبحرت آلهة التاسوع إلى الجزيرة الوسطى ، وجاءت إيزيس إلى العبار (عنتي) بعد أن تحولت إلى امرأة عجوز وادعت إنها تريد أن ترى ابنها في الجزيرة فلم يقبل العبار بنقلها إلى هناك إلا عندما رشته بحلقة ذهبية كانت في يدها .

٢٠ . إيزيس وست في الجزيرة : وصلت إيزيس الجزيرة ورأت التاسوع جالسين يأكلون الخبز ، فتفوهت بفرقة وتحولت إلى فتاة مذهلة الجمال فرأها ست ووقع في حبها وهام بها فاستدرجته بجمالها ثم قالت له : لقد كنت زوجة راعٍ والمحبت منه ابناً ولكن زوجي مات ،

وصار ولدي حارساً لقطعان أبيه لكن رجلاً غريباً جاء واستولى على القطعان ورمى بولدي خارجاً فهل لك أن تعمل لصالح ولدي لما لك من سلطان فأجابها ست (أنعنى الماشية للرجل الأجنبي بينما الابن موجود هنا؟). وعندها تحولت إيزيس الى حدة ونادت على ست بصوت مرتفع قائلة (فلتذرف عينك بسببك أنت، إن فمك هو الذي تحدث، إن حكمتك هي التي ادانتك). فاشتكى ست إلى رع وقال له إن إيزيس تنكرت وأنت الى الجزيرة، وكل ذلك بسبب العبار، فأمر رع بأن تنتزع الأجزاء الامامية من قدميه واقسم عني العبار بأن الذهب سيكون ملعوناً في مدينته من الآن.

٢١. الانتصار الاول لـ (حورس): عبرت آلهة التاسوع الى البر الغربي وجلسوا على التل وكتب الإله (رع) و (أتوم) رسالة إلى التاسوع يأمرهم الآلهة بأن يضعوا التاج الأبيض على رأس حورس ليترع على عرش أبيه أوزيريس بسبب مللهم من القضية التي طاللت. لكن ست الذي وقع مريضاً صرخ بوجه التاسوع بعد أن ترع حورس على العرش واعترض. وتحدى حورس في معركة مكشوفة.

٢٢. الصراع الاول بين ست وحور: قال ست لحورس دعنا نتحول إلى فرسي نهر ثم نفص في المياه الدافقة ومن يطفو على سطح الماء بعد ثلاثة أشهر فإن المنصب لن يؤول إليه، فغاصا هناك لكن إيزا بكى على ولدها فصنعت خطافاً نحاسياً وربطته بالحبل والقت به في المياه فالتصق الخطاف بحور الذي استنجد بأمه فأمرت الخطاف بالانفصال عنه، ثم ألقتة مرة أخرى فالتصق بست الذي استنجد باخته فأمرت الخطاف بالانفصال عنه.

٢٣. قطع رأس إيزيس: خرج حورس من الماء غاضباً وماسكاً سكينه في يده وقطع رأس أمه إيزيس وأخذه بين يديه وحمله فوق التل وتحولت إيزيس إلى تمثال من الصوان بلا رأس، فسأل رع عن هذا التمثال فأجابه تحوت بأنه إيزيس، فقال رع لابد أن نوقع عليه عقاباً صارماً، فصعد التاسوع يبحث عن حورس وراؤه منظر حراً تحت شجرة فسمعوا لست أن يقتلع عينيه من مكانها ويدفنهما فوق التل لينيرا الأرض، وتحول إنسانا العين إلى برعمين، ونميا ليصبحا زهرتي لوتس وعاد ست ادراجه لينخبر رع بأنه لم يجد حورس.

٢٤. حتحور تشفى عيني حورس: رحلت حتحور سيدة جميزة الجنوب وعثرت على حور في الصحراء راقدًا يبكي فاقتنصت غزاله وحلبتها ووضعت حلب الغزالة في مكان عينيه، ثم قالت له افتح عينيك، ففتحهما فشفي، وعادت لتخبر رع بما حصل وعندئذ قرر التاسوع محاكمتها.

٢٥ . المحكمة تقرر السلام بينهما : قررت محكمة التاسوع السلام بين حورس وست وأن يعيشا معاً دون شجار ، وأن يأكلا ويشربا دون إثارة المشاكل . وكانت جملة التاسوع فاصلة (توقفا عن الشجار) .

٢٦ . الصراع الثاني بين ست وحورس : دعى ست حور ليقضي يوماً سعيداً في منزله وفي الليل نام الاثنان على سرير واحد ، وحاول ست اغتصاب حورس لكن حورس مدّ يده فتلقف نطفة ست وذهب إلى أمه إيزيس وأخبرها فصرخت أمه وقطعت يده بسكينها النحاسية ورمتها في الماء وغسلتها من النطفة ثم أعادتها إلى مكانها . ثم ذكرت حورس بمرهم وأدخلته في وعاء فسالت منه نطفة فحملتها فجراً إلى حديقة ست وقالت للبيستاني : ماذا يأكل ست من الخضروات فأجابها : الخس فوضعت النطفة على الخس ، فأكلها ست وحمل نطفة حورس . واستدعى ست حورس أمام المحكمة وقال إنه فعل به كذا وكذا فاشتمأ التاسوع من حورس ، لكن حورس قال استدعوا نطفتي وسترون ، فلما استدعوا نطفة ست وجدوها في الماء اما نطفة حورس فقالت سأخرج من أذن ست ، فقال لها تحوت بل أخرجني من جبينه ، وخرجت على هيئة قرص ذهبي وضعه تحوت على رأس ست كسلاح وأعلنوا صدق حورس وإثم ست .

٢٧ . الصراع الثالث بين ست وحورس : غضب ست لقرار التاسوع وقال لنتنافس انا وحورس على صناعة سفن من الحجر ، ومن يفوز على الآخر سيحصل على وظيفة الملك ، فشيد حور لنفسه سفينة من الخشب الأزرق وغطاها بالجلص وأنزلها الماء عند المساء ولم يرها أهل البلد ورآها ست ، فذهب إلى التل وقطع قمته وصنع لنفسه سفينة من حجر طولها ١٣٨ ذراعاً نزل بها إلى الماء فغرقت وتحول ست إلى فرس ماء وسعى حتى أغرق سفينة حورس الذي أمسك بخطافة النحاس وأراد أن يقطع ست ولكن آلهة التاسوع قالت : لا تطعنه .

٢٨ . شكوى حورس للإلهة نيت : أبهر حورس بإتقائه مدينة سايس ليبذل الآلهة الأم (نيت) شكواه فمئذ ثمانين سنة يقف هو وست أمام المحكمة دون أن يفصل بينهما رغم أن محاكم الآلهة في كل مرة تقر بحق حورس ضد ست كما حصل في القاعات الكبرى (الوحيدة للعدالة ، حورس الذي على رأس الأقواس ، حقل البوص ، بحيرة الريف) لكن ست لا يأبه بما أقرته هذه المحاكم .

٢٩ . تحوت يكتب لأوزيريس : قال تحوت لنكتب إذن رسالة إلى أوزيريس ليفصل بينهما فوافق رع فكتب تحوت لأوزيريس الذي في عالم الموتى فأعاد أوزيريس الرد ووقف بجانب ابنه حورس وقال لآلهة التاسوع أنا الذي صنعت منكم كائنات قوية وخلقت لكم الشميم والعلس لتعيش الآلهة والماشية أيضاً في حماية الآلهة ولم يفعل ذلك إله سواي . فرد عليه (رع) برسالة قاسية وقال له لقد أصبح الحساب في عالمك ومعني الآن كل الاشرار فرد عليه أوزيريس برسالة عادلة وصادقة واعترف التاسوع بذلك .

٣٠ . ست يستسلم : طلب ست الانتقال إلى الجزيرة الوسطى ليجادل حورس فانتقلا إليها وتم إنصاف حور على حسابه ، فبعث أتوم برسالة إلى إيزيس يطلب منها إحضار ست مربوطاً في وتد ولما حضر ست قال له أتوم لماذا تعوق حكمك وتسعى إلى الاستيلاء على المنصب فقال ست معترفاً : أعط المنصب إلى حورس بن إيزيس .

٣١ . تتويج حورس : استدعي حورس ووضع التاج الأبيض فوق رأسه ووضع على عرش أبيه وقيل له (أنت الآن الملك الكامل للبلد المحبوب ، أنت رب الحياة والازدهار والصحة والكمال للأرض قاطبة للزمن الأبدى والزمن اللانهائي) وصاحت إيزا جهرأ بانجابه (أنت الملك الكامل ، إن قلبي فرح لانك تضيء البلاد بضيائك) .

٣٢ . مصير ست : سأل الإله بتاح عن مصير ست فقال رع دعوه لي سيكون مقره في صحتي ، وسيكون ابني وسوف يزق في السماء فيخشاه الناس إلهاً للزواجر والعواصف وتقلبات العالم . وعلم رع بتتويج حورس وأمر آلهة التاسوع بالانحناء حتى الأرض وتحته ، وفرح آلهة التاسوع لأن حورس أصبح ملك مصر ، وملك الآلهة .

وهناك نصوص أخرى تشرح بعض المعارك بين ست وحورس قبل انعقاد المحاكمة ، وبعث أوزيريس ولفاء الأب والابن ، واتحاد رع وأوزيريس من أجل درس مزيد من الخلود لا مجال لسردها هنا . ويجب التنويه ان اغلب ما أوجزناه هنا من اسطورة الصراع بين حور وست اعتمدنا فيه على الترجمة العربية الممتازة لماهر جويجاتي نقلاً عن الترجمة الفرنسية لكلير لالويت (انظر لالويت ١٩٩٦ ج٢ : ١٢٣-١٣٦) .

وهكذا نرى أن الأساطير المصرية القديمة إنما تتمحور في ثلاثة محاور كبرى هي أساطير الخليفة وأساطير رع وأساطير أوزيريس فهي المتن الاعظم للمثولوجيا المصرية الغنية باعماقها وكنوزها الدفينة التي ما زالت اغوارها غير مكشوفة ومحله بشكل دقيق .



- إيزيس تحمل فوق
رأسها العلامة التي
يكتب بها اسمها



- إيزيس



- حورس على هيئة ملك

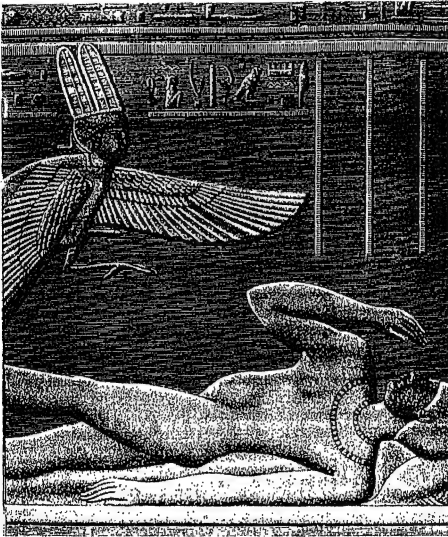
شكل (٣٤)

٢٠١ - إيزيس

٣ - حورس منتصباً

الفصل الثالث اللاهوت المصري

(دراسة في المعتقدات والأفكار الدينية المصرية القديمة)



«روحي (با) في مقدمة الزورق ..
يوم تخصى السنون»

من كتاب الموتى

١. المؤسسة الدينية

أ. المؤسسة الإلهية : راجع الفصل الثاني/ القسم الاول

ب. المؤسسة الملكية (الفرعونية):

لم تكن المؤسسة الفرعونية إدارة ملكية دنيوية تقليدية كالتي نعرفها عن المؤسسات الرئاسية والملكية في كل أنحاء العالم القديم ، ففي مصر اختلفت صورة الملك تماماً عن صورته في دول ذلك العالم . لقد كان الفرعون إلهاً بالمعنى الدقيق للكلمة ، لم يكن مثلاً للإله أو صورة من صورته على الأرض بل هو الإله تماماً . ولكن أي إله وما هو اسمه في المجمعات الإلهية ؟

لقد كان الفرعون ابن الإله (رع) من جهة وهو الإله الملك حور أو حورس الذي هو الإله الشمس الذي يهب الحياة الطاقة والثور من جهة أخرى ، وكان الفرعون إلهاً في الحياة أي ابن رع وإلهاً في الموت حيث يتحول إلى الإله أوزيريس عندما يموت ويبقى في جنة العالم الآخر بصفة الإله الحاكم للموتى (أوزيريس) . وكلمة فرعون تصحيف عبري للكلمة المصرية القديمة فير -أ أو بير -أ per-a التي تعني (البيت العظيم) وهو المكان الذي يعيش فيه الرعية ويلجأون إليه . وكان المعنى العميق لهذه الكلمة هو (الذي يعيش فيه الناس) أي (العالم) أو (الكون) ويأتي هذا التفسير معززاً لفكرة الألوهية التي ارتبطت بالفرعون .

ويرى والس بدج أن الملك كان منحدرًا من إله حكم على الأرض فهو إله بالرغم من أن له جسمًا من لحم ودم . وكانت أعمال ومشيته وأفكار الفرعون هي أعمال ومشيته وأفكار الإله . وكان يحضر مراسيم تقديم القرابين له كإله ، بل وأن بعض الفراعنة مثل امنحوتب الثالث بنوا لنفسهم ولزوجاتهم معابد كانوا يتعبدون أنفسهم فيها (انظر بدج ١٩٨٩ : ١٠٠) .

وأنه لما يؤكد فكرة الألوهية الفرعونية اتخاذ الفرعون مجموعة مهمة من الألقاب على مر التاريخ المصري القديم تركز فكرة الألوهية ، وتربطه ربطاً محكماً بعالم الآلهة وهذه الألقاب هي : (انظر المرجع السابق) .

١ . الإله العظيم (The great god)

٢ . الإله المحسن (Neter-Nefet)

٣ . صانع الأشياء (Neb-ari-akht)

٤ . حور أو حورس (Her, Horus) : الذي كان رمزه الصقر (هاوك hawk) والذي اعتبر مقمصاً الروح السماوية العليا حيث كانت الشمس عينه اليمنى ، وكان القمر عينه اليسرى . وكان القرص الشمسي الموضوع على رأسه يدل على صفته المتحدر من الإله (حور) .

٥ . نبتي (Nebti) : الذي كان يرسم على شكل مستطيل يتضمن الرخمة والأفعى دلالة على الإلهتين القديتين نخبت واثجت الدالتين على الشمال والجنوب (الدلتا والصعيد) . وحاز الفراعنة بهذا الاسم على لقب أكثر شهرة هو (ذو الإلهين) إشارة لهما .

٦ . إله المملكتين أو إله الأرضين وهو لقب مرتبط بالفكرة السابقة أي بمصر العليا والسفلى . ويتمثل رمز هذا اللقب في عرائس نيل الدلتا التي ترمز للشمال والبردي الملقوف حول رمز الاتحاد الذي يرمز للجنوب حيث يتشقق البردي على جوانب العرش الملكي .

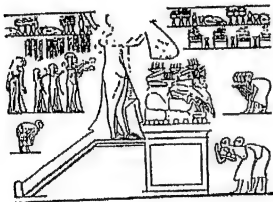
٧ . ناسوبات : وهو رمز متأخر يرمز لـ (القصبه والنحلة) حيث ترمز القصبه إلى الجنوب والنحلة إلى الشمال .

٨ . التاج المزودج : وهما التاج الأبيض للجنوب والتاج الأحمر للشمال .

٩ . سارح (Sa-Ra) أو ابن رع حيث قام كهنة رع في السلالة الملكية الرابعة بتنصيب أبناء كاهنة تدعى روتيت كانت تسمى بـ زوجة رع (وهي زوجة رع من سخابوا) وبذلك صارت قصة إنجاب الفراعنة كأبناء للإله رع مقبولة منذ ذلك الوقت .



الملك يقوم بدور الكاهن ويفتح
باب الناووس (من معبد أبيدوس)



امتنوفيس الرابع
يقدم القرىان على
المنذبح لأتون.



ولادة الابن الملكي
ومن الآلهة الذي
يساعدون الملكة خنوم،
وراسه على هيئة رأس
كباش وحقت ورأسها
على هيئة رأس
ضفدعة (صورة في
معبد الأقصر).

شكل (٣٥)

وظائف الملك وولادته الإلهية

أما القوة الإلهية التي كان الفرعون يحكم بها فكانت تسمى (ماعت) والتي سنفصل الحديث عنها في الفصل الخامس .

وإذا كان الفرعون إلهاً فإن زوجة الفرعون وأبناء الفرعون وحاشيته لم يكونوا كذلك مطلقاً . إن الجانب اللاهوتي في المؤسسة الملكية كان مرتبطاً بالفرعون نفسه ولذلك لا نود مناقشة تفاصيل مكونات المؤسسة الملكية ومكوناتها وامتيازاتها لخروجها على موضوع اللاهوت المصري .

جـ. المؤسسة الكهنوتية

كان الملك من الناحية العملية ، رغم أنه الإله ، يدمج في شخصيته وظائف وصفات الإله والملك والكاهن . فبالإضافة إلى دوره السياسي والإداري والتشريعي كان الملك في أقدم العصور المصرية ، يقوم بكافة الواجبات الدينية الكبرى مثل بناء المعابد ومنح القرابين والقيام بالصلاة . . الخ . لكن الملك لم يستطع القيام بكل هذه الأعمال مع تعدد الآلهة المصرية وتفرق أماكن عبادتها . ولذلك اضطر الملك لتعيين من ينوب عنه في خدمة الآلهة .

ويعرف سيرج سونيرون الكاهن المصري بأنه كل رجل يمتلك طهارة جسدية أو يضع نفسه في مكان الطهارة والنقاء الفيزيائي المطلوب ، بغية الدخول إلى المكان المقدس أو الاقتراب منه ، أو لمس أي جسم أو طعام مخصص للإله (انظر سونيرون ١٩٩٤ : ٧٧) .

ورغم أن صعوبات كثيرة ستواجهنا ونحن نصنف الطبقات الكهنوتية ، فهي مختلفة في كل عصر ، إلا أن مؤسسة الكهانة تكونت في الدولة الحديثة من خمسة أنواع من الكهنة ينقسم كل نوع إلى أربع درجات هي كاهن الإله ، الأب الإلهي ، كاهن التطهير ، الكاهن المرتل ، الكاهن إيبوشتا (انظر أبو بكر ، الموسوعة المصرية : ٣٤٧) .

ولكننا استطعنا إحصاء سبع طبقات كهنوتية متميزة ، ثلاث طبقات أساسية وأربع طبقات متغيرة وغير ثابتة وهي كما يلي :

١ . الكاهن الأكبر (حم نتر) : وكان الأعلى رتبة بين الكهنة والذي يقوم الملك بتعيينه وكانت شخصيته مؤثرة في المجتمع . ويرجع أصله إلى فترة قديمة جداً وكانت تطلق

عليه ألقاب مختلفة ، فقد كان الكاهن الأكبر لإله الشمس في عين شمس يسمى (أعظم الرائين) و(الذين يستطيع رؤية الإله) وقد دمج اللقبان في لقب واحد هو (أعظم الرائين أمام طلعة الإله رع) ، ولقب (الذي يرى سر السماء) و(رئيس أسرار السماء) . وكان في منف يسمى (الزعيم الأول للفنانين) لأن الإله بتاح في منف كان يتخذ صفة المسؤول عن الصناعات والفنانين .

٢ . الكهنة المختصون : وهم مجموعة من الكهنة الذين يصنفون من المرتبة العليا ويعملون في وظائف محددة تخص الخدمة والطقوس وأعمال النظافة اليومية ، وإكساء وتزيين التماثيل الإلهية والحفاظ على قاعات المعبد وعلى المواد المخصصة للاستعمال اليومي كالحلي والثياب ومتطلبات العبادة . ويشملون بصورة عامة على :

أ . المطهرون (وعب) .

ب . المرتلون من الموسيقيين والراقصين (خري حب) .



كاهن من الدولة الحديثة حليق
الراس وعلى ظهره فراء نمر



الكاهن الأعلى في منف بحليته على
صدره وخصلته على جانب راسه

شكل (٣٦) كهنة مصريون

ج . الكهنة المجنحون (pter phore) نسبةً للريشتين اللتين تزينان غطاء رأسهم . وهم الكهنة القراء والكتاب الذين كانوا يمارسون عملهم في ما يسمى بحقول العلم المقدس (العلم الإلهي) الذي كان يشمل مختلف الحقول الخاصة بالأدب والحكمة والفلك والكيمياء والطب في بيت ملحق بالمعبد يسمى (بيت الحياة) . ولم يكن كعبة المعبد هؤلاء من الكهان فقط بل كانوا يشكلون الطبقة المثقفة والمتعلمة .

٣ . صغار الكهنة : وهم صغار رجال الدين الذين لهم دور بسيط في العبادات الدينية والنشاطات المقدسة وينقسمون الى :

أ . الاقنياء : وهم الذين يقومون بأعمال بسيطة مثل (حملة القارب المقدس ، السقاية في المعبد ورش الماء ، مراقبة الدهانين والرسمين ، ورؤساء الكتاب والعمال اليدويين للملك المقدس ، أو أن يكونوا عمالاً يدويين بسطاء مكلفين بأحذية الإله . . . يتوزعون إلى طبقات في المعابد الكبيرة التي تمتاز بكثرة رجال دين ، منهم رؤساء الأقبية أو المتقدمين في التقوى ، أو من المرؤوسين المصنفين داخل فئة كبار الكهان الصالحين للقيام بجميع الأعمال التي تتطلبها المعبد والعبادة (سونيرون ١٩٩٤ : ٩٥) .

ب . الرعاة (Pastophor) : وهم حملة الأشياء المقدسة .

جـ . الأحبار : وهم المكلفون بتقديم القرابين ونحرها قبل ذلك .

د . مفسرو الأحلام (العالون بالغيب) وهم الضالعون في عالم الظواهر الليلية وتعليم هذا العلم العرفاني .

٤ . الكهنة المؤقتون (أونوت) وهم كهنة الخدمة المؤقتة الذين ظهروا بشكل خاص في عصر الدولة الوسطى حيث يتناوبون العمل الكهنوتي لفترة مؤقتة ثم يعودون إلى حياتهم اليومية المدنية المعتادة .

٥ . الكاهنات : كانت المرأة قبل الدولة الحديثة تدخل في خدمة المعبد وفي سلك الكهنوت ، وهناك كاهنات للإلهة نيت وحتحور ولكن الأسرة السابعة عشرة أظهرت لقباً كهنوتياً جديداً للملكات أو الأميرات اللائي سيصبحن ملكات وهو (زوجة الإله) وهي الزوجة الملكية للإله آمون والتي يحرم عليها الاتصال بأي رجل اتصالاً جنسياً وكانت زوجة الإله هذه صاحبة سلطان عظيم ينافس سلطان الفرعون فقد

كانت «تتملك الضياع الضخمة وتشرف على موظفين ينحصرها، وتتخذ مجموعة من الألقاب، وتحيط اسمها بخرطوش، وتخلع على نفسها صفات ملكية، وتحفظ بأعياد اليوبيل، وتقيم نصباً وأثراً باسمها، وتقدم القرابين للالهة» (مهران ١٩٨٤: ٤٧٧).

٦. الإداريون والمستخدمون: وكان هؤلاء خارج سلك الكهنوت ولكنهم يقومون بالمهام الإدارية والخدمية للمعابد، خصوصاً إذا كانت المعابد واسعة وكبيرة، مثل «مدراء الاملاك ورؤيس القطعان والمخازن... الخ. وكانت هناك مجموعة كبيرة من المستخدمين كالبوابين والعمال والحراس والجنازين والجزارين والعبيد... الخ.



كان الكهان يقومون بالوظائف الدينية التي عرفناها وما يرافقها من مظاهر لازمة لتحقيق ذلك. ولم يكونوا يقومون بالوعي الروحي الكبير للمجتمع أو تثبيت قواعد الدين في قلوب الناس، بل كانوا تحديدًا موظفين يقومون بأعمال محددة ويختلطون بالناس باعتبارهم أناساً عاديين ولا يعيشون على هامش المجتمع أو في عزلة خاصة. وكانت الكهانة أحياناً وراثية أما التدخلات الملكية في التعيين فنادرة فيما يخص الطبقات المتخصصة وعامة رجال الدين ولكنها كانت واضحة فيما يخص الكهنة الكبار من المرتبة الأولى، وكان الملك يحتفظ بحق تعيين وتسمية كبار رجال الدين. أما صغار رجال الدين فكان الوزير يتولى تعيينهم.

وكان الكهان، بالإضافة إلى قيامهم بالطقوس والشعائر الدينية وأعمال الكهنوت المعروفة رعاية لحقول العلم الإلهي المقدس، وكانت بيوت الحياة بمثابة مكتبات للمعابد ذكري فيها عمليات تدوين وحفظ مختلف العلوم. فقد كان الكهنة الكهنة الكتابة المختصون بطورهم علومهم في هذه الحقول فعلوم الكهانة والطقوس كانت لها الحصة الأكبر وكانت دوريات، التاريخ والأحداث الكبرى التي مرت بها مصر والمنطقة المحيطة بها، وكان للكهان ولع خاص بتدوين كل ما يحصل سنوياً وكل ما يساعد في شؤون العرافة والقال. ودونوا الكثير من المعلومات التي تخص جغرافيا الكون والأرض ومصر. وشملت علومهم الفلك والهندسة ونصوص التنجيم وكذلك علوم الهندسة وفن العمارة. وكانت العلوم الطبية من أهم العلوم المقدسة وقد شملت التحنيط واختلطت بالسحر القديم وفنون الجراحة وتطورت

علوم الحيوانات وظهرت مدونات كثيرة لتفسير الاحلام والسحر والعقاير والصيدلة والاداب .

ويدل هذا على أن المعبد كانت بمثابة الجامعات العلمية والروحانية وأن الكهنة كانوا بمثابة الاساتذة العلمانيين والروحانيين مختلف حقول هذه الجامعات لمصر ولجيرانها وخصوصاً اليونان .

د. المعابد المصرية

لم تكن المعابد المصرية ، كما هو شأن المعابد القديمة ، أماكن للزيارة أو التعبد فالمعبد ليس مكاناً يقصده المتعبد ليصلي للإله ، ولا هو بالدار الذي تحتشد الجماهير لممارسة الطقوس فيه أو لكي تتقرب إطلالة الإله عليها خلال الاحتفالات الدينية . وهو ليس مكاناً تقام فيه الشعائر المقدسة التي يقوم بها الكهنة المتخصصون أمام الناس . إن المعبد المصري لا يستقبل الناس . بل هو تحديداً المكان الذي تبالغ فيه حماية وإخفاء الإله فيه (انظر مهرجان ١٩٨٤ : ٤٦٢) .

إن قلب المعبد هو مكان سري يتم الذهاب إليه عبر أبواب متعاقبة عديدة وكلما وصلنا إلى الداخل ازداد المكان إظلاماً حتى نصل إلى مكان مليء بالهبة لا يصل إليه إلا الكهنة المخولون بذلك حيث يوجد التمثال المقدس للإله الذي يختلف عن التماثيل المعروفة للإله إنه ببساطة تمثال سري يعجسد حقيقة الإله وحين يصل إليه الكاهن المختص وبمجرد أن يراه ينبطح على بطنه ويقبل الأرض ويكرر ذلك ثم يقوم ويشعل البخور ثم ينشد للإله مقطوعة قصيرة ويقوم بعدها بالأعمال اللازمة لهذا التمثال كتزويده بالطعام والشراب وحمايته من الأرواح الشريرة (المراجع السابق ٤٦٣) .

ويحظر تماماً تصوير صورة الإله المجسدة في التمثال المقدس ويستعاض عن ذلك بتصوير الزورق الذي يوجد عادة في غرفة قدس الأقداس ، ويظهر الزورق مزيناً من الأمام والخلف برأس حيوان الإله المقدس وكان بحارة الزورق يمثلون بتماثيل الملوك والآلهة الآخرين . وفي وسط الزورق مقصورة كأنها معبد صغير كان تمثال الإله داخلها ولكنها مغطاة تماماً بالاستار ولا يظهر منها مطلقاً أي شيء يدل على الإله . . .

لم تكن المعابد المصرية لعبادة الآلهة فقط «وإنما منها ما كان أيضاً لعبادة من آله من الملوك السابقين ، أو لعبادة من شيدوها . ومن أقدم من عُبد من الملوك في بلاد النوبة سنوسرت الثالث ، وعُبد تحوتس الثالث في معبد سارا جنوب أبي سنبل ، وامنحوتب الثالث في صولب ، وسيتي الأول في أبيدوس . ومن الملكات من أنشئ لها معبد خاص لعبادتها ، فقد أقام امنحوتب الثالث في سدجا شمال صولب معبداً تعبد فيه زوجته الملكة تي ، وحفر رمسيس الثاني معبداً في أبي سنبل تعبد فيه الملكة نفرتاري مع الإلهة حتحور» (شكري ١٩٨٦ : ١٦٣) .

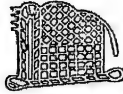
المعابد قبل عصر الأسرات؛ هياكل مثل الأكواخ

كان المعبد في اللغة المصرية القديمة يعني بيت الإله (Er-per) ، وفي الاوقات المتأخرة (Erpi) أي باب البيت المقدس أو باب بيت الإله . ويرى بعض الباحثين أن المعبد المصري في أول نشأته كان مسكناً للزعيم أو جزءاً منه ويدل على ذلك انه كان يطلق على المعبد وبيت الزعيم لفظ واحد .

وكانت أولى المعابد ، من ما قبل عصر الأسرات ، قد اندثرت بسبب موادها سريعة التلف ولكن نقوشاً على البطاقات من الخشب والعاج أشارت إلى شكلها ويمكننا أن نميز نوعين منها :

١ . هيكل الصعيد : الذي كان مبنياً من القصب ومن أغصان الأشجار المثبته بأوتاد خشبية على الأرض والمغطاة بحصير (شكل ١٣٧) وهو على شكل مستطيل على أحد جانبيه القصيرين باب فخم مقوس في أعلاه ، وفي أحد جانبيه الطويلين باب آخر ، ويتميز هذا الهيكل أو المعبد بظهور أربعة بروزات أو قرون في أعلى واجهته ويتقوس سطحه على شكل ظهر حيوان ، وتدل على ما يشبه الذيل الطويل في مؤخرته .

وقد أوحى هذا الشكل لبعض الباحثين ومنهم (رايك) إن شكل الهيكل مستوحى من الخرتيت الأفريقي أو فرس النهر ، أو أنه يمثل حيوان أنوبيس المقدس ليعبث الرهبة والرعب في من ينظر له . وقد يكون لشكل هذه الحيوانات علاقة بشكل الهيكل خصوصاً أن من عادة المصريين تغطية بيوتهم بفراء هذه الحيوانات وخصوصاً بيت الزعيم الذي كان يغطى بجلد ثور يشير له .



أ- هيكل الصعيد في بداية الأسرات



ب- معبد الشمال



ج- معبد الآلهة نيت

شكل (٣٧)

معابد ما قبل عصر الأسرات

٢ . هيكل الشمال : وكان يتميز بارتفاع جداريه في طرفيه وله سطح ذات قبة ، ومن أشهر أمثله معبد الإلهة نيت (حامية الشمال) شكل (٣٧) ب، وكان ذات فناء يقوم على مدخله صاريان يعلوهما علمان ، ويوضع على قمة هذا الكوخ من الداخل رمز الإله أحياناً وكانت القوابين تقدم له في الفناء الخارجي ، وكانت مؤخرة المعبد على شكل مقصورة بسطح مقبى ، وفي جوانبها أربعة قوائم تعلو السطح وقد أثر هذا الشكل في صورة الثوابيت وصناديق الامعاء الخشبية والحجرية فنحتت على طراز هذا الهيكل .

المعابد في بداية عصر الأسرات: المقصورات والردهات

يمثل هذه المعابد معبد (خنثي إمنتي) : إله الموتى وقبلة أهل الغرب . وظهر على حافة الصحراء في أبيدوس .

ويتكون من ردهتين متتاليتين ، باب كل منهما منحرف عن محور المعبد وتطل عليها مقصورة التمثال تكتنفها قاعتان ، وكان بجانب الردهتين سلمٌ يؤدي إلى السطح (شكل ٣٨) ويعتقد أنه كان إلى جانب تمثال الإله تمثال الملك الذي انشأ المعبد اذ يبدو أنه كانت تجمع المعبد صلة بالمقابر الملكية في أبيدوس . ويعتبر طراز هذا المعبد أصلاً للمعبد ذي المقصورات الثلاث في الدولتين الوسطى والحديثة (انظر شكري ١٩٨٦ : ١٧٠) .

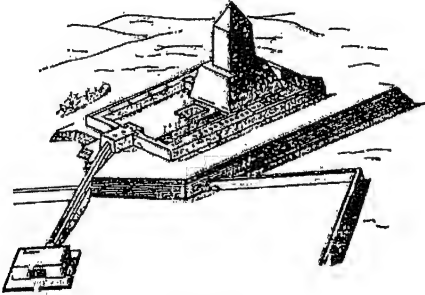


شكل (٣٨)

معبد الإله خنثي إمنتي في أبيدوس

معابد الدولة القديمة : معابد الشمس

كان ابتكار المقابر الملكية العظمى (الأهرامات) في الدولة القديمة ، والتي ترمز للشمس حافظاً لنشوء نوع جديد من المعابد التي سميت بـ (معابد الشمس) والتي ظهرت مع الأسرة الرابعة ، حيث كانت بداية نشأتها كمقابر سميت بـ (مصطبة الفرعون) على هيئة تابوت ضخم ونبذت الأشكال الهرمية ، وهكذا نشأت معابد الشمس مع الأسرة الخامسة وقد زال أكثرها ولم يتبق منها سوى أطلال أحدها (شكل ٣٩) .



شكل (٣٩)

معبد الشمس

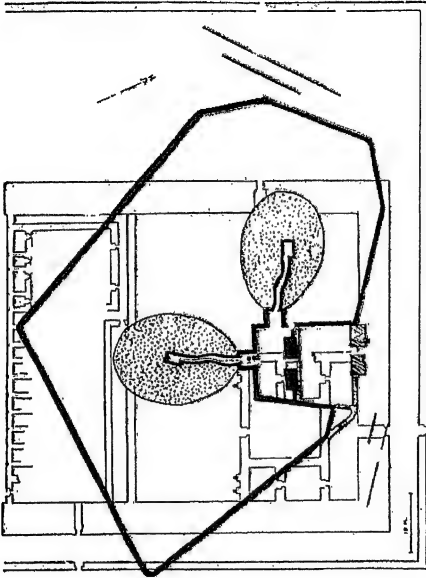
وكان معبد الشمس يتكون من فناء واسع ومكشوف تقوم فيه مسلة تقوم فوق قاعدة مربعة وكانت هذه المسلة تسمى بن بن Ben Ben وهي التي تشير أسطورياً إلى التل المقدس الذي ظهر عليه أتوم (إله الشمس) وهو مخصص لاستلام دماء القرابين ، وكان على طول جوانب الفناء الواسع مجموعة من الغرف التي تحفظ فيها الأشياء المقدسة

الملكية . وزينت جدران الممرات برسوم بارزة . وفي خارج الحبة سفينة كبيرة من الخشب فوق قاعدة من اللبن ترمز إلى إحدى سفينتي الشمس . وهكذا كان معبد الشمس مكشوفاً لأشعة الشمس ولا يحتوي على تماثيل للإله . وكان القرايين تقدم أمام مسلة الشمس التي ترمز للإله .

وأهم معابد الشمس هو المعبد المسمى (بهجة رع) في الشكل السابق والذي شيده نيوسرع في أبو جراب شمالي صقارة بمناسبة احتفالة بيوييله الثلاثيني ، ويعتقد ان مخططه يشبه معبد الشمس في عين شمس .

معابد الدولة الوسطى: الردهات والقاعات والغرف

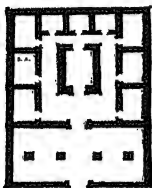
لعل معبد أوزيريس في مجمع الميدامود يشكل أحد النماذج الأساسية لمعابد الدولة الوسطى ، وهو يتكون من سرور غير منتظم من اللبن ويحيط بغاية مقدسة فوق اكمة صناعية شكل (٤١) وله مدخل محاط بجائطين سميكين وباحة وغرفة قدس أقداًس .



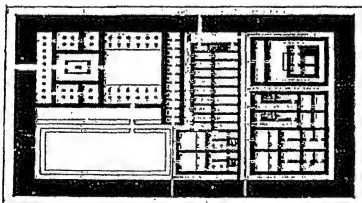
شكل (٤٠)
معبد أوزيريس في نجع الميدانمود

أما معبد طود الواقع جنوبي الأقصر فيرجع إلى عهد الأسرة الحادية عشرة فيتألف من مدخل وردة مستطيلة يعتمد سقفها على أربعة أعمدة ، وتليها قاعة تترسبها مقصورة مفتوحة من طرفيها ، كانت تكتنفها أربع قاعات وفي نهاية المعبد هناك خمس غرف تنفتح ابوابها باتجاه القاعة الوسطى ، وهذا يعني أن القاعة الأساسية للمعبد مكونة من تسع غرف جانبية وقاعة تنوسطها المقصورة المفتوحة (شكل ٤١) .

ولا يكاد معبد نجع الميدامود يختلف عن طراز معبد طود الا في بعض التفاصيل ، وكونه احتوى قصر الملك وكانت في جنوبهما مرافق المعبد من مخازن وصوامع غلال وحظائر ومساكن للكهنة شكل (٤٢) .



أ- معبد طود من عهد الدولة الوسطى



ب- معبد نجع الميدامود من الدولة الوسطى

شكل (٤١)

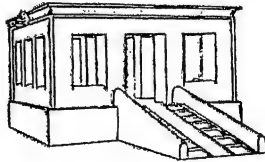
معابد الدولة الوسطى

أما جواسق اليوبيل الملكي في الدولة الوسيطة فقد كانت عبارة عن معابد احتفالية محاطة بالأعمدة ، وهو ما يفرقها عن المعبد ، كجزء من طقوس الأعياد الملكية ، ويرجع جوسق اليوبيل الملكي الى الاسرة الاولى على الاقل إذ من نقوش الملك نعرمر ما يثله جالساً بتاح الوجه البحري في جوسق فوق منصة عالية ، وسقفه على شكل سقف هيكل الجنوب ، ويعتمد في مقدمته على قائمين من طراز ما يعرف باسطون الخيمة (شكري ١٩٨٦: ١٨١) .

وفي الصرح الثالث في الكرنك عشر على أحجار جوسق السنوسرت الاول وقد أمكن إعادة بنائه (شكل ٤٢) وهو من حجر الجير الجيد ويقوم على قاعدة مستطيلة مرتفعة ، وله واجهتان على محور واحد ، ويؤدي إلى كل منهما درج يتوسطه أحدور ، وتتألف كل واجهة من عمودين في طرفيها وعمودين في الوسط بينهما مدخل المعبد ، يعلوه عتب تحلية الشمس المجنحة وفوقه الكورنيش المصري ، ويشبه الجانبان الواجهتين غير أنهما أكثر طولاً وليس بهما مدخل ويبرز من وسط الكورنيش ميزاب في شكل رأس أسد . ويصل الأعمدة معاً سياج منخفض مدور في أعلاه يترك بين الأعمدة فراغاً كبيراً (المرجع السابق ١٨٠) .



جوسق الملك ببي الأول



جوسق سنوسرت الأول

شكل (٤٢)

جواسق الدولة الوسطى

معابد الدولة الحديثة، الضخامة ويهو الأساطين

يعتبر عصر الدولة الحديثة أعظم عصور مصر القديمة في الاعمار والبناء ، وقد ظهرت فيه المعابد الكبرى التي لا نظير لفخامتها في العالم كله . ويبدأ الميل إلى الضخامة في البناء إلى عهد امنحوتب الثالث حيث بني الصرح الثالث في الكرنك وفي معبد الأقصر الذي يبلغ ارتفاع بعض أساطينه ستة عشر متراً وفي المعبد الجنازي غرب طيبة حيث تمثالاً ممنون يشمخان هناك .

وكانت للمعابد طرق فخمة تؤدي إليها لتكون مهيشة لإقامة الاحتفالات الدينية الكبرى كما انها كانت توازي أو تتعامد مع مجرى النيل لكي يبحر منها تماثيل الإله أيام الأعياد في طقوس الطواف لزيارة معبد إله آخر ، وكان الطريق إلى المعبد يسمى (طريق الإله) حيث تحيط به تماثيل الكباش أو أبي الهول .

وكان المعبد في الدولة الحديثة يبنى من حجر رملي كبير في الغالب ، وهناك ما بني كله أو بعضه بحجر الجير .

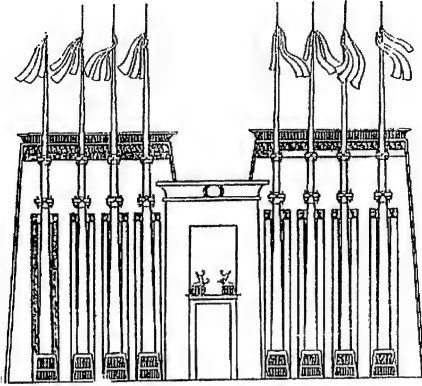
وسنقدم هنا عرضاً عاماً لأهم مكونات المعبد في الدولة الحديثة ثم نتطرق بعجالة لأهم نماذجها . يتكون طراز المعبد الحديث من خمسة مرافق أساسية هي : (الصرح ، الفناء ، بهو الاساطين ، قلس الاقداس (مقصورة الإله) ، السطح الخارجي ، السور) .

١ . الصرح : وهو بناء ضخمة ذو برجين عظيمين بقاعدة مستطيلة ، وواجهة وسطى فيها مدخل المعبد يعلوها الكورنيش المصري المحلى بالشمس المجنحة .

ويعلو الصرح في الفضاء شامخاً وكأنه ينظر إلى السماء أو يناطحها أو يمتد مثل أعمدة السماء كما تقول بعض النصوص المصرية . وتسمح جدرانه لصور ومناظر شاسعة وتحلى واجهته صورة رمزية ضخمة للملك تمثله وهو يقمع رؤوس حفنة من الأعداء الراكعين .

وكانت تقوم في واجهة كل صرح ساريتان أو أكثر من خشب الأرز أو السرو (حوالي ٣٠م) منتهية بأعلام ملونة يلوحها الهواء في الفضاء علامة المكان المقدس ، وكانت ذرى الساريتات تغشى بذهب يلعب في ضوء الشمس شكل (٤٣) .

وتتقدم الصرح وتظهرها إلى جداره تماثيل ضخمة للملك ، كل منها من حجر واحد وأحياناً تقوم من أمامه مسلتان يعلوانه .



شكل (٤٣)

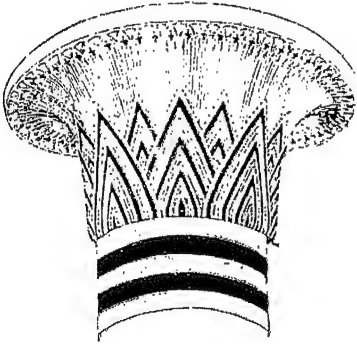
المدخل بصواريه وأعلامه المتطايرة في القضاء (من رسم مصري)

٢. الفناء : وهو أوسع مكان فيه يأتي بعد المدخل ، وتقوم في مؤخرة الفناء أو على جنبه صفة مسقوفة تحمي نقوش الجدران وألوانها ويقف فيها المشاركون في الاحتفالات ، وكان الفناء يسمى (ساحة الأعياد) وقد يحتوي على مائدة قرابين . والفناء مكشوف يغمره ضوء الشمس .

٣. بهو الأساطين : وهي قاعة كبيرة تشغل عرض المعبد وتتألف في المعابد الكبيرة في الأسرة التاسعة عشرة وما بعدها من ثلاثة أروقة في الوسط يعلو سقفها سقفي الأروقة التي تكتنفها ، ويقف هذا السقف على صفيين من اساطين بردية عالية ذات تيجان على شكل زهرة يانعة تحمل أعتاباً ضخمة (شكل ٤٤) .

وبهو الأساطين مسقوف وضوؤه قليل . وكان يسمى (مكان راحة الإله) و(بهو التجلي) وكان يتوج فيه الملك بعد تطهره .

٤ . قدس الأقداس (مقصورة الإله) : وهو قاعة مستطيلة في نهاية المعبد كان يحفظ فيها تمثال الإله أو رمزه في ناووس أو في زورق على قاعدة في وسطه . وكان على الملك ورئيس الكهنة التطهر قبل أن يتقدم أحدهما إلى تمثال الإله . وقد يكون في المعبد عدة مقصورات للثالوث الإلهي (الأب والأم والابن) . وكنت تودع فيها ذخائر الإله وأدوات الطقوس . وكان قدس الأقداس يسمى (الافق) رغم وجوده في أغوار المعبد وفي أعماق ظلامه .



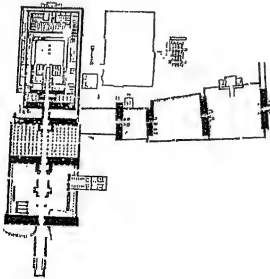
شكل (٤٤)

تاج أسطون بردي يانع

- ٥ . السطوح الخارجية للمعبد والفناء مزينة بصور ومناظر في حجم كبير وفي نقش غائر وبألوان بهيجة تخلد أعمال الملك الحربية ومواكب الأعياد العظيمة .
- والمعابد المصرية تعد كتباً حجرية ومتاحف دينية للصورة زيادة في هيئة وجلال المكان .
- ٦ . السور المحيط بالمعبد ضخيم ومصنوع من اللبن ويضم مساكن الكهنة والموظفين ومكاتب إدارة المعبد ومخازن مختلفة ومصانع ومخابر وحدائق وبحيرة مقدسة .

معبد آمون رع في الكرنك:

يعد هذا المعبد أعظم معبد في العالم (شكل ٤٥) ، وقد كان في الدولة الوسطى معبداً صغيراً ، وحين تعاضم دور الإله آمون رع تعاضم معبده ، وهو يشغل أكثر من ٦١ فداناً ويضم ما لا يقل عن عشرين معبداً لآلهة مختلفة . وكان يجمع أغلبها معاً سورٌ ضخم لاتزال بقاياها ترى من حوله حتى الآن . وقد كان هذا المعبد الجبار يتناسب مع الإله القومي لإمبراطورية عظمى مثل مصر آنذاك فأصبح يملك الأراضي الواسعة والورشات المختلفة وله سفن تنقل منتجات حقوله ومصنوعاته وامتلات خزائنه بالذهب والفضة ، وشونه ومخازنه بالفلال والأخشاب الثمينة وحفظائه بالبقر والأغنام . وعماراته مركبة ولا سبيل إلى شرحها هنا .



شكل (٤٥)

معبد آمون رع في الكرنك

معبد أتون العظيم

وهو معبد اخناتون في تل العمارنة للإله (أتون : مبدىء الحياة) وهو الإله الواحد الأحد . وهو أحد معبدين تهدما . أما المعبد العظيم (شكل ٤٦) فمحاط بسور كبير طوله ٨٠٠م وعرضه ٣٠٠م تقريباً ويتوسط جداره الغربي مدخل في شكل صرح ذي برجين عاليين من اللبن مؤزر بحجر .

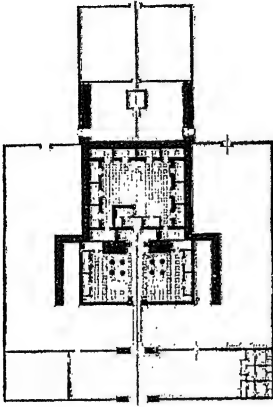
ويتكون المعبد من ثلاثة أقسام هي (انظر شكري ١٩٨٦: ٢٠٦-٢٠٩)

١ .بيت الأفراح حيث يتقدمه صرح لبن مكس بالحجر الجيري وفي واجهة كل من برجيه خمس ساريات عالية ترفرف في أعلاها الأعلام ، ولا توجد عتب أو كورنيش ، ويلي الصرح رواقان يكتنفان مراً مكشوفاً ، وفي كل رواق أربعة أساطين في صفين .

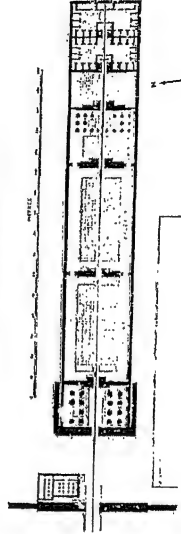
٢ . لقاء أتون : وهو مجموعة فناءات أحدهما يلي الآخر ويقوم بين كل فناء وآخر صرح ذو برجين بينهما مدخل فخم مفروق العتب . ووسط كل من الفئتين الأخيرين (٦،٥) مائدة قربان كبيرة بين موائد قربان عديدة ، وتحيط به قاعات غير مسقوفة ، في كل قاعة مائدة قربان صغيرة أو أكثر .

٣ . الهيكل : ويشغل مساحة ٢١٠٠م يتقدمه صرح من ورائه فناء مستطيل في جانبه اليمين ثلاثة بيوت صغيرة للكهنة ثم صرح ثانٍ يفضي مدخله إلى فناء ثانٍ يتوسطه طريق يظن أنه كانت تحف به الأشجار . ويؤدي الطريق إلى صرح ثالث أو مدخل فخم يفضي بدوره إلى فناء ثالث كان يحتوي على موائد قربان كثيرة وتكتنفه بضع قاعات ، وفي مؤخرته رواقان أمام برجيه صرح رابع وكان في كل من الرواقين تماثيل صنمجان لاختناتون .

إن ما يميز معبد أتون العظيم هو أنه من النمط المكشوف حيث أفنيته معرضة للشمس مما يذكر بمعبد الشمس في عين شمس وفي أبي جراب . فهوم عبد قرص الشمس نفسها ولا بد أن تكون أشعة الشمس حاضرة في المعبد .



هيكل معبد آتون العظيم



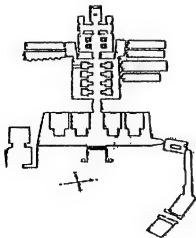
معبد آتون العظيم

شكل (٤٦)
معبد آتون العظيم وهيكله

المعابد الصخرية

حفر بعض ملوك الدولة الحديثة معابد وهياكل للألهة في الصخر أولها معبد باخت من عهد حاتشيبسوت وتحتموس الثالث ثم تتالت هذه المعابد وازداد تركيبها جمالاً وسعةً وكان في بلاد النوبة أكثر المعابد الصخرية وأهمها .

ويعتبر معبد أبو سنبل العظيم (شكل ٤٧) أجمل هذه المعابد على وجه الإطلاق نحتته رمسيس الثاني في جبل مرتفع من الحجر الرملي يشرف على النيل كان يسمى (الجبل الطاهر) . ويبدأ بفناء يحتوي على شرفة مرتفعة يتوجهها الكورنيش المصري وتقف على حافتيها تماثيل للصقر حورس وللملك في صورة أوزير . والشرفة عالية يبلغ ارتفاعها ٣١م وتظهر فيها أربعة تماثيل عملاقة هي أضخم تماثيل في العالم وقد نحتت في الصخر وهي لرمسيس الثاني وهو جالس بارتفاع ٢٠م وبين سيقانه وبجانبيه تقف تماثيل لأمه وزوجته وطائفة من أبنائه لا يتجاوزون ركبته ، ويقع فوق الكورنيش المصري صف من (٢٢) فرداً ترفع أذرعها للشمس المشرقة ويتوسط الواجهة مدخل عظيم يعلوه تمثال الإله الشمس (رع حراختي) وتمثال الصغير للإله ماعت . ويدخل المعبد في الصخر عمقاً يصل إلى (٤٧م) من مدخله حتى قدس الأقداس . وهناك تماثيل وصور لرمسيس على الجدران وينتصب في بهو الأعمدة صفان من الأعمدة تحلبها صور رمسيس مع الآلهة . ويعطي المعبد انطباعاً بالعظمة والطموح ويدل معماراً على معجزة كبيرة وتماثيله على إبداع لا نظير له (انظر المرجع السابق : ٢٤١-٢٤٥) .



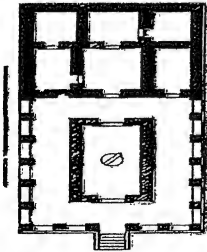
شكل (٤٧)
معبد أبو سنبل العظيم

جواسق اليوبيل في المملكة الحديثة:

لم تكن جواسق اليوبيل منذ أقدم نشأتها على طراز واحد ، فقد كانت أول الجواسق في عصر نعرمر ووديو مظلة فوق منصة عالية يعلوها عرش أو عرشان ، ثم أصبحت المنصة في عهد روسر تبنى بالحجر ، وفي عهد الدولة الوسطى كان الجواسق رواقاً مسقوفاً تحيط به الأعمدة كما في جواسق سنوسرت الأول ، أو بناءً تتوسطه مقصورة في كل من طرفيها مدخل وتتقدمها ردة وتكتنفها قاعات (كما في طود والميدامود) . (انظر شكري ١٩٨٦ : ١٨٩) في الدولة الحديثة ازدادت الجواسق سعة وتنوعاً وكما يلي :

- ١ . قاعتان صغيرة داخل كبيرة ، والصغيرة تفتح من طرفيها .
- ٢ . قاعة داخل رواق تحيط به الأعمدة .
- ٣ . قاعات وراء رواق تحيط به الأعمدة .
- ٤ . بهو ذات صفة وداخله قاعات .
- ٥ . رواق محاط بالأعمدة والأساطين .

وأفضل مثال على النوع الأول هو الجواسق المحاط بالأعمدة في مدينة حابو ويتألف من درج يؤدي إلى مقصورة مفتوحة من طرفيها في داخل رواق كبير يحيط به من ثلاث جهات صف من الأعمدة يجمعها معاً سياج منخفض ، ومن وراء ذلك ست قاعات في صفين ، ويتوج جدرانها من الخارج الكورنيش المصري وسقفه على الأكثر من مستوى واحد شكل (٤٧) .

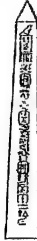


شكل (٤٨)

معبد حاتشيبسوت وتحوتمس
الثالث في مدينة حابو

المسلات:

المسلة هي قطعة طويلة من الحجر كانت ترمز عند المصريين للتل الذي ظهر عليه الإله الشمس (بن بن) ، وكانت رمزاً مقدساً تقدم له طقوس العبادة والقرابين ويرى بعض الباحثين أنها أشعة متحركة للشمس وكانت توضع في مقدمة المعبد لحمايته ، وكانت تقام بشكل خاص لجزء من احتفالات اليوبيل الملكي . وتختلف في طولها ووزنها وأطول وأثقل مسلة هي مسلة أسوان غير المفصولة من الصخر حيث أن طولها يبلغ ٤١٧٥ م ووزنها ١١٦٨ طناً وتذكر بعض النصوص المصرية أن حاتشبسوت أقامت مسلتين طول الواحدة أكثر من ٥٦ م من الحرانيت والذهب والفضة ، وكانت القمة الهرمية للمسلة تكتسى بالذهب والفضة ، وتكتب على سطوح المسلة كتابات هيروغليفية .



مسلة سيزوستريس الأول
في هليوبوليس

٢. عقائد الريوية

١. الألوهية (نتر)

كانت كلمة (نتر Neter) في اللغة المصرية القديمة تعبر عن الله أو الإله روح أي من الكائنات ، وكانت هذه الكلمة تعني القوة أو الطاقة التي تفوق قوة البشر أو الحارقة للطبيعة ، أما رمزها الهيروغلوفي فكان عبارة عن صورة فأس برأس متجه إلى اليسار (⌒) .

وقد حير العلماء تفسير معنى هذا الرمز ومصدره فقد رأى البعض أن هذا الرمز يعود للعصور الحجرية حيث استخدم كدالٍ على القوة حين كانت الفأس أداة للصيد والحفر

والبناء . وهناك من رأى أن قداسة هذا الرمز أتت من استخدامه في مراسيم التضحية والقربان في تلك العصور .

ورأى بعض العلماء أن المعنى الحقيقي لكلمة (نتر) هو (التجديد) وإن فكرة بقاء الله حيًا وخالداً عن طريق التوالد والاستمرار الذاتي كانت ملهمة في اتخاذ هذه الكلمة دالةً على الإله . . . وقد ذكرت هذه الكلمة مرتبطة بوجود خالده وشخص يخلق نفسه وينتج نفسه ، حيث هذا الكائن يخلق نفسه بالفطرة وهي توحى بذاتية الخلق والقدرات الخاصة بتحديد الحياة للأبد وذاتية الإنتاج وكانت تشير إلى كائن له القدرة على إنتاج الحياة وصيانتها عندما تتوالد (انظر بدج ١٩٩٤ : ١٠٢) . واعتقد باحثون آخرون أن المعنى الحقيقي للكلمة مستحيل التحديد وإن كلمة (نتر) وإن عنت التجديد والقوة والقدرة والضرورة لكنّها كلمة غير دارجة لهذه المعاني .

وكانت كلمة (نترو) تعني (الآلهة) التي كانت تكتب في الغالب بثلاث فؤوس . وكان من صفاتها التضاد مع الموت ، ولكن كلمة نتر تبدو أحياناً كصفةٍ تطلق على القوي أو الخالد كما في هذا النص :

«صبي نتر وارث الخلود أنجب نفسه وهب الحياة لنفسه

أنا مكرس في قلبي بدون تظاهر ، يا أنت يا نتر أصبحت أكثر من الآلهة

هل ممكن القول هذا الفصل انتهى تاج خاص بنتر

أصبحت (نتر)

أرتفعت لأعلى على هيئة الصقر (نتر)

لقد أصبحت نقياً . . . أصبحت نتر . . . أصبحت روحاً .

أصبحت قوياً . . . أصبحت نفس (با)

وجوده نتر مع الآلهة في النتر خيرت

هو سيكون نتر جسده كله

نترصنوا نفوسهم مثل الآلهة

إله نتر ي أنتج نفسه حسب الفطرة » (بدج ١٩٩٤ : ١٠٠-١١٠)

ويبدو أن صفات الإله كانت عامة ولم تكن مطلقة بالضرورة حيث كان الإله يحمل صفة الخلود باعتباره قوة أسمى ولكنه لم يكن بالضرورة خالداً حيث يقول بديح متفقاً مع ماسبيرو «إن الإله المصري القديم كان كائناً يولد ويعاني ويموت مثل الإنسان وهو هالك وغير متكامل وله عواطف وفضائل وغرائر وبدائل» (بديح ١٩٩٤: ٩٩) .

إن صفة الخلود لم تكن مطلقة وكان من الطبيعي أن يموت الإله ولكن هذا المرث كان دورياً ولم يكن أبدياً .. رغم أن بعض الآلهة تموت إلى الأبد . إن (رع) يتجدد كل يوم أما أوزير فيتجدد مع الفصول الربيعية ولكننا نلمح أوزير إلهاً دائماً لعالم الموتى .

إن التعبير الدقيق عن عدم اختلاف الإله عن الإنسان يكمن في الفكرة اللاهوتية المصرية الكبرى التي ترى أن هناك جوهرًا واحدًا لكل من الآلهة والكون والإنسان وإن الاختلاف يكمن في التفاصيل أو في الأغراض . إن الفرق بين هذه الممالك الثلاث وبين مكونات كل ملكة على حدة لا يعدو سوى اختلاف بالدرجة لا بالنوع . ولذلك فإن أنسب قانون خفي يمكن وصفه مسيراً لجوهر هذه الحقول الثلاثة هو القانون السحري المعروف بـ (قانون التشابه) الذي يقضي أن الشبيه ينتج الشبيه أو أن المعلول يشبه علته .

ولذلك نجد أشياء هذه الحقول الثلاثة تتبادل فيما بينها الأدوار دون حاجز فالإله يحل بالإنسان ولا فرق بين الإله والإنسان ، فقد ظهر الإنسان من دموج الإله الخالق بينما ظهرت بقية الآلهة من عرق جسده أو إفرازاته ولنلاحظ أن لا فرق بين الدموج وعرق الجسد أو إفرازاته . وإن الإله يمكن أن يحل في التعمش المقرر له وأن هذا التجسد ينتج للأخبرين مشاهدة احتمال من احتمالات ظهور الإله وإن تقديم الحيز للإنسان الحي يقابله تقديم قرص حجري أو خشبي للإله الميت بل وحتى يمكن أن تنوب كلمة (خبز) أو صورة الرغبة لتقوم بمثل هذه المهمة وهكذا تسري قوة الكون واحدة في كل شيء ولكن هناك تراتباً وتصنيفاً معقولاً لا يشكل حاجزاً بل لأغراض ترتيبية فحسب . «فبين الإله وبين الإنسان يتعدم ذلك الحد الفاصل الذي نستطيع أن نقول عنده : هنا يتغير الجوهر من الإلهي ، المافوق الإنساني ، الخالد ، إلى الدنيوي ، الإنساني ، الفاني» (فرانكفورت ١٩٨٠: ٨٣) .

لقد كان الألوهية متجسدة بشكل كامل في الملك (الفرعون) كما أوضحنا ذلك ، وكانت الملك هو الابن الجسدي الذي جاء من صلب الإله الشمس رع ، ولذلك فإن الملك يولد من جسم الإله الشمس وعندما يموت يعود إلى جسم والده ، ويجسد هذه الفكرة النص التالي :

« دخل الإله أفضه وصعد ملك مصر العليا ومصر السفلى سهتييري إلى السماء واتحد بقرص الشمس ، فاندمج في ذلك الذي صنعه » (فرانكفورت ١٩٩٤ : ٩١) .

ويبدو أن التقاليد المصرية الجنازية الحقت فيما بعد الفرعون بالإله أوزر وجعلته يتجسد به بعد الموت .

وهكذا كان الناس فقد أدرك الناس بعد وقت أن أفراد الشعب ، وليس الفرعون فقط ، يمكن أن يصبحوا خالدين متجسدين بالإله أوزيريس ولذلك شمل التحنيط جثث الفراعنة والناس ليضمنوا جسداً باقياً بعد الموت .

لقد كانت أرض مصر نفسها تعتبر بمثابة إبنة الإله رع وكانت بالتالي تعتبر اختاً للفرعون فمنذ المملكة القديمة كان لفرعون لقب مهم هو (ابن رع) ، ولكن الأساطير تذكر أن ابن رع الواحد هو إله الهواء (شو) « أما مصر فالتناس يقولون منذ عهد الآلهة إنها إبنة رع الوحيدة ، وابنه هو الجالس على عرش شو . وفي هذه العبارة ازدواج ضمنى لإله والهة فمصر إبنة رع الوحيدة ، وفرعون ابن رع الوحيد ، وهذا يتفق وعلاقة الأم والأخت التي رأيناها لأزواج الآلهة المصرية ، وكما كان الزوج تحته كتب الحكمة على العناية بزوجه لأنها حقل مفيد لسيدها هكذا كان الملك صاحب مصر وسلطانها والمسؤول عنها (المرجع السابق : ٨٩) .

ولا نستثنى الكائنات الإلهية الأخرى من هذا الشمول ، رغم قربها الشديد من عالم الآلهة ، فقد رأى والس بدج أن هناك كائنات إلهية أخرى أقرب ما تكون إلى الملائكة في الدين المصري وأن لها ذات الجوهر الإلهي وهذه الكائنات هي :

١ . أوتينو Utenuu

٢ . عفو Aftu

٣ . أورشا Urshu (أورشابي ، أورشانخن)

٤ . حينميت Hen Memt

٥ . كائنات ست العليا والسفلى

٦ . شمسو حيرو Shemsu Heru (زهور حور)

ب-درجات التوحيد والتعدد:

يستنتج فرانكفورت أن المصريين كانوا موحدين في الطبيعة لا موحدين في الله ، فقد رأوا أن هناك كائنات متعددة غير أنهم أحسوا بأن لهذه الكائنات جوهرًا أساسيًا واحدًا .

ويبدو أن هذه المسافة بين التعدد والتوحيد ظلت قائمة بكل موجاتها ودرجاتها في الدين المصري ، فنحن لا نستطيع أن نحزم تمامًا أن هذا الدين كان مشرکًا بالكامل أو أنه كان دينًا موحدًا تمامًا ، إذ أن علينا كشف الفلسفة الروحية العميقة التي توضح طبيعة معتقداته في هذا المجال وكيفية تحولها وتطورها رغم كل ضجيج النصوص والقوائم الإلهية .

ولنبداً بمناقشة الدرجة العميقة الصافية في الدين المصري القديم والتي تكمن خلف مظاهر التعدد ونعني بها التوحيد Monotheism ثم نصعد منها إلى الثنوية فالتثليث ... الخ .

لوعدنا قليلاً إلى شجرة الآلهة المصرية لوجدنا أن التوحيد ينبض فيها بقوة وإنه يستبطن ألتهتها بطريقة أو بأخرى : والتوحيد المصري هو توحيد شمسي لا جدال في ذلك فقد ظلت الشمس مصدر التوحيد الرئيسي في الدين المصري .

إن الإله الذي ظهر بعد الثامون الإشموني في عقيدة الاشمونيين كان إله الشمس (شبيشي) والذي كان خلاصة التكوين الهولي وجوهره .

ونلمح الإله الشمس عبر كل المدارس اللاهوتية في أون أو منف أو طيبة وهو ينبثق عبر عدة أسماء (رع ، بتاح ، آمون) ولكنه في حقيقة الأمر يعبر عن الإله الشمس وعن الشمس ذاتها في تجلياتها المختلفة .

بل وأن هناك نصاً يدمج هؤلاء الآلهة الثلاثة في شخص إله آمون فيدمج به الإلهين رع وبتاح ويصف الكائن الواحد الجديد الذي اسمه آمون بأن رأسه هورع وجسمه هو بتاح (انظر Wilson 1969:365) .

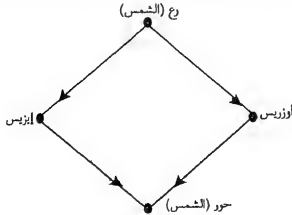
وهناك نص آخر يذكره فرانكفورت يخاطب فيه الشخص إلهه الذي يتألف من (آمون ، رع -أتم -هراختي) أي أنه يتألف من الإله الشمس والإله الأعلى والإله المحلي كلهم مجتمعين في إله واحد . ثم يستمر النص فيحال هذا الكائن إلى أوجهه

العديدة: آمون و رع وآتوم ومورس وهرختي وبعادله أيضاً ب (خبري) و(شو) والقمر ،
والنيل ويتساءل فرانكفورت هل هذا توحيد أم لا (فرانكفورت ١٩٨٠: ٨٤).

وهناك صفة أخرى غير الشمس يتميز بها الإله الموحّد وهي أنه إله خالق فهو
يخلق الآلهة والناس ، ولنلاحظ أن الإله الواحد يخلق الآلهة أي أنه يتميز عنهم
بالدرجة والنوع . وحتى الإله المائي (خنوم) الفخاري الذي يصنع الآلهة والناس على
دولابه الخزفي كان إلهاً خالقاً ولكي تكتمل صورته التوحيدية المصرية أعطي مسحة
شمسية .

وهكذا يرى والس يلدج أن الأمم المبكرة التي احتكت بالمصريين قد أساءت بوجه عام
فهم طبيعة هذه الكائنات ، وقد فعل الشيء نفسه عدة كتاب غربيين محدثين . وحين
تتفحص هذه الآلهة عن كتب فإنها لا تبدو من حيث هي شيء أكثر أو أقل من صور
أو تجليات أو جنبات أو صفات لإله واحد ذلك الإله الذي هو رع ، إله الشمس ، وهو
-كما ينبغي أن نتذكر- من كان غط الله ورمزه (انظر يلدج ١٩٨٥: ٥٦).

وبعد أن تظهر من الإله الواحد أجيال من الآلهة يتحول التوحيد Montheism
إلى تفريد Henotheism ثم إلى تعدد Polytheism ولكننا سرعان ما نلمح عودة
التوحيد عبر الإله (حوري) ، ففي تاسوع أون نرى الإله رع على قمة الكوسموس
الخلقي ثم تندرج بعده ثمانية آلهة على شكل (٤،٢،٢) ولكن الآلهة الأربعة الأخيرة
تبدو كمالوا أنها تحبل جميعها بالإله الشمسي (حورس) الذي يكون ثمرة التاسوع وبذلك
يعود التوحيد الشمسي بعد أن انفرط ويمكن رسم ذلك في المخطط البسيط التالي :



ولكي يعبر التوحيد عن مظهره الواقعي الإنساني فإن الفرعون يمثل ذلك فهو (ابن رع) وهو (حورس) في الوقت نفسه .

إن هذه الباطنية التوحيدية تسري في اللاهوت والمثولوجيا المصرية فهي نضح جماعي لا شعوري عميق بالتوحيد وجوهر خصص تنطلق منه الأشياء .

ولكن التوحيد يظهر بصورته العلنية والصارخة (التوحيد الظاهري) في ثورة إخناتون عندما جعل من الإله (أتون) الإله الواحد الذي لا شريك له .

وأتون هو قرص الشمس وأحد اسمائها . وهكذا عندما اتبحت فرصة واحدة للإله الواحد بالظهور علناً ظهر كأفضل ما يكون عليه التوحيد في العالم القديم فهو يقول في نشيده المقدم لأتون (أنت الإله الواحد الأحد الذي ليس معه سواء ، وليس له من نظير) . لقد التقط إخناتون برهافة دينية نادرة جوهر التوحيد وأعلنه في شخص الإله (أتون) الذي هو الله الواحد الأحد . وكان بثورته التوحيدية هذه مثل نبي يحاول أن ينشر دعوته العالمية إلى العالم كله بعيداً عن المحلية المصرية الذي ظل الدين المصري أسيراً فيها .

وحقيقة الأمر أن رفض الكهنة التقليديين (كهنة آمون) لعقيدة إخناتون لم يكن بسبب طابعها التوحيدي بل كان لأنه أزاح الإله آمون كلياً من المشهد الديني فلو أن إخناتون ، على سبيل المثال ، أطلق اسم آمون على الإله الواحد الأحد وأزاح جميع الآلهة من حوله كما فعل ذلك مع أتون لكان ذلك مدعاة لمناصرة الكهنة له وعدم تعرضهم له ولعقيدته ، ولكنه يبدو في عمله هذا كمن أطاح بنظام كهنوتي وديني كامل ولم تكن غايته استبدال إله بإله . لقد كان ثورياً راديكالياً وكان هذا سبباً في فشل دينه الجديد .

وإذا انتقلنا من التوحيد بدرجة واحدة فاننا سنرى الثنوية Dithieism التي تتجلى في اللاهوت المصري في الآلهة الأزواج (الذكور والإناث) . فممنذ الثامون الإلهي العتيق للأشمونيين والأزواج الإلهية تترادف وتشكل غطاءً ثنائياً متصالحاً . أما النمط الثنائي المتعارض فلم يكن عبر الأزواج الذكور والإناث بل كان عبر الآلهة الأضداد فقد كان إله الشمس (النور) الإله رع عدواً للإله أبيب ثعبان الغلام الذي كان يقف في طريق الشمس

كل يوم . وكان الإله أوزيريس (إله الخضرة والنهار) عدواً للإله ست (إله الصحراء والليل) الذي كان يخوض معه صراعاً طويلاً .

وحفلت المثلوجيا المصرية بصراعات ثنائية كثيرة . والغريب في الأمر أنها كانت ذكورية في أغلبها .

أما نظام الثالوث المصري (Tritheism) فقد كان باهراً حيث ظهرت الثالوثات الإلهية المصرية بشكل واضح خصوصاً في المجمعات الإلهية للمدن والأقاليم فقد كان في كل مدينة وإقليم ثالوث إلهي مكوناً من الإله الأب ومن إلهة أو إلهتين اثنتين أو من إلهة وإله ابن وهو النمط السائد .

ويرى بدج أن فكرة الثالوث هذه في الغالب كانت قديمة في مصر قدم الإيمان بالآلهة ويبدو أنها كانت سائدة في العصور المبكرة مع سيادة الأفكار الخاصة بتشبيه الإله بالإنسان وبالتالي تصبح فكرة تزويد المصري لإلهة بزوجة بنفس درجة حرصه على أن تكون له واحدة فكرة مفهومة لأنه كان يفترض أن الإله لديه الرغبة في أن ينجب ولداً يخلفه كما يرغب هو نفسه ويتوقع أن يكون له . وكأمثلة على الثالوث الإلهي نذكر ما يلي :

١- في منديس (بانث تاتو ، حات ميهيت ، حيرو باخارت) .

٢- في تشكا (سويك ، إيزيس ، آمون) .

٣- في ممفيس (بتاح ، سينخيت ، امنحوتب) .

٤- في طيبة (أمون رع ، موت ، خنسو) .

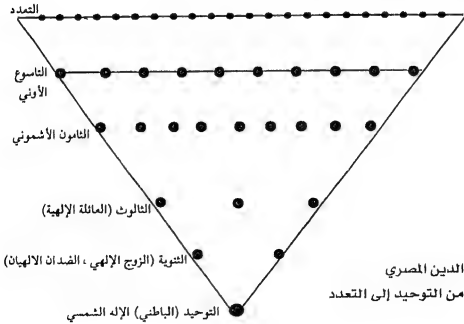
٥- في مصر كلها (أوزيريس ، إيزيس ، حورس) .

وتأتي الأنظمة المتعددة الأخرى منتظمة في الثامون الأشموني المعروف وفي التاسوع الأوني والتاسوع المنفي على أن هناك أنظمة إلهية تشمل (١١) و(١٢) و(١٥) إلهاً . وقد ناقشناها سابقاً .

والهم أن هذه الأنظمة تمهد للتعدد بكل أنواعه وبمصراعيه المفتوحين وبذلك تظهر لنا أفواج من الآلهة في مستواها وشأنها وتدب الآلهة الصغيرة في التفاصيل .

أما نظام التفريد وهو إبراز شأن إله على حساب آلهة آخرين فيظهر واضحاً من خلال آلهة الشمس أيضاً فوجود الإله (رع) على قمة تاسوع شمسي هو نوع من أنواع التفريد وكذلك فيما يخص الإلهين بتاح وأمون ، صحيح أن هذه الآلهة كانت تشكل التوحيد الباطني لأنها آلهة شمسية ولكنها في الظاهر تصلح لأن تكون مثلاً نادراً للتفريد . ومن صفات التفريد أن إله التفريد هو إله قومي يرعى أناساً معينين دون آخرين ويعترف الناس بأن لأقوام غيرهم آلهة خاصة أخرى وهذا ينطبق إلى حد كبير على الإله (رع) الذي كان بمثابة الإله القومي للمصريين وعلى الإله (حور) الذي عبر عن ذلك في وقت مبكر حين أصبح إله الأرضين العليا والسفلى لمصر .

إن ما ذكرناه سابقاً يوضح لنا كيف إن اللاهوت المصري تذبذب بين أشكال عديدة من التوحيد والتثنية والتثلية والشامون والتاسوع والتفريد والتعدد (انظر الشكل الأسفل) وإن التوحيد كان يكمن عميقاً في العقائد المصرية وبعده تأتي الأغاط الأخرى . . ولكن أي فرصة للتوحيد أو التفريد كانت تقوم بقلب المثلث المرسوم في الشكل المرسوم وجعل قمته إلى الأعلى وبذلك يبدو الأمر إجرائياً ومحكوماً بزاوية النظر أكثر من كونه خوضاً في الشرك والتعدد بلا حدود .



وبذلك يظهر لنا نسيج اللاهوت المصري القديم متنوعاً ونقترب في حكمنا هذا مع ما يراه بدج من أن الديانة المصرية كانت في البدء متعددة ولكنها تطورت في اتجاهين متناقضين ، فمن ناحية تضاعفت الآلهة بإضافة الآلهة المحليين ، ومن ناحية أخرى ، اقترب المصريون كثيراً من التوحيد .

كذلك نقترب من رأي فيدمان Wiedemann الذي كان يرى انه يمكن تمييز ثلاثة عناصر أساسية في الديانة المصرية وهي (انظر بدج ١٩٨٥ : ٥٧) .

١- وحدانية شمسية ، أي إله واحد هو خالق الكون ، وهو يُخرج قدراته بوجه خاص في الشمس وعملاتها .

٢- عبادة القدرة التوليدية للطبيعية ، وهي العبادة التي تعبر عن نفسها في تمجيد الآلهة القضيبين ، وربات الخصوبة ، وكذلك في سلسلة من الحيوانات وآلهة الاخضرار المتنوعين .

٣- إدراك بشري للإله الذي كانت حياته في هذا العالم وفي العالم الآخر صورة نموذجية لحياة الإنسان المثالية - وهذا الإله الأخير هو بالطبع أوزيريس .

إن معتقدات التوحيد والتعدد وعلاقتها بالإنسان تتلخص في هذه النقاط لكن سياق حركتها وتشكلها يكمن في الفكرة التي أوضحناها قبل ذلك . ولذلك نحذر من الحكم المطلق على هذه الديانة (كونها توحيدية أو متعددة) وندعو إلى دراسات أعمق لأنسجتها الغنية والمثيرة ولما تحتويه من كنوز .

وقد عبّر المصريون أنفسهم عن شكل الإله الواحد الذي تجتمع فيه الآلهة فقد جمعوا في صورة لحورس رموز بقية الآلهة وبذلك أصبح حورس إلهاً مطلقاً يحتوي على جميع الآلهة (شكل ٤٩) .



شكل (٤٩)

الإله يحتوي على جميع الآلهة

ج- جذور الآلهة (الطبيعية والفتيشية والوطومية)

لم تكن الآلهة المصرية تصورات مجردة أو شكلاً من أشكال التعبير الذهني عن القوة السارية في الطبيعة ، بل كانت منغمسة الجذور في كل مظاهر الطبيعة وذات أصول تفرق في المعتقدات السحرية الفتيشية والوطومية .

لقد كانت الطبيعة بمعناها الواسع المنهل الأول الذي نهلت منه الديانة المصرية آلهتها ولاهوتها وطقوسها . فقد شكلت مظاهر الطبيعة من سماء وأرض وشمس وكواكب ومياه وأنهار ونباتات وحيوانات وأشياء مصنوعة إحياءات بأشكال وصور الآلهة بل وحتى عقائدها .

قوى الطبيعة:

أسمى المصريون السماء (الرب الأكبر) وتصوروها على شكل صقر ينشر جناحيه العظميين على الأرض أو على مصر بأكملها ، وتصوروا الشمس والقمر عيناه المقدستان ،

أما النجوم فتصوورها مزروعة على جسده ربما على شكل ريش يلمع ، والرياح كانت أنفاسه ، والماء عرقه وهكذا تجسدت قوى الطبيعة ومظاهرها في هيئة صقر كوني .

ونشأ تصور آخر للطبيعة فقد ظهرت السماء على شكل بقرة كونية تستند إلى الأرض بقوائمها الأربع التي تمثل دعائم السماء وتصوورا إله الهواء (شو) كرجل عملاق يرفعها من بطنها وسفينة الشمس تمشي على بطنها والنجوم تلتصق على جلد بطنها .

وهناك صورة الأنثى الكونية (نوت) للسماء التي حلت محل البقرة ويمكن أن تكون الطبيعة هي المعبود الأول الذي كان يرى المصري فيه ألهته مجسدة في أشكالها ثم بدأ يضيف على هذه الأشكال صوراً حيوانية وإنسانية ثم حصنها في معابد رسم رموزها وأشكالها المتخيلة .

لقد كانت الشمس أهم مظاهر الطبيعة عند المصريين ولذلك كانت مركز عبادتهم وجوهرها . وكان الإله الواحد المستتر والظاهر هو إله الشمس الذي ظهر في صورته الطبيعية (قرص الشمس) وفي صورته الحيوانية (الصقر ، العجل ، الجمران) وفي صورته الفتيشية (السفينة) وفي صورته البشرية (الملك) .

وكان نهر النيل المظهر الطبيعي الآخر المميز لأرض مصر وعُبد النيل كإله اسمه (جعبى) وهو الروح التي تكمن وراء هذا النهر العظيم والتي ترفع مياه فيضيه حاملة الخصب والنماء وكانت صورته على شكل بشري يجمع صفات الذكورة والإنونة (خنثى) في هيئة بحار أو صياد سمك ذي لحية إلهية وأنداء مترهلة ووطن مترهلة وبصفة خادم الآلهة الذي كان يحمل منتجاته ويقدمها للآلهة الأخرى . وكان أوزيريس يصير كإله للنيل في كهف وروحه تستقر على شجرة الغيضة المقدسة وتسكب له اللبن (شكل ٥٠) . والقمر اتخذ صفة الصقر في بعض الأحيان وصفة الإنسان الجميل في أحيان كثيرة . . وهكذا .

واعتبر الجبل (باخو Bakha) جبل شروق الشمس و(مانو Manu) جبل غروب الشمس .

الفتيشية

الفتيشية هي الاعتقاد بقداسة الأشياء والتصور بأن قوى الكون والقوة السارية تجتمع فيها ، ولذلك اتخذت بعض صور وأشكال الآلهة صفة هذه الأشياء المقدسة .

فقد كان الفأس رمزاً للإلهة كلها وتحولت صورته في الكتابة الهيروغليفية إلى دال على الإله (نتر) وكان حجر الشمس المذهب الذي سمي (بن بن) دالاً على إله الشمس (رع) و(أتوم) . وحتى الهرم الحجري الذي بني كمقبرة ملكية عظمى فإنه كان مشتقاً من شكل التل الأول الذي ظهر من المياه الأولى (نون) .

وكان رمز الإلهة نيث Neith في سايس هو الدرع الذي يتقاطع عليه زوج من السهام . وكان إله مدينة بورويريس في الدلتا يصور كعمود له رأس وأيدي ملك مصري .

وعمكننا تلمس الفتشية في الكثير من العلامات والإشارات المصرية الدالة فقد كانت التيجان رموزاً مقدسة للملك والآلهة وهي على أنواع :

- ١- التاج الأبيض : وهو التاج الذي كان يمثل ملوك الوجه القبلي وكان يصنع من الجلد قفلسية مخروطية الشكل تنتهي بقمة كروية ذات انبعاج خفيف عند وسطها .
- ٢- التاج الأحمر : وهو التاج الذي كان يمثل ملوك الوجه البحري (الدلتا) وكان مثل قفلسية قاعدتها مربعة ولها نهاية خلفية مرتفعة وتبرز منها دائرة حلزونية .
- ٣- التاج المزدوج : وهو جمع للتاجين السابقين ويمثل وحدة القطرين وأطلق عليه المصريون اسم (باسخمتي) أي (القوتان) .



شكل (٥٠)

اوزيريس كإله النيل في كهف وروحه تستقر على شجر الغيضة المقدسة وتسكب لها إيزيس اللبن

٤- التاج الأزرق : وهو تاج ظهر منذ الأسرة الثامنة عشرة عبارة عن قلنسوة ذات استدارة خفيفة مكسو بدوائر صغيرة من الذهب وتدل على منه أشرطة قماش ملونة .

٥- تاج أئف : المكون من قرنين لكبش يمتدان أفقياً وتعلوهما ريشتان من أجنحة النعام وينفرد بلبس هذا التاج إله اسمه (عنجتي) اشتهرت عبادته في شرق الدلتا .

وحين أضيفت لهذا التاج قلنسوة الأبيض أصبح يدل على الاتحاد بين الشمال والجنوب .

٦- منديل الرأس (نمس) : وهو غطاء رأس تقليدي ليس له قدسية وهو عبارة عن طاقية تغطي الرأس بإحكام وتدل على من جانبيها على الكتفين قطعتان صغيرتان .

٧- تيجان الآلهة : وهي تيجان متنوعة تمثل قوى السماء والنور وأصبحت رموزاً لهذه الآلهة . ويمكن التعرف عليها من خلال صور الآلهة نفسها المذكورة في الفصول وال فقرات السابقة .



شكل (٥١) التيجان المصرية

والظهر الآخر للفتيشية يتمثل في رموز الأقاليم التي ذكرناها والتي تشير دون أدنى شك الى مقدسات قديمة كانت محور عبادة ذلك الإقليم منذ القدم .

وكذلك تتجسد الفتيشية في اعلام فرق الجيش في الدولة الحديثة وفي اعلام السفن البحرية وعلامات الأقاليم المصرية (البحرية والقبلية) شكل (٥٢) .

وكانت الأشجار مظهراً فتيشياً فقد كانت تستقر عليها أرواح الآلهة وتسقيها اللبن شكل (٥٠) .



شكل (٥٢) رموز وعلامات الأقاليم المصرية

الطوطمية :

كانت الجذور النباتية والحيوانية مصدراً أساسياً للعبادات والرموز الدينية القديمة ، فقد كانت شجرة (البيبروس) شجرة مقدسة لأنها موطن الآلهة وكانت زهرة اللوتس كذلك دالة على الإله الشمس لأنه خرج منها وعلى الإله نفرتوم ابن بتاح .

وكان ينظر لشجرة الجميز على إنها رمز لآلهة السماء نوت وكان جذع الشجرة مرتبطاً بعبادة الإله أوزير وما كانت من بقايا عبادة الشجرة .

أما المظهر الكبير في الديانة المصرية فكان في جذورها الحيوانية فقد عبت الحيوانات لذاتها في شكل عقيدة طوطمية تعكس اعتقاد الناس في انحدرهم من حيوان معين ، ثم في مرحلة لاحقة ونحت وطأة الصعود الروحي للآلهة أصبح التعبير عن الجذور الحيوانية رمزياً يرتبط برسم الإله أو تمثاله الحيواني ... أما في مراحل الانحطاط الأخيرة فقد طغت عبادة الحيوان (وليس الطوطمية) وأصبح تقديس الحيوانات لذاتها أو باعتبارها آلهة هو الأساس .

وفي هذا المجال نرى أن هناك أسباباً عميقة لعبادة الحيوانات وطواطمها فقد كانت الأسباب الكامنة وراء ذلك تحمل رغبتين وهما «رغبة الرمز إلى صفات إله خفي ببعض المخلوقات الظاهرة التي تحمل صفة من صفاته أو آية من آياته ، ثم رغبة في التقرب إليه عن طريق الرعاية التي يقدمونها ضمناً لما رمزوا به إليه من مخلوقاته » (مهران ١٩٨٤ : ٢٦٨) .

وكان المصريون لا يقدسون جميع أفراد ذلك النوع الحيواني بل كان الكهان يختارون حيواناً واحداً تتوفر فيه علامات محددة يكون مثلاً للإله الدال عليه حتى ينفق فيفند في طقسية وقديسة ثم يختار غيره وهكذا .

ولكي يؤكدوا على عبادة روحية للمحيوان لآعبادة بدائية له . كان لابد من الفصل بين اسم الحيوان التقليدي في الحياة اليومية وبين اسمه كرمز ديني له قداسة وعمق روحي . فعلى سبيل المثال كان الاسم الحيواني للبقرة هو (أحت) أما اسمها الديني (حتحور) والاسم الحيواني للصقر هو (ببك) والديني هو (حور) والتمساح (مسح) واسمه الديني (سوبك) ، وكانت الأسماء الدينية الإلهية هذه صفات في جوهرها .

ولا شك أن الدافع الرئيسي لاتخاذ الحيوانات جذوراً للآلهة كان في انتباههم لصفات تلك الحيوانات ومحاولة مطابقتها مع ما يعنيه المفهوم الذهني لذلك الإله فقد كانت البقرة توحى بدعاة السماء وحنوها وأمومتها، وكان الكبش يوحى بالإخصاب والأسد بالقوة والحرب والقرود بالفراسة والحكمة وكذلك طائر أبي منجل وكان الصقر يبدو في الصباح كما لو أنه هو الذي جلب الشمس إلى السماء .. وهكذا .

وكانت الحيوانات التي تعبد بشكلها المادي لا كرموز عديدة مثل القطعة باست في بوباسته ، والإلهة الصل في أدجو في بوتو ، والقرود عند الأشمونين ، والإله (وب واوات) ابن أوى في أسيوط ، والعجل منيفيس في عين شمس ، والعجل بوخيس في هرمونتيس ، والعجل مالك الحزين في عين شمس ، .. الخ .

وإذا كنا قد حددنا في حديثنا عن الآلهة الثانوية والأجنبية الجذور والرموز الحيوانية للآلهة الثانوية الذكورية والإنثوية ، فلا بد ، لكي نكمل الصورة ، من ذكر هذه الجذور والرموز التي تخص الآلهة الكونية الكبرى التي هي عماد شجرة الآلهة المصرية التي ذكرناها في الفصل السابق (جدول ٧) .

جدول (٧) الآلهة الأساسية وجذورها الطوطمية

| الإله | دلالتة | رمزه أو جذره الحيواني |
|---|--|---|
| نون ، حح ، كوك كبيره نونه ، ححه ، كوكه كبيرهه | آلهة الهىولى الذكور آلهة الهىولى الإناث | ضفادع حيات |
| خيبريا رع أتوم | إله الشمس المشرقة إله الشمس إله الشمس الغاربة | جعران اللقلقى (بنو) ثعبان (والنباتى زهرة اللوتس) |
| بتاح سختمت نفرتوم بتاح سكر بتاح سكر أوزير | إله منف إلهة الحرب زوجة بتاح ابن بتاح وسختمت اله الموتى إله الجبانة | عجل مينديس (يوصبر) اللبوة زهرة اللوتس صقر جعران |
| أمون ، أمون رع موت خنسو | إله طبيعة زوجة أمون القمر | الثعبان ، الكبش ، الولة الرحمة (أنثى النسر) الصقر |
| خنوم عنقت | الإله الفخاري الخالق سيدة ماء النيل | الخروف الغزالة |
| شو تفنتوت جب نوت أوزيريس إيزيس نفثيس (نبتحوت) ست تاتنن تحوت حورس حتحور | الهواء الرطوبة الأرض السماء الخنصرة ، النهار الفجرة ، الأمومة الشقق ، الكتابة الصحراء ، الليل التل البدائي الحكمة الشمس الحب والمرح | الأسد لبوة الأوز البقرة الثعبان - - الحمار ، الكلب ، الخنزير البري الثعبان الطائر أبيض (أبو منجل) ، القرد الصقر البقرة |

التشبيه بالإنسان Anthropomorphism

وكما تأملنا في الجذور الطبيعية والفتيشية والعلوطمية للآلهة ، لا بد لنا من تأمل أرقى مرحلة تصور فيها المصري آلهته وشبهها بها ، وهي التشبيه بالإنسان قبل أن نصل إلى المرحلة التجريدية الأخيرة التي حاولت الظهور بها توحيدية أخناتون .

وفي ظلنا أن أول تشبيه للآلهة بالإنسان انطلق من فكرة أن الملك أو الفرعون (الذي هو إنسان) كان إلهاً .. وقد كسرت هذه الفكرة الحواجز بين الإله والإنسان كما أن أساطير الخليفة المصرية الخاصة بالإنسان لا تفرق كثيراً بينه وبين الآلهة .

ثم قام المصري بالخطوة اللاحقة حين صوّر الآلهة بجسد بشري ووجه حيواني يشير إلى جذوره أو رمزه القديم .

وجاءت المرحلة الأخيرة حين أصبح شكل الكثير من الآلهة جسداً ووجهاً ولباساً كما الإنسان .

وقد تنوعت صور الآلهة ، على ضوء طبيعتها ، بين أن تكون طفلاً كما الإله (أحي) ابن حتحور والإله (خنسو) إله القمر أو شيخاً مثل حوري المسن ، وذو الحية مثل أوزيريس ، وكذلك صورت الآلهات كإناث بأشكال ورموز مختلفة ومن مختلف الأعمار واضفيت على بعضهن ميول تطابق المعنى الذي وضعن فيه كالحب أو الكره أو الماء أو القوة .. الخ .

بل وصور إله النيل (جعبى) كخنثى يجمع صفتي الذكورة والإنوثة . ويرى بعض الباحثين انه « ربما كان تمثيل الآلهة في هيئة آدمية سبباً في أن يظن أن لها من المشاعر ما يحاكي مشاعر البشر من حب وبغض وأنها تأخذ وتعطي ، وتعاقب وتشيب ، مما لا يستطيعه الحيوان أو الجماد ، أو أنهم أرادوا أن يصفوا عليها صفاتهم الإنسانية وعواطفهم ، ومن ثم فقد جمعوا بين الإنسان والحيوان الذي يعبدونه عند تصورهم الإله بصورة تتفق مع واقعيته » (مهرات ١٩٨٤ : ٢٧١) .

وكان لتشكيل الآلهة في أزواج (ذكرية وأنثوية) وعائلات ثالوثية (أب وام وابن) ما يعطي أيضاً صورة عن تشبيههم بالإنسان ، كما أن الأساطير التي ذكرناها حافلة بالصور الإنسانية للآلهة حيث تجعلهم يتصرفون ويعيشون كأنهم بشر في سلوكهم .

ولم يكن حاجز الموت هو الذي يفصل الآلهة عن البشر (كما في الأديان القديمة الأخرى) بل كان الإنسان عندما يموت ينتقل إلى حياة الخلود مع الآلهة. لكن الآلهة لا تموت عند المصريين فقد تبرك أو تنسى أو تختفي ولكنها لا تموت أي أنها خالدة، بمعنى أن الإنسان في الدين المصري هو الذي تشبه بالآلهة في مسألة الخلود التي كان بديهية عند الآلهة، ولذلك نشأ لاهوت الخلود بل وطقوس الجنائز التي كان همها منح الخلود للبشر، وحشرهم مع الآلهة الخالدة في العالم الآخر.

ورغم ذلك كله فإن هناك آلهة محددة دون غيرها في عالم الموت وعالمَي الجحيم والفردوس ستتعرف عليها في لاهوت الاسكاتولوجيا المصرية.

٣-التشريح اللاهوتي للإنسان

إذا كان الإنسان علمياً يتكون من أجهزة عدة تعمل على ديمومة حياته ونشاطه البايولوجي. فإنه لاهوتياً، عند المصريين القدماء، يتكون من عدة أجهزة تعمل سوية منذ ولادة الإنسان وقبل وبعد الموت لكي تضمن بقاء التكوين الإلهي والروحي للإنسان سليماً.

وكان المصري يعتقد أن الإنسان مكون من ثلوث لاهوتي يختلف باختلاف مراحل حياته، ويشير كل ثلوث بصورة عامة إلى ثلاثة أطراف أساسية هي الروح، الجسد، النفس، وتختلف أشكال كل مفردة من هذه المفردات حسب مراحل الحياة، فهناك ثلوث يأتي بعد ولادة الإنسان مباشرة مكون من (أب، حاتي، إران) وهو يعيش مع حياة الإنسان وهناك ضرورة كبرى للحفاظ عليه وهو ملازم للإنسان.

أما الثلوث الذي يغذي حياة الإنسان ويعتبر مثل القوى الحارسة له فمكون من (سخم، إمانخو، شاي) التي تشير إلى (الشرارة، الجسد، القدر) والثلوث كان موجوداً في الإنسان قبل الموت ولكنه يبقى بعد الموت مباشرة ويتكون من (با، سعحو، خايبت) وهي (الروح التي تلتحق بالشمس، المومية، الظل). أما الثلوث الرابع فهو أبدي يتكون من (خو، خت، كا) والتي هي (الروح التي تلتحق بأوزيريس، الجسم المادي، القرين) ويلاحظ أن اختلاف المفاهيم المتعلقة بالروح، عند المصريين، يرجع إلى امتزاج العقائد، الذي كان من أهم عوامله، اختلاط الشعوب، ويرجع أيضاً إلى ميل المصريين إلى التمسك بأية عقيدة، أو بأية صورة من عقيدة، تنبعث، بمرور الوقت، في المجتمع، والشعب الذي يعتقد في وجود القرناء وفي تناسخ الأرواح، يتوقع أن تكون لديه، بالضرورة،

مفاهيم غامضة ومعقدة، والتنافر، كما هو واضح، كان سمة من سمات معتقدات المصريين القدماء الدينية (عويس ١٩٦٦: ٢٨)

أ- ثالث التكوين بعد الحياة :

١- أب (القلب المدرك) : كان القلب لاهوتياً مصدر الأفكار الحيرة والشريرة وكان أحياناً يعكس الضمير والروح، ولذلك جرى الاهتمام الخاص بالقلب وتحنيطه بشكل منفصل عن الجسد وكان يحفظ مع الرثة في جرة، وكان يعتقد أن الميت بعد تلاوة دعاء القلب يمنح قلباً جديداً وأنه سيحصل على القوة التي يبغيها في العالم الآخر وأنه سيطر على قلبه، وكان هناك خوف من أن يسرق وحش نصفه إنسان ونصفه حيوان قلب الإنسان ولذلك كتبت سبعة فصول في كتاب الموتى لمنع سرقة القلب. وهناك تعويذة خاصة بالقلب (انظر 1981: 20 Budge). والآب لا يعبر عن القلب الحقيقي بل عن القلب المعنوي الذي يشير إلى الضمير أو روح القلب وإلى الروح الفردية.

٢- حاتي : وهو القلب الحقيقي الذي يقع مكانه في الصدر.

٣- زان : وهو الاسم الشخصي للإنسان، وقد يكون على نوعين الاسم العلني والاسم السري، ويحمل الاسم السري صفة مقدسة إذ أن حذفه أو إتلافه من القبر يسبب أذى كبيراً للميت في العالم الآخر.

ويشير هذا المثلث إلى القوة الروحية المتمثلة بـ(آب) والتكوين الجوهرى للجسد المتمثل بـ(حاتي) وهو القلب والقوة النفسية المتمثلة بالاسم وهذا الثلاث المكون (روح وجسد ونفس) سيستمر بصيغ مشابهة في الثلاث اللاهوتية الأخرى.

ب- ثالث القوى الحارسة للفرد أثناء حياته:

١- سنخم : وهو الشرارة الحية داخل جسد الإنسان والتي تقوم خلال حياة الإنسان باطلاق قوة الحياة وشهواتها داخل جسده، ولها مؤنث هو (سخت). .

٢- إماخو : وهو الجسد البشري الذي يتهيأ للموت، وتعمل الماعت على تهيشة هذا الجسد المكتمل الأعضاء والذي ساوته العدالة الاجتماعية والفردية وأعطته شكله النهائي.

٣- شاي أو شاييت : وهو القدر الأنثى والذكر وكانا على شكل إلهين ويولد الشاي في نفس اللحظة التي يولد فيها الفرد وينمو معه حتى الموت . وإن قرارات الشاي لا مفر منها ويشاهد الشاي على شكل إله دون ميزات خاصة بعد الموت وعندما توزن الروح بحضور أوزيريس كما يحضر المحاكمة ليقدم حساباً دقيقاً أمام الخلفين الجهنميين عن حسنات المتوفي وسيئاته أو لغرض أن يهيئه لظروف الحياة الجديدة (انظر الخوري ٢١٩٩٠ ج٢ : ١١٠) .

وهنا أيضاً نلمح ثالوثاً مكوناً من قوة روحية حيّة . عبارة عن شرارة داخل جسد الإنسان هي (سخم) ، ومن جسد كامل مهيباً للموت هو (إمانخو) ومن قدر نفسي مهيمن هو (شاي) . وهو الثالوث اللاحق لـ (الروح والجسد والنفس) والذي يعمل بقوة أثناء الحياة .

ج- ثالثوث ما بعد الموت:

١- (الروح الأبدية) : وهي الروح الخالدة التي تسري في الظاهر والباطن وهي التي تغادر الجسد وتلحق بموكب الشمس في رحلتي الليل والنهار وتزور الجسد في رحلة النهار ، فهي الروح الشمسية للمتوفي .

وفي الغالب صورت البيا على أنها طائر صغير له وجه يشبه وجه المتوفي وربما كان يعتقد أن الطيور التي تظهر على الأشجار التي غرسها المتوفي كان من بينها طائر البيا . أما الأشكال الأخرى للبيا فهي (زهرة اللوتس ، الشعبان المندفع من حفرة ، التمساح الزاحف من الماء إلى الأرض) .



با(الروح) تأخذ شكل الإنسان نفسه وتزور مومياءه في القبر

٢- سا(الشخصية الوقورة للميت ،الجثة المخبطة) : إن جثة الميت المخبطة أو غير المخبطة كانت تسمى (سا) وقد يدل هذا الاسم على الكبد ،وهو يشير أيضا إلى أحد شكلي أولدي (رع) وهما هو (حو) و(سا) . واسمها الفرعوني الدقيق (سبحو) .
٣- خابيت (الظل) وهو الظل الملازم للإنسان حتى بعد بعثه داخل السماء ويسمى أيضا (شرت) .

وهذا ثالث آخر مكون من روح وجسد ونفس على شكل روح أبدية (با) وجسد محنط (سا) وظل ملازم للإنسان .

د- الثالث الأبدى (الذي لا يزول أبداً) :

وهو التكوين الأبدى منذ الولادة وإلى الأبد .

١- خت (الجسم المادي) : وهو الجسد الإنساني الملموس وأن هذا الجسد تكوين ديني سرعان ما يذوب بعد الموت في القبر ولذلك حاولوا الحفاظ عليه من الفناء عن طريق التحنيط لكي يبقى وعاء للمكونات الأخرى الخالدة للإنسان . وال (خت) يبقى على الأرض بينما الروح (آخ) تصعد إلى السماء ، وحين يرمز الجسم المادي فلا أمل بالخلود مطلقاً .

٢- آخ (الجسم الروحي) : وهي الروح النورانية الشفافة التي تأخذ هيئة الجسد وهذه الروح تذهب إلى السماء بعد الموت وتبقى فيها إلى الأبد مع الإله أوزيريس .

٣- كا (النفس) : وهي الروح التي تبقى بجوار الجسد في القبر وحول القبر وتقدم لها القرابين بعد الموت ، وهي بمثابة الملاك الحارس للإنسان أو التي كان الإنسان يستقبلها عند مولده بأمر من الإله (رع) ويعتقد المصريون أن هذه الـ (كا) لا أحد يستطيع رؤيتها ولكنها تشبه شكل صاحبها تماماً . ويبدو أن الـ (كا) هي سبب حياة الشخص فعندما تغادر جسده وتستقر في القبر أو حوله ، فإن الشخص يغدو جثة ميتة . وتسمى أيضاً (القرين الروحي) .



الملك أمنحوتب الثالث طقلاً ومن ورائه الكا (من معبد الاقصر)

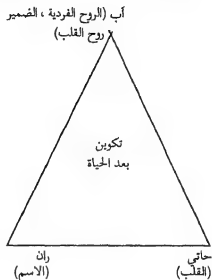
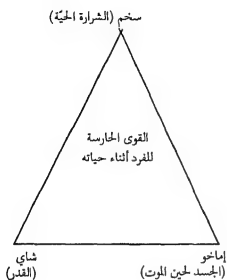
وكان المصريون القدماء يصورون الـ (كا) على هيئة الشخص نفسه وهي ترفع ذراعيها إلى الأعلى ، ويبدو أن هذه الصورة الخاصة بها أتت من أصل مثولوجي يخص الإله رع الذي خلق أول الهين ورفع ذراعين خلفهما ففاضت عليهما الـ (كا) ودبت فيهما الحياة .

وكانت الـ (كا) تقوم بزيارة الميت وتستقبل قرايبه وتسكن مثاله الموجود في القبر ولذلك أطلق على القبر (منزل الكا) .

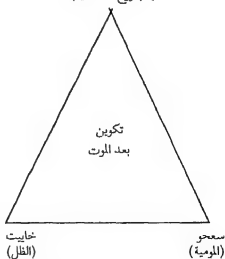
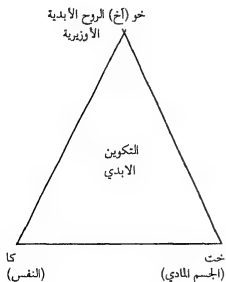


شكل (٥٣) الإنسان ونفسه (كاؤه)

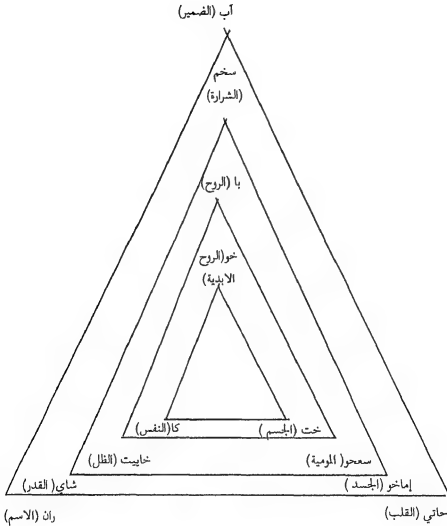
أ- التو ترافق الإنسان أثناء الحياة:



ب- التي تبقى بعد الموت
با (الروح الشمسية)



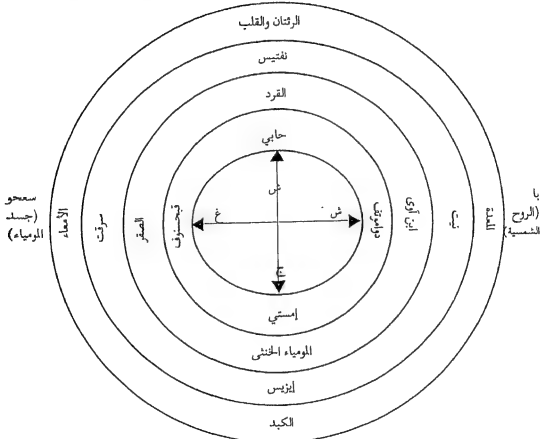
جدول (٨) الثالوثات اللاهوتية للإنسان في الدين المصري



الثالوثات اللاهوتية في مثلث واحد مكون من (الروح، الجسد، النفس)
تشير لها إجمالاً في المثلث (قمة المثلث، الزاوية اليمنى، الزاوية اليسرى)

لقد ربط اللاهوت المصري التكوين الروحي واللاهوتي للإنسان بالجسد الكوني كله ، وذلك عن طريق أبناء حورس الذين يمثلون جهات الكون الأربع حيث توضع في أية تحمل أشكالهم الأحشاء الداخلية للميت وتساعدهم في ذلك آلهات كما في المخطط التالي :

أب (روح القلب)



كا (القرين ، الروح الأرضية ، النفس)

جدول أو مخطط (٩) الروح والكون في اللاهوت المصري

- الدوائر من الداخل ١- أبناء حور (حورس) في جهات الكون الأربع .
- ٢- الرمز الحيواني للأبناء (رؤوس الجرار الكانونية) ٣- الإلهات الحارسات للأعضاء .
- ٤- الأعضاء التي تحفظ في الجرار الكانونية . ٥- أنسام الروح الإنساني .

٤- الاسكاتولوجيا المصرية والعقائد الجنائزية

(عقائد ما بعد الموت)

مثلما شكلت عقائد ومثولوجيات الأصول وخلق العالم (الكوسموغونيا) والآلهة (الشيوغونيا) والإنسان (الانثروبوغونيا) أساس (لاهوت الخليقة) كذلك شغلت عقائد ومثولوجيات النهاية وموت العالم (الكوسمو اسكاتولوجيا Cosmo-eschatology) والآلهة (تيوسكاتولوجيا Theo-eschatology) والإنسان (انثروبوسكاتولوجيا Anthro-eschatology) أساس (لاهوت الموت والنهاية) ونشأت من البداية والنهاية (الخليقة والموت) عقائد العود الأبدي ودورات الحياة والموت الكونية والإلهية والبشرية وتحمل جميع الأديان نظامها الاسكاتولوجي الدقيق ضمن أساطيرها ومعتقداتها بصفة واضحة أو ضمنية .

والاسكاتولوجيا المصرية عبرت عن نفسها في عقائد نهاية العالم والآلهة كما لحنا ذلك في الأساطير، ولكن تأكيدها الواضح كان في عقائد موت الإنسان التي يسميها الباحثون إجمالاً العقائد الجنائزية .

وعلينا أن نعرف أولاً أنه ما من شعب على مر التاريخ كالمصريين ، اهتم بعقائد ما بعد الموت (الجنائزية) ورصد لها كل هذا الإرث المتميز من تراثه الديني والروحي ، ويبدو لنا أن هناك سببين كبيرين وراء ذلك السبب الموضوعي يكمن في بيئة وأرض مصر نفسها فقد كانت تربة مصر ومناخها تحفظ الجسد الانساني بعد الموت إلى أقصى درجة ممكنة ، وكان النيل يفيض صيفاً في مواعيد دورية ثابتة كأنه يوحى بدورة حياة متجددة كل عام ، وكانت الشمس ، صحوها ووضوحها ودورتها اليومية وما توجهه من حياة وموت وبعث وخلود ، مركز الدين المصري .

أما السبب الذاتي فكان في الفكر الديني المصري الذي كان لا يفرق كثيراً بين الآلهة والإنسان وأن الموت ما هو إلا حاجز بين عالين متصلين هما عالم الحياة وعالم الآخرة . وهكذا نظر الدين إلى الآلهة والناس والموتى وكأنهم مجتمع واحد ولذلك اخترع ما يناسب هذه الفكرة من دعائم شكلت فيما بعد عقائد ما بعد الموت .

وقد نشأت عقائد البعث والخلود مبكرة في مصر وربما امتدت إلى الباليوليت ونضجت في النيوليت من خلال عادات الدفن في العصر الحجري الحديث، وكانت بيئة مصر ومناخها الوسط المناسب لنمو مثل هذه الأفكار .

ولعل أهم ما يجب الاتفاق عليه هو ما اصطللحنا عليه بـ (عالم ما بعد الموت) الذي يسمى بالمصرية (توات أو دوات) إن تسمية (العالم السفلي) تسمية خاطئة كما يرى ذلك بدج لأن هذا العالم لا يقع أسفل الأرض فربما كان في السماء . وكذلك تسمية (الجحيم) لأن مفهوم الجحيم لدى المعاصرين يمثل أفكاراً غريبة على أغلب المدارس الدينية المصرية ولأنه ليس جحيماً فقط فهو عالم حساب وجنة أيضاً ولذلك فهو ليس بـ (فردوس) أو (جنة) . ولا تدل كلمة (عالم الموتى) على خلود أو بقاء الناس أحياء بعد الموت، ولذلك نرى أن أنسب كلمة مقابلة لذلك العالم هو (العالم الآخر) أو (الآخرة) فهو مصطلح دقيق يمكن أن يدل على تنوع ذلك العالم وما يحتويه من عوالم الحساب، والجنة والجحيم وما بينهما . فهو أربعة عوالم في آن واحد لا تقع في الأعلى أو في الأسفل فقط هي (القبر، الحساب، الجنة، النار) .

الكتب والنصوص الجنائزية

جاءت معلوماتنا عن عالم الآخرة من النصوص والكتب الجنائزية التي يمكن أن نحصلها بالشكل التالي :

١-نصوص الأهرام (Pyramid Texts) وهي النصوص المخصصة للملوك والتي زينت بطون وجدران الأهرامات الداخلية ، وقد احتوت على تصورات قديمة يمكن أن نسميها (النصوص النجمية) حيث شرحت كيف يتحول الملك بعد الموت الى نجم من النجوم القطبية . أما النصوص الشمسية فهي نصوص الأهرام المتأخرة التي تشرح رحلة الملك بصحبة إله الشمس (رع) اليومية عبر السماء ويمكن الإشارة إلى ترجمة ميرسير لهذه النصوص في أربعة مجلدات (انظر Mercer 1952)

٢-نصوص التوابيت أو النواويس (Coffin Texts) وهي النصوص التي أتت أغلبها من الدولة الوسطى ودوّنت على التوابيت وكانت ضماناً للمتوفي بالاستمتاع بحياة خالدة بعد موته مثل حياة الملوك في نصوص الأهرامات ، ثم أصبحت بعض التعاويذ الجديدة التي أعدت لنصوص التوابيت الأساس الذي قامت عليه بعض فصول كتاب الموتى الذي يعد أعظم إنجازات الدولة الحديثة في هذا المجال .

ولأن نصوص التوابيت كسرت احتكار الملوك للآخرة فقد كانت أكثر شعبية من نصوص الأهرام وارتبطت بالعقيدة الأوزرية حيث يتخذ المتوفي لنفسه اسم (أوزيريس) وضيف لها بعض النكهة السحرية من خلال التعاويذ والرقى .

وتتكون نصوص التوابيت من عناوين تعاويذ ورقى مثل :

«تعويذة ضد الفناء في عالم الموتى (أو لتجنب الموت الثاني) .

«تعويذة لتناول الخبز في عالم الموتى .

«تعويذة لكف أذى الشعبان والتماسيح .

«تعويذة لالتقاء التعفن ولتجنب العمل في عالم الموتى .

وقد قام العالم (دي بك) بنشر هذه النصوص ، ونشير إلى الترجمة التي قام بها (ر. أو. فوكنر (Faulkner 1973-7) بثلاثة أجزاء .

٣-كتاب الموتى (The Book of Dead) : وهو اصطلاح حديث لمجموعة من البرديات كان المصريون يشيرون إليها باسم (تعاويد الخروج نهاراً) وهذا العنوان يوحى بقدرة تلك النصوص على أن تمكن المتوفي من مغادرة قبره .

لقد اعتاد المصريون منذ عصر الدولة الحديثة (ابتداءً من القرن السادس عشر ق.م) أن يزودوا موتاهم بنصوص دينية جنازية ، تكتب تارة على البردي ، وتارة أخرى على الرق ، ويستعمل في كتابتها أما الخط الهيروغليفي أو الهيرواطيقي أو الديموطيقي . وكانت هذه البرديات توضع أحياناً في صندوق مخصص لها ، وأحياناً توضع بين اللفائف التي تغطي الجثة المخططة ، وتتكون إجمالاً من (١٤٠) فصلاً لا تجمعها وحدة فكرية ولعل أهم هذه الفصول هو الفصل ١٢٥ الذي يؤكد فيه الميت عدم قيامه بأية معصية ، وهو يسرد جميع المعصيات بطريقة النفي .

ويعتبر كتاب الموتى إجمالاً مجموعة من الفصول التي تحدد الأخطار التي سيلاقها الميت في رحلته إلى العالم الأسفل وطريقة النجاة منها وبعض الصلوات والأناشيد والتعاويد والرقى . وهو مزود بالصور التوضيحية الباهرة من تلك العصور (انظر أبو بكر ، الموسوعة المصرية : ٣٤٤) .

ولعلّ بردية أني المترجمة للعربية (انظر بدج ١٩٨٨) تشكل حوالى ربع نصوص الكتاب الذي نقله والس بدج (انظر Budge 1977) بثلاثة أجزاء .

٤-كتاب البوابات : وهو كتاب جمع من جدران مقابر ملوك الدولة الحديثة وينقسم إلى (١٢) قسماً بقدر ساعات الليل الاثنتي عشرة ويصف رحلة قارب الشمس التي ترتبط بها الملك بعد غروب الشمس في الليل عبر العالم الأسفل المكون من (١٢) بوابة . ويتطابق الملك هنا بأوزيريس أيضاً .

٥-كتاب الدار السفلى (مافي العالم الآخر) : وهو كتاب مكون من (١٢) قسماً وهو رواية أخرى لكتاب البوابات ومقاتلة (رع) لثعبان الظلام أبو فبس .

٦-كتاب الكهوف : وهو كتاب مكون من (٦) أقسام الذي يحتوي ، مع كتاب البوابات ، على صورة لحكمة أوزيريس التي يصلها إله الشمس في منتصف الليل وغير ذلك ويحتوي على كيفية شروق الشمس ودفع الجعران لقرص الشمس كما يدفع كرة الروث التي يضع فيها بيضة .

- ٧- كتاب الليل والنهار : وهو كتاب مجموع من مقابر وتوابيت الدولة الحديثة ويتعلق بميلاد الشمس من الإله (تحت) .
- ٨- كتاب أكر : وهو كتاب عن إله الأرض .
- ٩- كتاب البقرة المقدمة .
- ١٠- كتاب الطريقين الذي يشرح ذهاب الميت بعد المحاكمة الى طريقي الماء والأرض . هذه الكتب تمثل صفحة واحدة من الروح المصري القديم المتعلق بعالم الآخرة ، أما الكتب الأخرى التي تمثل الأدب والشعر والطقوس فعديدة لامجال في هذا المكان التوسع في الحديث عنها .

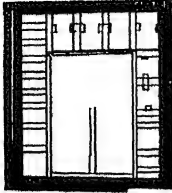
١-عالم الجبّانة (المقابر والمدافن المصرية)

المدخل الأول لعالم الآخرة (التوات) هو القبر.

وقد تطورت المقابر المصرية وتنوعت لدرجة يصعب معها تصنيفها بدقة ، ورغم ذلك فإن كل قبر كان يتكون بشكل عام من جزأين أحدهما تحت الأرض عادة وتوضع فيه الجثة سواء أكان حفرة صغيرة أو عدة حجرات محفورة في الصخر أو مشيدة من الحجر ، والجزء الثاني فوق الأرض ليدل على مكان دفن الجثة سواء أكان بسيطاً جداً مثل جزء من جريدة نخل أو كومة من تراب أو قطعة من حجر أو كان بناءً بسيطاً أو مكوناً من حجرات عدة أو من هرم ألحقوا به بعض المعابد (انظر فخري ، الموسوعة المصرية ٣٧٢) .

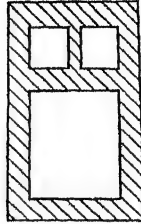
وتنقسم المقابر بصورة عامة إلى (انظر سينسر ١٩٨٧ : ٢٦٠-٢٩٥)

١- الحفرة البسيطة : وهي أقدم طراز عرفته مصر وهو النمط المميز لعصر ما قبل الأسرات وقد استمر لما بعد هذا العصر عند الناس الفقراء لبساطته وفي نهاية تلك الفترة ظهرت المقابر ذات الأبنية السفلية المتعدد الغرف (شكل ٥٤) وتؤلف معابد أبيدوس الملكية مجموعة خاصة يمكن وضعها باعتبارها صوراً مكبرة من الحفرة البسيطة وأكثر تعقيداً منها ، حيث قسمت إلى حجرات داخلية مبنية من الخشب والطين (شكل ٥٤) ، ثم بدءاً من عصر (دن) أضاف لها المصريون سلماً ينزل إلى داخل الحفرة .



شكل (٥٤ / ب)

تخطيط مقبرة، اوداجي في
أبيدوس



شكل (١ / ٥٤)

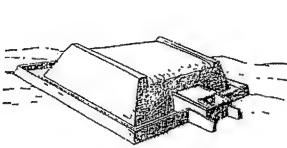
مقبرة من عصر ما قبل الأسرات المتأخرة
ذات مخازن في القسم السفلي منها

٢-المصطبة : تطور نظام المقابر منذ أيام الأسرة الأولى تطوراً كبيراً وأصبح الجزء العلوي لمقابر الملوك مصطبة ضخمة تعلو حجرات كثيرة ، وفي وسطها غرفة يدفن فيها الميت وتحيط بها حجرات أخرى يضعون فيها الأواني والأدوات وأهم الجبانات الملكية للملك الأسرتين الأولى والثانية نجده في أبيدوس وسقارة (انظر فخري ، الموسوعة المصرية : ٢٧٣) وأثناء الأسرة الثالثة تطورت المصاطب في الإقليم المحيط بالعاصمة ممفيس تطوراً سريعاً سمح لها بتطبيق فكرة البئر الرأسية النازلة إلى غرفة الدفن بدلاً من السلم . وقد تمّ هذا التحول على عدة مراحل ، استخدم فيه السلم مع البئر الجديدة ، أو تنزل فيها البئر في درجتين كبيرتين أو ثلاث .

ومع ملحق القسم السفلي من المقبرة من تطور أخذ المصريون في تعديل القسم العلوي ، حيث تعقد تصميم كوة تقديم القرايين لتتحول إلى مقصورة حقيقية مسقفة عادة ما تبني على شكل الصليب (شكل ٥٥) .

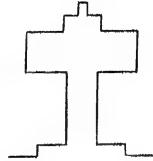
ولعل أشهر مقصورة ملكية هي مقبرة شبسكاف آنخز ملوك الأسرة الرابعة ، وهو الملك الوحيد من ملوك الدولة القديمة ، الذي لم يشيد مقبرته الملكية على هيئة هرم ،

وهي مصطبة كبيرة، كانت مكدسة بغطاء من الحجر الجيري الأملس والمصطبة معبد جنازي في الجانب الشرقي منها، وعلى مقربة من مصطبة فرعون توجد بعض المقابر لكهنة هذا الملك، وبعض كبار الموظفين في عهده وفيما تلا ذلك من العصور (شكل ٥٦) (انظر مختار، الموسوعة المصرية : ٣٧٠).



شكل (٥٦)

رسم تخيلي لمصطبة فرعون (والقبر الملكي لشبسكاف) وكانت على هيئة تابوت كبير



شكل (٥٥)

تخطيط مقصورة مصلبة من الأسرة الثانية

٣- المقاصير المنحوتة في الصخر: وتحتوي على لوحة الباب الوهمي التي يمكن للكاهن أن يرتل تعويذة القرايين أمامها، وربما غطيت جدرانها بالصور الملونة أو النقوش التي تمثل المواضيع الشائعة في مقابر الدولة القديمة.

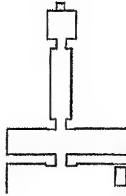
وهناك أمثلة متميزة من الدولة الوسطى على المقاصير الجنزية المنحوتة في الصخر والمزينة بالنقوش، وكان التخطيط العام لها يتميز بوجود واجهة فخمة غالباً ما تتقدمها صفة معمدة، وبها صالة واسعة ذات أعمدة منقورة في الصخر، في نهايتها مقصورة تحتوي على تمثال.

وقد أبرز وضع المقصورة في نهاية المقبرة الطبيعية المحورية لتخطيط المقبرة وأدى إلى ظهور مقصورة تحاكي شكل المعبد الصغير وتحتوي مقابر حكام بني حسن في الأسرة الثانية عشرة على مقاصير ضخمة جداً بها أعمدة مضلعة ومقناة رتبت ترتيباً متناسقاً

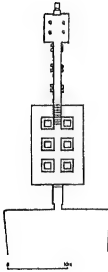
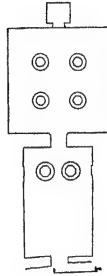
ومتوازناً حول المحور الأوسط (شكل ٥٧) . بينما لم تكن مقابر طيبة وأسوان الصخرية سوى دهاليز ضيقة منحوتة في صخور المنحدرات الجبلية وتخترقها مسافات كبيرة (شكل ٥٧) .

وكانت إضافة فناء في الخارج أمراً مألوفاً ويؤدي اليه طريق مع بناء من الأعمدة يمتد إلى نهاية الفناء ، أو يتم تشييد نصبين من الطابوق أزاء المنحدر الصخري عند مدخل المقبرة . وقد بالغ أمراء (قار) في بناء مثل هذه الطرق المعمدة والمسقوفة التي تؤدي إلى مقاصير الدفن (شكل ٥٧) .

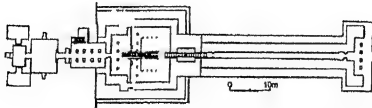
أ- تخطيط مقبرة صخرية
نموذجية من الدولة الحديثة
في طيبة.



ب- تخطيط مقبرة
آهتحات من بني حسن.



ج- تخطيط لقبرة نبوت
الثاني في أسوان.



ج- تخطيط المقبرة دواح - كاء الأول في دقاو.

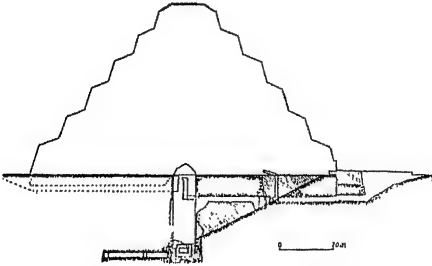
شكل (٥٧) المقاصير المنحوتة في الصخر

٤- المقبرة الهرمية (الأهرام):

لا شك أن دراسة الأهرام تحتاج إلى مجلدات كثيرة لكي توفي حقها فهي واحدة من أعظم الآثار الإنسانية على الإطلاق .

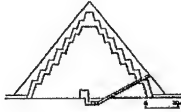
إن الأهرامات هي مقابر عظمى للفراعنة الذي كانوا يعدون انفسهم آلهة ولذلك فهي في تعبير مجازي يمكن أن تكون (مقابر الآلهة) .

ويمثل هرم زوسر المدرج في سفارة (الذي ابتكره الوزير المعماري (امحتب) عن طريق بناء مصطبة زاد عليها مصاطب أقل حجماً حتى تكون هرم مدرج مكون من ست طبقات . وهناك من الباحثين من يرى أن هذا الطراز من البناء متأثر بالزقورات السومرية التي كانت معابد للآلهة ، ولكن رأياً ثالثاً يقول بأن أصل الشكل الهرمي المدرج هو الكوم المدرج الذي كان المصريون يقيمونه من الطابوق والذي اكتشف داخل المصطبة رقم ٣٠٣٨ من الأسرة الأولى في سفارة .



قطاع في هرم زوسر المدرج، من الشمال إلى الجنوب

وعثل هرم ميدوم الذي بني في نهاية الأسرة الثالثة أو بداية الرابعة مرحلة الانتقال من الهرم المدرج إلى الهرم الصحيح ، ويتكون هرم ميدوم من سبع درجات زيدت إلى ثمان ، ثم ملئت المسافات بينها بالأحجار ليصبح أول هرم ذات جوانب مستقيمة ، ويمثل ذلك الهرم أقدم نموذج للمجموعة الهرمية النمطية في الدولة القديمة ، بما فيها من معبد جنزي في الجانب الشرقي من الهرم ، وطريق صاعد مؤد إليه ، ومعبد في الوادي ويهبط بم المداخل في هرم ميدوم من فتحة في الناحية الشمالية حتى ينتهي إلى بئر رأسية تؤدي إلى غرفة الدفن .



قطاع في هرم ميدوم

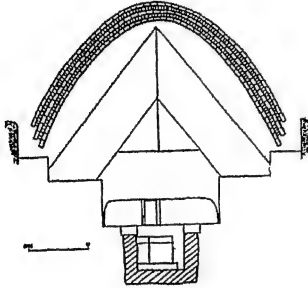
وتتنظم سطوح الأهرام الخارجية مع هرمي (سنفرو) في دهشور ولكن بقايا التدرج يظل في السقوف المدرجة الظاهرة على هيئة القبو المدرج مثل هرم ميدوم ، وأهرام دهشور الحجرية ضخمة الحجم ، ويكاد الهرم الشمالي منها يماثل في حجمه هرم خومو في الجيزة .

وتصل الأهرام إلى ذروة بنائها المعماري في الجيزة وخصوصاً مع هرم خوفو (ارتفاعه ١٤٦م) وهرم خفرع (١٤٠م) وهرم منكاورع (٦٦م) .

وإذا كانت الأهرام اختراعاً خاصاً بالدولة القديمة فإنها لم تنقطع بل ظلت تقليداً جنائزياً في الدولة الوسطى ، وكان لمقابر ملوك الأسرة الحادية عشرة في طيبة أهرامات صغيرة من الطوب تعلو غرف الدفن المنقورة في الصخر ، ولكن لم يصل منها إلينا إلا أقل القليل .

وتطورت أهرامات الدولة المتوسطة باتجاه تغير واختفاء المدخل الشمالي ولكنها انحطت في مادة البناء التي صارت من اللبن وليس من الحجر ، وصاحب هذين

التغيرين حفر مجموعة معقدة من الدهاليز الداخلية واستحدثت وسائل جديدة لإغلاقها وتخفيف ثقل مادة الهرم عن سقف غرفة الدفن عن طريق بناء سقف جملوني ضخم من المجاديل الحجرية وإقامة عقود طوبية ، كما استحدثت نظام إنزال كتل الأحجار الثقيلة عن طريق إزاحة الرمال التي تتركز عليها كما في هرم هواة (شكل ٥٨) .

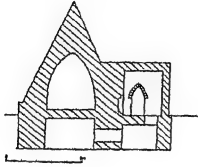


شكل (٥٨) قطاع في غرفة دفن هرم هواة

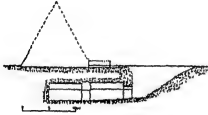
وفي الدولة الحديثة تقلص شكل الأهرام وأصبحت عبارة عن بنايات من الطوب الممسو بالملاط الأبيض ، تعلوها أحجار مذببة في القمة تحمل بعض النقوش ، وقد عثر على أهرامات طوبية صغيرة في مقابر الأفراد في أبيدوس من عصر الأسرة الثلاثين وهي مقابر هرمية أكثر من مثيلاتها من الدولة الحديثة في طيبة ، حيث أن غرفة الدفن موجودة في داخل أهرامات أبيدوس وليست مجرد مبان تعلو المقبرة والمقصورة المحفورتين في الصخر .

وللكثير من تلك الأهرام الخاصة زوايا أكثر حدة من زوايا الأهرام الملكية القديمة (حوالي ٥٢) ، حيث نرى في الأهرام الملكية السودانية في نباتا ومردى في النوبة زوايا

أكثر حدة حيث تنفرد هذه الأهرام بأسلوب خاص في تطورها وتتألف اسماً من غرفة دفن منقورة في الصخر تحت الهرم، يؤدي إليها سلمٌ ودھليز وفوقها المقصورة الجنزية .



قطاع في أحد الأهرامات
المتأخرة في أبيدوس



قطاع في هرم في نوري قرب نابتا

٥- المقاصير الجنزية المبنية : وهو طراز متأخر في تاريخ تطور المقبرة المصرية حيث ترجع أقدم أمثله إلى الدولة الحديثة وتحتوي المقبرة على مقصورة لتقدم القرايين ، وهو امتداد لتطور المصطبة الجنائزية حيث استبدلت بكتلتها الصماء غرف لتقدم القرايين وقد رتبت تلك الغرف ترتيباً محورياً وأهم المقاصير مقبرة (حور محب) في سقارة التي استخدمت فيها الأقبية وسقوفها الخشبية وحيطانها المكسوة بالأحجار المزخرفة وأعمدتها المبنية بالحجر الجيري الأبيض حول أفئتيها . وتقع المقبرة في جزء من جبانة سقارة يضم الكثير من المقابر من النوع نفسه ، ضمن مقبرة ضخمة من الدولة الحديثة . ويمكن النزول إلى الجزء الأسفل من المقصورة الجنزية عبر آبار محفورة في أفئتيها تؤدي إلى غرف الدفن المنقورة في الصخر . وليس الجزء السفلي بالكبير ، إذ

لا يتألف سوى من غرفة أو غرفتين حول قاعدة البئر، ولكننا نجد في مقابر كبار الأثرياء، مثل (حور محب) غرفاً للدفن أوسع وأرحب ويمتد لمسافات كبيرة أسفل المقبرة .



كان التحنيط طقساً جنازياً خاصاً بالمصريين لم يشاركهم فيه أي شعب من الشعوب القديمة وستتناوله ضمن طقوس ما بعد الموت، لكن الأمر المكمل لموضوعنا هنا هو الأثاث الجنائزي الذي كان يوضع في المقابر وهو يختلف باختلاف طبقة المتوفي وزمنه فالإنسان العادي كانت ترافقه أوعية الماء والطعام لاعتقادهم بأنه يحتاج إليها في العالم الآخر لكي يكمل مسيرة حياته . وكان الأثاث الجنائزي مكوناً من الأرائك والصناديق والمقاعد وتمائيل الأوشباتي (وهي إلهة موت لها علاقة بـ الكا) وغاذج من تمائيل النساء والخدم وغاذج القوارب . أما الملوك فكان أثاثهم باذخاً ففي عصر الدولة القديمة تكون أثاث الملكة (حطب حرس) أم الملك خوفو من تابوت مرمرى وصندوق أحشاء مرمرى وسرير وعريش ومحفة وأوان من الذهب والنحاس والمرمر وحلي من الفضة . وفي الدولة الحديثة ازداد الأثاث الجنائزي بذخاً وأبهة ولعل مقبرة الملك توت عنخ آمون أفضل مثال لذلك ورغم أوعية الطعام والشراب لم تكن هذه المؤن كافية «فعمد زمن الدولة القديمة كانت جدران المقبرة أو على الأقل التابوت تغطي برسوم لكل أنواع الأشياء التي يمكن أن تتحول بالسحر إلى منتجات حقيقية تخدم الاحتياجات المادية للمتوفى، وكان من المعتقد أن نفس هذه القوة السحرية تكمن في النقوش الكثيرة التي تنقش في مقابر الأثرياء حيث يرى المتوفي جالساً إلى مائدة محملة بالعطايا أو يشاهد ذبح وتقطيع ماشية القرابين أو الفتيات الفلاحات وهن يحملن القرابين من مقاطعته الجنائزية» (ستيندروف ١٩٩٠ : ١٦٨) ومن معتقدات ما بعد الموت أن المتوفي يحتاج ، بالإضافة إلى الطعام ، إلى المجوهرات والملابس والأسلحة اللازمة لحماية المتوفي من أعدائه .

أما في ما يخص أجزاء الجسد اللاهوتية فقد كانوا يعتقدون أن الجسد (الخات) يتحول إلى مومياء بعد التحنيط ثم يتحول هذا إلى الـ(سبحو Sahu) وهو الجسد الروحاني المساعد إلى السماء والذي لا يقبل الفساد حيث ، يخرج رأساً من الضريح ويشق دربه إلى السماء ويقيم مع الآلهة وحين يقول الميت في كتاب الموتى : «إني

أوجد ، إني أوجد ، إني أحيا ، إني أحيا ، إني أنشأ ، إني أنشأ ، أو حين يقول ثانية « إني أنشأ كالنباتات . فانه لا يعني أن جسده الفيزيائي أخذ بتأسيس البدايات لجسد آخر يضارع الجسد القديم ، بل هو يقصد جسداً روحانياً « لا عيب فيه ، ومثل ربح لن يكابد النقصان إلى الأبد . وإلى داخل السمعو تلج النفس التي كانت قد عاشت في جسد المرء على الأرض » (بدج ١٩٨٥ : ٢٠٠) أما البا فتلتحق أيضاً بالسماء مباشرة وتتحد بالشمس ولا تزور القبر إلا أحياناً في النهار ، لكن الـ (كا) هي التي تلازم قبر المتوفي وأنها تأكل وتشرب وتستمتع برائحة البخور وتحتاج إلى تماثيل (الأوشابتي) التي هي موميאות مزودة بالآلات الحقل أو الرموز المقدسة لتقوم بالعمل نيابة عن المتوفي . ويكتبون اسمه مع صيغ سحرية تعطيها الحياة وتمكنها من القيام بواجباتها المحددة .

٢٠ عالم السماء

(اللاهوت الجنائزي النجمي والشمسي والأوزيري)

يبدو أن أقدم لاهوت جنائزي متكامل ظهر في مصر كان لاهوتاً نجومياً وقد بقيت منه شذرات متفرقة في (نصوص الأهرام) وهي أقدم نصوص جنائزية مصرية، فقد سبقت النجوم صورة الشمس في تشكيل هذه العقائد التي ارتبطت بالملك حيث يتحول الملك الميت إلى نجم من النجوم القطبية التي كانت تعتبر رمزاً للديمومة لأنها لا تأمل أبداً كما أنها تتمتع بثبات نسبي كبير في موقعها في السماء ويفسر هذا الأمر السبب الذي جعل المصريين يبنون معابد أهراماتهم الأولى في الجانب الشمالي منها كما نرى في أهرامات الأسرة الثالثة المدرجة، وقد حددت تلك الفكرة موقع مداخل الأهرامات في الجانب الشمالي طوال عصر الدولة القديمة (انظر سينسر ١٩٨٧: ١٦٠).

أما نصوص الأهرام المتأخرة فتتحدث عن صحة الملك لإله الشمس رع أثناء رحلته اليومية عبر السماء، وهذا اعتقاد جديد جاء مع عقيدة الشمس التي أصبحت رسمية مع الأسرة الخامسة، لكن المصريين استمروا في توجيه مداخل أهراماتهم نحو النجوم القطبية رغم اندثار الفكرة القائلة بحياة الملك هناك.

إن اللاهوت الشمسي ينقل الملك من قبره أو هرمه دون المرور بمرحلة الحساب إلى قارب الشمس مع إله الشمس (رع)، ويبدو أنه كان يقوم بتجديف القارب نحو الغرب. وتشير هذه الفقرة إلى اللاهوتين النجمي والشمسي معاً.

«لتنظهر، ولتحتل مقعدك في زورق رع

حتى تجدف عبر السماء

وتصعد إلى النائن

لتجدف مع النجوم التي لا تفتنى

ولتبحر مع النجوم التي لا تعرف الكلل

ولتسلم حمولة قارب الليل» (سينسر ١٩٨٧: ١٦١).

وكان اللاهوت النجمي يعطي أهمية خاصة لنجوم أخرى كالشعري اليمانية والجبار ونجمة الصباح ، وكانوا يرون أنها آلهة تركت الأرض على نحو ما فعل إله الشمس «أما هذا العدد الذي لا يتناهى من النجوم التي لا اسم لها ، والتي تحيط بتلك النجوم القليلة فما عساه يكون ؟ لا نزاع في أن هذه النجوم ما هي إلا موتى أو أرواح سعيدة وجدت طريقها إلى السماء حيث ظلت في سناء دائم إلى جانب الآلهة . لقد مدَّ اليهم يده الآله العظيم ، سيد السماء ، أي الإله رع ، أولقد أخذتهم إليها إلهة السماء ونظمتمهم بين ما لا يفنى من نجوم جسدتها ، وقد يتمثل الميت في شكل ذلك النجم الوحيد الذي يشرق في الجانب الشرقي من السماء ، والذي يجوب السماء في صحبة الجبار والشعري اليمانية » (إرمان ١٩٩٥ : ٢٩٢) .

ويبدو أن التنوفي يطير إلى السماء على شكل طائر برأس صقر وجناحي أوزة ، وهناك تضعه الإلهة نوت إلهة السماء نحيماً عليها بعد أن يعترضه ثور عظيم بقرنيه ، لكنه يعبر ، ثم يضيء جسده ويتحول إلى نجمة .

وفي العقيدة الشمسية يذهب إلى زورق الشمس ويجلس في مقدمتها ويبحر به المسيطرون على الدفة ، وقد يكون أحد هؤلاء ، ويعينه تحوت في الليل الذي هو الصورة الليلية لرع . وهكذا لم تنشأ في ذلك الزمن بعد أفكار الهبوط بالشمس إلى تحت الأرض بعد الغروب . أي أن الميت كان نهائياً يرافق رع وليلاً يرافق تحوت (إله القمر والحكمة) .

إن مجيء الملك إلى السماء لم يكن حدثاً عادياً عند الآلهة الذين في السماء بل هو حدث عظيم ومفاجئ في الوقت نفسه :

«أي ست ونفتيس ! اسرعا واعلنا إلى آلهة الجنوب ومجددهم : قد أتى ممجد لا يفنى إنه إذا شاء لكم الموت فإنكم تموتون . وإذا شاء لكم الحياة فإنكم تعيشون » (إرمان ١٩٩٥ : ٢٩٥)

ويتجه إوزريس وإيزيس إلى الشمال وتحوت إلى الغرب وحورس إلى الشرق وهكذا يعلن التفريق بين هذه الآلهة الستة ثم يقال :

«أي رع أتوم

إن ابنك يغدو إليك

إنه يغدو إليك

إنك تسكنه عندك وتضمه بين ذراعيك

إنه ابنك من جسدك إلى الأبد» (المرجع السابق)

وأحياناً تغالي نصوص التوابيت في أهمية الملك المتوفي ولا تساويه بالآلهة أو تفضله عليها فحسب بل تجعله كصائد النجوم وبلتهم الآلهة المعجدين فيعيش على آبائه ويتغذى بأمهاته فيطبخهم في قدر ويأكل في الصباح كبارهم وفي المساء أوساطهم وفي العشاء صغارهم أما الشيوخ والعجائز من الآلهة فيكونون وقود هذه القدور، وهكذا يبتلع الملك الميت أرواحهم ويأكل قلوبهم وتيجانهم وسحرهم وقوتهم وعقولهم وبذلك يتشبع جسمه بالآلهة فيصير أعظم منهم جميعاً، مثل الملك يونس (يؤانس).

ويبدو أن اللاهوت النجمي كان يشمل جميع الأبرار والصالحين ، إضافة إلى الملوك . بالوصول إلى النجوم العظيمة وأن يكون مثلها . أما اللاهوت الشمسي فقد اعتنى بالملوك فقط وجعلهم رفقاء الإله (رع) .

واشترك اللاهوتان الشمسي والنجمي في تشخيص حقلين سماويين محددين للأبرار والصالحين من البشر وهما :

١-حقل الأطمعة : وهي جزيرة سماوية تحيط بها المياه السماوية (مياه المجرات) ويتوفر فيها الطعام بكثرة .

٢-حقل ياور : وهو حقل الأسفل أو حقل القصب .

وفي هذه الجنة السماوية هناك نباتات الحياة التي كانت تنمو قرب البحيرة العظمى سيخت حتب ، وهناك القمح الأبيض والشعير الأحمر ينموان بكثافة لارتفاعات كبيرة وحيث تمتلئ عدة أنهار بالمياه ويوجد مايسر النفس ، وهناك طعام وخمر

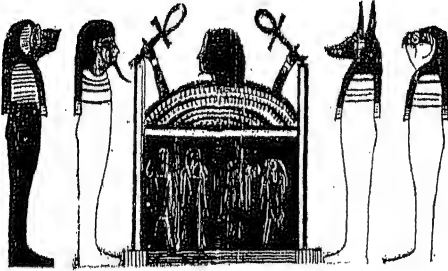
الخلود اللذان لا يتلفان ولا يتالهما القدم ، وهناك أيضاً شجرة التين المباركة و عنب الجنة والفاكهة والطعام الذي يأكله الأبرار هو الذي ينمو على فروع شجرة الزيتون التي تظلها عين حورس ثم أن الأبرار يكتسون بثياب تشبه تلك التي للآلهة فهي ثياب كان بيضاء وينتعلون صنادل بيضاء (انظر بدج ١٩٩٤ : ١٩٢) .

وهكذا تحتوي الجنة السماوية المصرية كل عناصر الجنة التي ذكرتها الأديان السماوية اللاحقة . بل ويضاف إلى ذلك ذكر الرباط اللاتني يشبهن الحور العين والتراتيل السماوية التي تشكل أغاني الآلهة وتسبيحاتها للإله العظيم أثناء أداء عملها .

لقد كان المصري يتخيل الأبرار والملوك في هذه الجنة السماوية وهم في أرفع مقام بحيث يقوم الآلهة بخدمتهم والحرق ومراقبة الحاصل والعمل بدلاً عنهم ، أما هم فيتلذذون بالطعام والشراب ويلبسون الملابس النظيفة ألبىضاء والصنادل البىضاء ويعيشون برفاه واستسلام وسلام بدون حرب أو شغب أو كفاح .

وإناث الجنة من الإلهات اللاتني يزودن الميت بطعام طاهر ، فإذا أتى إلى نوت أو الحية التي تحمي الشمس ، تحيه كل منهما كأنه ابنها ، وتعطف عليه وتدني له ثديها لترضعه ، وهكذا يعيش ويعود من جديد طفلاً وهو يذهب إلى والدتيه الرحمتين ذواتي الشعر الطويل والأنداء الناهدة واللتن تجلسان على جبل سحسح ، فتمدان ثديهما إلى فمه ولا تقطمانه أبداً (انظر إرمان ١٩٩٥ : ٢٩٧) .

أما الوصول إلى تلك الجنة فقد كان من خلال تحول الميت إلى طير أو صه وده إلى الجبال التي تلامس قممها أرضية الجنة الحديدية أو من خلال سلم يستخدمه المتوفي عندما يحتاجه ولذلك ظهرت نماذج السلالم في المقابر ، وكان المصريون يتصورون أن طرق السماء الجميلة مليئة بالمياه ولذلك تأملوا في عطف الصقور المقدسة كصقر حور وابي منجل (طائر تحوت المقدس) لتنقلهم إلى سفينة الشمس أو الجنان ، وكان أغلبهم يعتمد على (نوتي حقل يارو) المسمى (الملتفت إلى ورائه) والمستدير بوجهه .



شكل (٥٩)

السخت - ارو، أو حقل قصب، حيث عاش الأموات المباركون

١- الأموات يعبدون الآلهة، يجنّفون زورقاً ويبخرون روحاً مقدسة في سخيت - حوتب .

٢- الأموات يبنّون ويحصّدون، ويدوسون الحبوب، ويعبدون إله النيل.

٣- زوارق «راع، أو «رع، السحرية و (اون- نيفر) Un-Nefer وموطن الآلهة والأرواح الكاملة التي تحصد المحاصيل السماوية.

أما اللاهوت الأوزري السماوي فيظهر مبكراً في نصوص الأهرام وهو لا يتضمن حساباً للمتوفي (كما في اللاهوت الأوزري السفلي) بل اندماجاً في شخصية الإله الميت أوزيريس وصعوداً إلى السماء أيضاً .

إنه بلغة أخرى نوع من اللاهوت السماوي يختلف عن اللاهوت الأوزري الذي سيظهر في كتاب الموتى (حيث العالم السفلي) .

ولا شك أن هذا اللاهوت يعتمد على الأسطورة المعروفة لأوزيريس الذي أصبح الملك الوحيد للمتوفين جميعاً وسيد ملكة الموتى . فقد كان المتوفي يلقي المصير نفسه الذي تلقاه الإله أوزيريس وسيبعث كما هو من جديد إلا على شكل شبح خيالي ، وإنما في بعث مجسد ، ذلك لأن الآلهة جمعت معاً عظام أوزيريس ثم ضم رأسه إلى عظامه وعظامه إلى رأسه ، وعلى هذا النحو سوف يجري الأمر مع الإنسان الميت إذا اعتبر كأوزيريس جديد . إن عظامه لا تزال مبعثرة لأحرار فيها ، غير أن نوت ، أم أوزيريس لا تلبث أن تقترب منه لتضم عظامه من جديد : إنها تعطيك رأسك وتجلس لك عظامك وتجمع لك أعضائك وتضع قلبك في جسدك » (إرمان ١٩٩٥ : ٣٠١) .

ولنلاحظ إن لا علاقة لأبزة (ايزيس) بقيامه أوزيريس والميت بل أمه نوت ، ثم يقوم جب أبوه بفتح فمه ليتكلم . ثم يقوم تحوت وحورس بإيقافه ووضعوه فوق ظهره وتصيح الآلهة التسعة بالعدو في سخرية : احمل من هو أعظم منك .

ثم يقوم رع وحورس وينصبان للمتوفي سلماً يرقى عليه إلى السماء ويذهب إلى قصر السماء ويعتلي عرش أوزيريس ويمسك صولجانه ويقف أمامه الإلهتان ايزيس ونفتيس .

وهكذا يبعث المتوفي في هذا اللاهوت لامع النجوم القطبية ولا في زورق رع بل في قصر أوزيريس ويجكّم مثله . وهذا اللاهوت يعتمد على أسطورة قديمة لصعود الإله أوزيريس إلى السماء .

٣-العالم السفلي

(اللاهوت الأوزيرى : الحساب والجنة والنار)

مع متون التوابيت وبرديات كتاب الموتى ندخل الى لاهوت جديد يحتفي بالعالم السفلي (تحت الأرض) ، ويترك السماء التي احتفت بها نصوص الأهرام . وقد كان السبب المباشر في هذا شيوع مفاهيم الديمقراطية الدينية وكسر احتكار الفراعنة للبعث والقيامة وشمول افراد الشعب بامتيازات ما بعد الموت .

ولكن ذلك لم يكن سهلاً ولم يكن يسيراً ولا مبهجاً تماماً ، فقد أدخلت فكرة وعالم الحساب إلى موضوع البعث والقيامة . وترتب على ذلك ظهور جنة للمحسنين ونار للمخطئين . كل هذا تحت الارض في عالم سفلي يلي القبر مباشرة .

أ-مرحلة الحساب (محاكمة الميت):

انعكست ظلال أسطورة أوزيريس وست وصراعهما على عقائد ما بعد الموت وخصوصاً مشهد المحاكمة التي ضمت الآلهة في هليوبوليس وحاول ست أن يقاضي أوزيريس المتوفي (بعد أن انتصرت الحكمة لحورس) وقامت الآلهة بقيادة تحوت في الانتصار لأوزيريس ، مثلما انتصرت لحورس ودافع أوزيريس عن نفسه أزاء التهم التي وجهها ست له وكانت مرافعته مؤثرة ظلت في أذهان الناس ثم تسلت تدريجياً إلى الاسكاتولوجيا المصرية وأصبحت جزءاً من عقائد ما بعد الموت لأن أوزيريس بعد أن انتصر على ست في المحاكمة وضع رجله على ست ثم أرتفع إلى السماء حيث حكم هناك .

ويذكر إرمان أن هذا التصور قد أدى إلى أن أصبح يرجى أن يبرر تحوت الميت كذلك بصفته أوزيريساً جديداً ، وكما أن أوزيريس قد وجد محقاً ، فقد وجب أن يثبت أن الميت كذلك طاهر مبرأ من كل إثم وإلا كيف يمكن استقباله في ملكة ذلك الإله الذي كان يدين بسلطته لبراءته من الخطايا ؟ وفي هذا مظهر خلقي وجد سبيله من أسطورة اوزيريس إلى العقائد المصرية . ومنذ ذلك الوقت لم يعد الرجل القوي والشريف هو الذي ينتصر في الموت وإنما هو الرجل الحق البريء من كل ذنب (إرمان ١٩٩٥ : ٣٠٩) .

ولذلك يتحول أوزيريس هنا إلى قاضي قضاة محكمة الموتى ، وكذلك يتحول الميت إلى أوزيريس أيضا ، فالقاضي هو الإله الحاكم لمملكة الموتى والميت هو أوزيريس الميت قبل بدء المحاكمة .

ويرى سبنسر أن الرحيل إلى العالم الآخر اشبه بدخول امتحان عرفت أسئلته مقدماً ، وفي حوزة المرء ورقة بالإجابات الصحيحة ، لأن الميت كان يزود ببردية مكتوب فيها جميع ما هو مطلوب منه وكيف عليه أن يجيب عندما يُسأل في المحاكمة .

وعند مراجعتنا لكتاب الموتى (الفصل ١٢٥) نجد شرحاً وافياً للمحاكمة التي تجرى وهي مكونة من : (شكل ٦٠) .

- ١- أوزيريس الجالس على عرشه باعتباره قاضي المحكمة .
- ٢- أبناء حورس ورموزهم المعروفة يقفون على زهرة لوتس .
- ٣- كل الموتى وهو حيوان خرافي على شكل تمساح من الأمام وأسد من الوسط وفرس نهر من الخلف ويسمى (عمجم) أو (باباي) وربما (بيعج) ويدل على ست .
- ٤- اثنين وأربعين قاضياً .
- ٥- أنوبيس يمسك ميزان العدالة .
- ٦- الإله تحوت وهو يسجل نتائج وزن القلب والحساب .
- ٧- ماعت (إلهة العدالة) وهي تستقبل المتوفي .

وتتكون المحكمة من بهوكبير زين سقفه بلهب النيران وعلامات الحق وتبدأ المحاكمة بوزن قلب الميت حيث يوضع في الكفة اليسرى من ميزان العدالة وريشة ماعت في الكفة اليمنى ، ويقوم أنوبيس الذي له رأس له ابن أوى بعملية الوزن ويسجل تحوت النتيجة .

وفي حالة كون القلب أثقل من الريشة فهذا يعني وجود خطايا كثيرة ويخبر الإله تحوت النتيجة للقضاة الاثنين وأربعين ثم يقوم الميت بمخاطبتهم واحداً واحداً وعليه أن يعترف عليهم . وكان هؤلاء القضاة على ما يبدو يشربون دم المخطئين أمام وندفري .

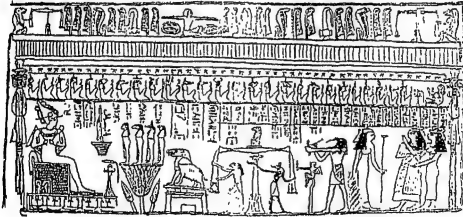
وهذا جزء من النص الذي يخاطب به الميت هؤلاء القضاة بأسمائهم ويسمى بـ (الاعتراف السلبي) الذي يتضمن بشكل ثابت ما يلي: (كلمة هلا، اسم الإله القاضي (وهنا ترجمة معنى هذا الاسم)، المكان الذي أتى منه، نفي خطيئة معينة).

«هلا... يا من خطوطك واسعة، يا من أتيت من إنو، إنني لم ارتكب اثماً.
هلا... يا من يحيطك اللهيب، يا من أتيت من خرعحا... إنني لم أسرق بالإكراه
هلا... يا صاحب الأنف، يا من أتيت من خمن... إنني لم أسطو...
هلا... يا ملتهم الظلال، يا من أتيت من كرنيت... إنني لم أقتل ولم ارتكب
أذى...»

هلا... (نيهو)، يا من أتيت من رستاو... إنني لم اختلس القرايين.
هلا... الإله الأسد المزدوج، يا من أتيت من السماء... إنني لم اقتطع
التقدمات.

هلا... يا من لك عينان من نار، يا من أتيت مت ساوت... إنني لم أسلب الها...»
(بدج ١٩٨٨ : ١١٧).

ويُجمل الدكتور فيليب عطية بردية أني في هوامشه هذه الخطايا كما يلي: (المرجع السابق: ٢٢٢).



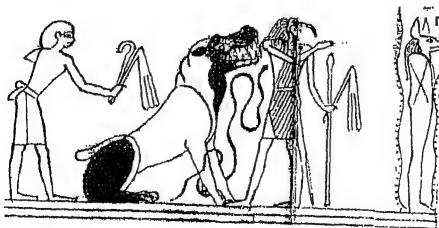
شكل (٦٠): الحساب

محكمة الميت، عن بردية جنازية لإحدى السيدات



شكل (٦١)

بعد الحساب (الكاتب أني "Ani" وهو يقاد من قبل حوروس ابن داييس) إلى
حضرة أوزيريس بعد أن تبين أنه صادق في إجاباته.
من بردية (بيبروس) أني حوالي ١٥٠٠ ق.م.



شكل (٦٢)

أكل الموتى : الحيوان عمعم أو يبع أو باباي

١- إعلان البراءة من الكبائر وجرائم العنف التي تهدد المجتمع كالقتل ، السرقة ، السطو ، الزنى ... الخ وهي الجرائم التي يتدخل القانون الوضعي عادة ضد من يرتكبها في أي مجتمع منظم .

٢- إعلان البراءة من الأعمال التي تمس الضمير كالكذب والغش والخداع والوشاية . الخ وبعض هذه الأعمال يتطلب حساً أخلاقياً راقياً ليتمكن لصاحبها تجنبها .

٣- إعلان البراءة من الأعمال التي تمس العرف الاجتماعي فيما يتصل بالأسرة والدين والمجتمع .

المرحلة اللاحقة بعد المحاكمة هي إعادة أعضاء المتوفي إليه كالقلم والذاكرة والقلب ... الخ .

ب-مرحلة الجنة والنار

تشير بقايا اللاهوت الشمسي في كتاب الموتى إلى أن الموتى الصالحين يلتحقون مباشرة بحقول (يارو) السماوية ويصعدون إلى السماء يلتحقون بزورق رع .

أما اكتمال اللاهوت الأوزيري فنراه في (كتاب الطريقين) الذي يشير إلى أن هناك سبيلين بعد محاكمة الموتى يؤديان إلى ملكة الأبرار (الجنة الأوزيرية) أحدهما عن طريق الماء والآخر عن طريق الأرض وكلاهما يتعرجان غير أنك لا تستطيع أن تعرج من أحدهما إلى الآخر لأن بينهما بحراً من النار ، وهناك كذلك طرق جانبية لا ينبغي سلوكها لأنها تؤدي إلى النار أو هي طرق طويلة ملتوية . وقبل السير في أحد هذين السبيلين يجب أن يمضي الميت من باب النار (انظر إرمان ١٩٩٥ : ٣١٨) .

ويشير هذا الكتاب بوضوح إلى الجنة والنار والطرق التي تؤدي إليهما .

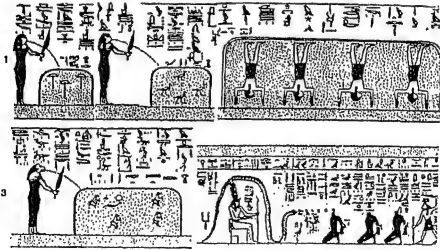
ويبدو أن فكرة اختراق النار تطورت مع الزمن وغذاها اللاهوت الشمسي الذي اقترح طريقاً معقداً ومطولاً للشمس بعد الغروب وفي الليل وحتى الشروق في العالم الأسفل . ورأى أن الميت يندمج هنا بالإله رع من جهة والإله أوزيريس من جهة ، وبذلك يتصلح اللاهوتان الشمسي والأوزيري تماماً . ومن أجل ذلك ألف الكهنة كتابين لهذا الغرض هما (كتاب البوابات) و(كتاب مافي العالم الآخر) يصفان رحلة (الميت الشمسي الأوزيري) عبر اثنتي عشرة ساعة .

وقبل ذلك سنصف الجنة الأوزيرية السفلى التي يصل إليها الميت عبر طريقي الماء والأرض وبينهما طريق النار .

تسمى هذه الجنة بـ (حقول القرايين) أو (حقول البوص) وهي مكان تحيا فيه الأرواح في هناء وخير عميم ولقد صورت تلك الجنة على نسق أرض مصر فتظهرها رسوم أوراق البردي الجنزيرية مقسمة إلى أحواض تفصلها قنوات الري ، وهي إحدى ملامح الريف المصري المميزة .

ويقوم الموتى فيها بمهام الزراعة تماماً كما في الحياة الدنيا مثل الحرث والبذر والحصاد وسط الحقول وبين قنوات الري (انظر سبسر ١٩٨٧ : ١٧١-١٧٢) .

ويبدو أن الجنة الأوزيرية لم تكن بفخامة الجنة الشمسية السماوية فهي تعكس أحلام الفلاحين والمزارعين بحقل مثالي ، فقد كانت تخلو من الحشرات ، وينمو فيها القمح إلى ارتفاع خمسة أذرع ، أما السنابل فطولها ذراعين وأعواد الشعير سبعة أذرع .



شكل (٦٣) النار في الآخرة المصرية

تمثل الصورة الأباداة للمعمونين في التاوت العالم السفلي :

- ١- الظلال وأرواح الكائنات الشريرة المحترقة في حفر النار . ٢- رؤوس الشريرين النازلة إلى الأسفل تحترق في حفرة من نار . ٣- أعداء أوزيريس يحترقون في حفرة من نار . ٤- اتخذ أوزيريس مقعده تحت مظلة مشكلة بأفعى تبصق ناراً على الأجسام المخادعة الملعونة وتفتيتها .

أما النار في العقائد الجنازية المصرية فلم تكن فكرتها مشابهة لفكرة هنوم اليهودية او الجحيم المسيحية أو جهنم الإسلامية... ولكننا نرجح أنها مصدر هذه الأفكار .

وقد استندت فكرة النار المصرية إلى أساس أن أغلب أقسام التوات تحتوي على حجلات النار التي تحرسها ربوات معينات وفيها كائنات مقدسة تخرج النيران من أفواهها وكانت هذه النار تدمر أجساد وأرواح وأشباح رؤوس الكائنات المعادية لـ (رع) اثناء مروره في التوات ومحاولتها إعاقة تقدمه . وقد أوحى هذا المشهد الذي كان يجسد بالرسوم على البرديات للكثيرين بأنه مشهد حرق الأرواح الملعونة من البشر ، ثم وبسبب الجهل وعدم التمعن في النصوص الهيروغليفية ومعرفتها ظهرت فكرة أن الآخرة تتضمن النار التي كانت معدة للمخطئين والملعونين من الناس .

لقد كان المصريون يعتقدون أن الانسان الخاطيء يتعرض للحساب وللإعاقة وللفقدان بعض أعضائه جسده... ولكن النار لم تكن عقاباً ، لقد كانت النار ضمن أدوات الكائنات الموالية للإله (رع) لتدمير الكائنات المعادية له وبذلك تكون النار عقيدة شمسية مرتبطة بأسطورة نزول (رع) اليومي الى التوات ولا علاقة لها بالمخطئين ، ولكن.. ربما كان بعض الناس أعداء لـ (رع) في الحياة ، وكافرين به ومحاربين له فانهم بلا شك في الآخرة سيكونون ضمن من يحارب رع . أي ممن يعوقون تقدمه اليومي ، ربما كانت هذه الفكرة سبباً في تحول النار إلى نوع من العقاب في بعض الأديان اللاحقة (من كفر بالإله من الحياة مصيره النار!!).

لقد كان المصريون يخافون من فكرة (الموت الثاني) الذي يحصل في حالة تدمير وتشويه الجثة الميتة لأن الـ (كا) التي هي بمثابة الجسد الروحي ستخرج مشوهة او مدمرة بعد الموت وربما تموت في الآخرة وبذلك يفنى الإنسان تماماً .

إن ذلك يعني أن الإنسان يتعرض للحساب والعقاب المؤقت ولكنه بوجود الـ (كا) سليمة يذهب بعد ذلك إلى جنات أوزيريس أو رع في كل الأحوال خصوصاً إنه ، بوجود البرديات الجنازية ، يعرف مسبقاً كل ما سيحصل له بعد الموت وانه سيجتاز هذا الامتحان .

ويرى والس بدج أن الأدبيات القبطية المسيحية ذكرت حرفيا وجود اثنتي عشرة قاعة او حجرة من حجرات النار التي تسكنها كائنات غريبة وذكر ان هذه الحجرات مستعارة من الاقسام الاثني عشر في التوات المصري القديم . ويتأكد ذلك بشكل خاص في الغنوصيات المسيحية القبطية (انظر بدج ١٩٩٤: ٣٠٤-٣٠٧) .

وكذلك نرى أن الشعابن تسيطر على الخيلة المصرية وتدفق بها الى تصورات مبالغ فيها في عالم الآخرة ، فهناك عدد كبير من الشعابن الكبيرة والعادية ، ولعل الشعابن (ابيب) هو أشهرها لانه العدو اليومي للإله (رع) والذي يعترضه في طريقه . ويشترك معظم القدماء من السومريين والبابليين والكنعانيين والحيتيين وغيرهم في تصور وجود شعبان او ثنتين عملاق يقبع في العالم الأسفل .

وحين تلتقي الشعابن والنار معاً تصبح الشعابن هي مصدر هذه النار التي تخرج من فمها . ولكن المصريين فاقوا جميع القدماء في تصورهم للنار والشعابن وفي زخرفة التوات وطريق رع السفلي بهما . وكانت لهذه الشعابن أسماء مختلفة وغريبة ربما صارت فيما بعد أسماء الشياطين والعفاريت التي يعزم بها السحرة والتي كانت تبدو أسماء من لغات او عوالم غريبة وهذا ماتحفل به نصوص السحر العربي .

ج- طريق الشمس في العالم السفلي:

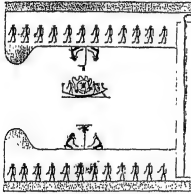
تأتي فكرة هذا الطريق منسجمة مع التحام اللاهوتين الشمسي والأوزري فهو يوفق بين التحام الميت معه الإله رع الهابط بزورقه بعد الغروب إلى العالم الأسفل والذي يلتحم أيضاً مع إله العالم السفلي أوزيريس ، كما أنه يخترع طريقاً للشمس في مملكة الظلام الأوزرية الذي توقفنا عنده في مناقشتنا لأساطير الإله رع (الفصل الثاني) .

ولنتتبع خلاصة (كتاب البوابات) التي تشرح لنا الحقول والبوابات التي تقسم ملكة الموتى الأوزرية إلى (١٢) قسماً ، حيث تظهر الدوات كواد رملي ضيق ذي منحدرات يقسمه نيل العالم الأسفل إلى جزءين متساويين وعلى النهر يبهر زورق الشمس الذي ينقسم إلى اثني عشر (نوم) أو جزء تناظر ساعات الليل ، وقد صورت كل ساعة على البرديات بطريقة مفصلة ودقيقة تصل حد الإعجاز الفني والمثولوجي ، وتعتبر هذه اللوحات والنصوص من الكنوز الروحية التي انتجتها العبقرية الروحية المصرية . وسنستعرض الساعات الست الأولى من طريق الشمس (لفصيق الجبال) ونرجو مراجعة أسطورة الدورة الليلية للإله رع في الفصل الثاني :

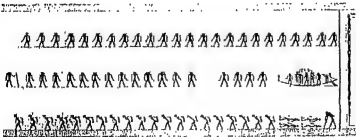
١-انساعة الأولى : حيث يمر زورق الشمس من مدخل الدوات (العالم الاسفل) . وهو يحمل قرص الشمس الذي يحتوي على الجعران ويحيط به ثعبان الأوروس الذي يسلك ذيله بشفه ويحرسه إلهان في مقدمة ومؤخرة الزورق . وعلى يمين ويسار القارب (٢٤) إلهاً .

ويتجه القارب نحو بوابة الساعة الثانية التي يحرسها ثعبان طويل وحين يمر الزورق منها (تبكي كل القاطنات في ست وتصيح) .

٢-الساعة الثانية: يدخل قارب الشمس ويحاط من اليمين بـ (٢٤) رجلاً يصلون لرع ، ومن اليسار بـ (٢٤) مجرمًا يرقد منهم أربعة على ظهورهم والعشرون الآخرون مربوطة أيديهم إلى الخلف ، اما الزورق فيتوسطه الإله برأس كبش وأمامه ثعبان ، ويجر الزورق أربعة كائنات ويستقبله سبعة وستة من الآلهة وإله العكاز .



الساعة
الأولى



الساعة
الثانية

شكل (٦٤) الساعة الأولى والثانية من رحلة مركب الشمس

ويقترّب الزورق من البوابة المحصنة بحائطين تعلوهما رؤوس الحراب ، وفي كل ركن من الممر الذي بينهما ثعبان تخرج من فمه كرات النار التي تملأ الممر وموميّات حارسات وثعبان حارس .

٣- الساعة الثالثة : يحتاج القارب البوابة السابقة ويحاط بـ (١٢) إلهاً مقدساً في محاريبهم يمتد على هذه المحاريب ثعبان طويل ثم تليها (١٢) إلهاً من بحيرات النار امام كل بحيرة سنبلة قمح ، وفي الجانب الأيسر الآلهة ثم ، أبيب ، تسعة آلهة يسمون الرؤساء الذين يعبدون أبيب ، الإله ثم والآلهة التسعة للأشياء .
أما زورق الشمس فتسجبه ثمانية آلهة .

تعمل الآلهة المحيطة بالزورق من اليسار تحت قيادة ثم على ذبح كبير الشياطين أبيب وهو وحش يسحر بتلاوة بعض التعازيم عليه ثم تفصل رأسه بعد ذلك ويقطع جسده إلى أجزاء عند الوصلات .

وعندما يعبر الإله الساعة الثالثة ويغلق الباب يعلو صوت تحيب كل الكائنات المقدر عليها أن تظل فيها . وبوابة الساعة الثالثة مشابهة للثانية تقريباً .

٤- الساعة الرابعة : يظهر في هذه الساعة الإله أوزيريس ، والإله حورس الأكبر في كوكب يتقدمه ثعبان اسمه (لهب) نحو أوزيريس الذي يرتدي تاج الجنوب ويقف فوق ثعبان . وخلفه (١٢) إلهاً ويخترق زورق رع عبر النهر ويقترّب من ضريح به ستة معابد في كل منها إله محنط يرقد مستويًا وتسمى هذه الآلهة التي في كوكب أوزيريس في كهوفها) ثم يصادف ست نساء بينهن الشعبان (هيريريت) الذي ينجب (١٢) صلاً تفني الساعات اللائي تمثلها النساء .

وفي هذا الجزء كما في الأجزاء الأخرى يخاطب (رع) الكائنات التي فيه ويرتب طريقة تزويدها بالطعام ويذكرها بواجباتها تجاهه كخالق لها .

٥- الساعة الخامسة : يظهر فيها حور الأكبر وثلاثة فصائل من الكائنات من بينهم فصائل مكون من (١٦) شخصاً يؤلف كل أربعة منهم نوعاً من الجنس البشري وهم : البشر أي المصريون ، والأمو أي الآسيويون ، والزنوج والليبيون ، ويخاطب (رع) هذه

الفصائل جميعاً ويقول لهم : (أنتم دموع عيني) ويقول للأجناس البشرية أنه قد خلقهم وأن الربة سيخيت قد أعتقت أرواحهم .

ويخاطب فصيلة تحمل السلام ويطلب منهم قياس الأرواح المقدر لها الفتاة وتدمير الأرواح التي تقرر تدميره .

أما الآلهة التي في زورق رع فيخاطبها ويطلب منها أن تشد بهمة وأن تكون سواعدها بأسلة وأقدامها ناعمة وأرواحها قوية وتمهد طريق النجاح له ليصل إلى الدوائر الختفية .

ثم يخاطب الأشكال التي تغطي أكتافها ، والتي تحمل الشبان اينوتشي ويطلب منها أن تسحبه ويمدح هؤلاء الصادقين فوق الأرض ومجدوا اسماءه ويصدر امرأ بمنحهم كعكاً لأرواحهم وهواء لانوفهم وأعشاباً خضراء ومكاناً بين آلهة الحق والعدل في الركن الذي يسكن به رع حيث تجهز مجمعات الآلهة كلمات (القدرة) أو القسمة والنصيب .

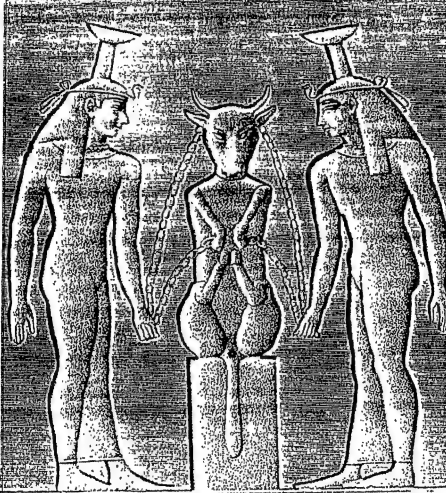
٦- الساعة السادسة : هذا الجزء مخصص للإله أوزيريس الذي يظهر وهو جالس على عرشه وأمامه الميزان الذي يزن به الكلمات في مقابر طائر الشر ، وأمام الميزان هناك قارب فيه قرد يسوق بعصاه خنزيراً أمامه ، ويقول النص أن أوزيريس عندما يبدأ في وزن الكلمات يطرد الشر ويصبح قلبه عادلاً ويمسك بالكلمات يضعها على الميزان في المكان المقدس حيث تقام المحكمة لكل ما خفي من أشياء غامضة خاصة بالأرواح .

ويتضح مكان أوزيريس هنا لأنه يقع في أقصى العالم الأسفل ومنه سيبتجه القارب نحو الشرق .

هذه الرواية التي تستمر لغاية الساعة الثانية عشرة ، واحدة من عدة روايات دونت على البرديات تصف ذلك العالم الذي نحده مختلفاً بعض الشيء عن الذي ذكرناه في الفصل الثاني ، وقد لخصنا هذه الرواية عن بدج (انظر بدج ١٩٩٤ : ٢٠٨-٢٢٢) .

الفصل الرابع الطقوس المصرية

(دراسة في الطقوس والشعائر المصرية القديمة)



«عسى أن لا تُقيد يداي وقدماي
وأذل في حضور الآلهة»
من كتاب الموتى

الطقوس اليومية

١- الصلاة:

كانت الصلاة طقساً دينياً يقوم به الإنسان العادي والكاهن والملك وكانت تؤدي وفق اوضاع متنوعة كالركوع والسجود والوقوف بخشوع امام تماثيل الآلهة . ولم يكن كل تماثيل يمثل الإله . فقد كانت هذه التماثيل تعتبر نسخاً من تماثيل اصيلاً كان يحتفظ به في قدس الاقداس في المعبد ، ولم تكن رؤية هذا التمثال امراً يسيراً للناس فقد كان الملك وبعض الكهنة من ذوي الرتب العالية هم الذين يسمح لهم كل صباح مشاهدته والصلاة بين يديه وكان الملك أو الكاهن يصلي وذراعا مسدلتان على جانب جسمه ، أو في وضعيه السجود أو الركوع وهو يكرر الصلاة اربع مرات لتبلغ زوايا أو جهات العالم الأربع ونص الصلاة هو :

«أعبد سيادتك ، بعبارات مختارة ، بصلوات تزيد من عظمتك ، بأسمائك العظيمة ، بمظاهرك المقدسة التي ظهرت بها في اليوم الاول للعالم» . (سولبرون ١٩٩٤: ١١١)

وهناك نصوص مفصلة للصلاة تختلف من عصر لآخر ومن إله لآخر .

٢- طقوس المعبد اليومية:

وكانت على نوعين ، الاولى يقوم بها عامة الكهنة ، وهي طقوس الخدمة في باحات المعبد ، والثانية يقوم بها الكاهن الأكبر ومساعدته في قدس الاقداس . اما طقوس الخدمة في باحات المعبد العامة فكان يؤديها عدد كبير من الكهنة والموظفين التابعين للمعبد ، ولم يكن الغرض من هذه الطقوس العبادة ، بل كانت تؤدي كأعمال روتينية من أجل أن يمنح الإله الملك (الذي هو بمثابة الكاهن الأعظم) الحياة الابدية والسعادة والنصر .

وكانت هذه الطقوس تبدأ قبل شروق الشمس حين يقوم الكهنة بالذهاب الى البحيرة المقدسة أو بئر المعبد لتطهير اجسادهم بمائها المقدس ، ثم يقومون بتنظيف المعبد وتبخيره . ثم يدخل حاملو القرايين ومرتلو الاناشيد ويتقدمون الى بهو الاعمدة الثاني ، حيث تقدم عدة موائد للقرايين ويضعون ما يحملون فوقها بعد تطهيرها بالماء والبخور .

وكانت أعمالهم تشمل:

١- تهيئة وجبة تقديم طعام الإله : وكانت تتمثل باللحوم والحلويات والخضار والثمار المقدسة على المناضد الدائرية وهناك عملان رمزيان مع الوجبة هما قرايين البخور وقرايين ماعت حيث يجري تقديم الطعام الى الإله والعالم ومناطق نفوذه . ولم تكن الالهية تستهلك الاطعمة ، وهذا واضح لا ريب فيه (جزء من روحه غير المادي فقط ، موجود في مثاله) هكذا تكتمل وجبة طعام الإله خارج حدود الادراك البشري .

تمر النفس غير المادية للأطعمة في الروح الربانية ، دون أن يتبدل أي شيء في وضع القرايين المقدسة على المذابح (انظر سونيرون ١٩٩٤ : ١١١) وكان الكاهن الاكبر هو الذي يقدم جزءاً من الاطعمة للإله في غرفة قدس الاقداس .

٢- النظافة وتزيين الآلهة بشيابه : وكان التنظيف يجري يومياً ، أما زينة الآلهة فكان يجري مرة أو مرتين في الاسبوع وكان مسح الإله بزيت الزينة (ميدجت) يجري مع التراتيل المقدسة المناسبة التي يقوم بها الكاهن الاكبر .

٣- رش الماء على مقصورة التمثال : وكانت هذه الطقوس بمثابة نهاية الطقوس الصباحية التي كانت تصحب باسandal الستار على وجه الإله في مقصورته واغلاق ابوابه .

٤- طقوس الظهيرة : كانت صلاة الظهر تؤدي عندما كانت الشمس في سمتها السماوي وكان ذلك مصحوباً برش الماء وحرق البخور امام مقر الآلهة الضيوف والملوك المؤلهين المعبودين في المعبد الى جانب الآلهة .

٥- طقوس المساء : وكانت مشابهة لطقوس الصباح مع رونق اقل واغلاق للمعبد وإقامة مراسيم العبادة في المعابد الصغيرة الجانبية المحيطة بقدس الاقداس : تكريس ، ارواء ، تبخير ، رفع الاطعمة ، تطهير كلي ، ثم تغلق ابواب المعبد وينسحب الكهان ، وكان الآلهة يخلدون للنوم كالنوم كالبشر اما الكاهن الفلكي فيبقى ساهراً على مصطبة المعبد يتابع حركات النجوم والزمن الليلي ليعلن حلول الفجر . (انظر سونيرون ١٩٩٤ : ١١٨)

كانت الطقوس التي يقوم بها الكاهن الاكبر كل يوم من النوع الخاص يساعده كاهن يستطيع القيام بتأدية الطقوس وحمل البخور والشعلة التي ستوقد .
وكان الكاهن الاكبر يتقدم بخطوات بطيئة ومهيبة عبر بهو الأعمدة الاكبر متجهاً نحو قدس الاقداس وهو يتمتم بنصوص دينية يبدأها بقوله :
«اني كاهن ابن كاهن ، اني طاهر ابن طاهر ، اني آت للقيام بالخدمة ، بعد أن أزلت عن كاهلي كل شرور الارض ، اني طاهر ، اني طاهر»

ثم يتقدم نحو الباب ويفك ختمه ويفتح غرفة قدس الاقداس المظلمة ويقوم مساعده باضاءة الشعلة ، وحرق البخور ثم يتقدم الكاهن نحو الناوروس حيث يحفظ تمثال الإله في خزانة الخشب هذه فيفتحها ويتأكد من ختمها فيظهر تمثال الإله ويسجد الكاهن مباشرة ويقبل الارض منبطحاً على بطنه ثم يقف ويداء مسدلتان ويصلي ، ثم يقوم هو بتبديل ملابس الإله وتزيينه ودهنه ، ويقدم له القرابين ويخرج بخشوع ويمسح آثار اقدمه على الرمل ويقفل الغرفة لكي لا يدخل احد غيره الى هذه الغرفة (انظر ابوبكر ، الموسوعة المصرية ، ٢٢٥) .

ولعل أهم عمل كان يقوم به الكاهن الاكبر هو (إحلال الإله في تمثاله) ويتم ذلك بتلاوة ترتيلة يومية اثناء احتضان الكاهن التمثال الإله وهو في قدس الاقداس ثم رفعه من الناوروس ووضعه على الارض فإذا ما حلت روح الإله في الجسد (اي في التمثال) أصبح الإله موجوداً في المعبد وبأخذ الكاهن في معاملته كما يعامل الملوك في قصورهم (المرجع السابق) .

٣- التراتيل والأناشيد الدينية:

كانت التراتيل والأناشيد الدينية تؤدي في الطقوس الدينية اليومية والاحتفالية ، ولا يعرف على وجه التحديد فيما اذا كانت هذه التراتيل موقعة بأوزان شعرية بسبب إهمال الحركات في اللغة المصرية القديمة وعدم نطقها الدقيق ، وربما اعتمدت على النبرات الإيقاعية وتكرارها (وهو ما سارت عليه التراتيل القبطية) . أما القيمة الشعرية والأدبية لها فقد كانت عالية زاهرة بالصور المؤثرة في الوجدان وفي العقل معاً .

ويمكن اجمالاً تقسيم التراتيل الى دينية موجهة للالهة ودينية عاطفية بشكل خاص .

وتشكل التراتيل الدينية الجزء الاعظم الذي يزخر بالنصوص المוגلة في القدم ومنها التراتيل الكبرى الموجهة للشمس والتي ظهرت في عصور مختلفة مثل (المنحوتب الثاني ، المنحوتب الرابع ، رعمسيس الثاني) وتراتيل تحوت وتراتيل النيل وحرور وسوبك وخنوم ... الخ وكان اغلبها يقوم في مضامينه على تعدد اسماء الإله وصفاته وتيجانه ومعابده وتلميحات عن اساطيره وقصصه ومعجزاته .

وهذا مقطع من نشيد الى خنوم :

«التهليل لك

أيها (الإله) الذي زود بأربعة وجوه فوق عنق واحد

(الإله) ذو الصوت القوي ، ولكن ليس في استطاعة أحد إن يراه

صاحب الجد العظيم والهيبة الرفيعة

يارب عجلة (الفخاري) الذي يشكل على هواه

(خنوم) الذي صنع أربعة (خنوم)

إله القدر ، الإله العائل

الذي تتحقق أوامره

و(كا) وه لها منزلة تفوق تلك التي تتمتع بها الآلهة والإلهات (الأخرى)

انت (خنوم)

الوحيد الأحد ، الوحيد الأحد .

ومن عمله تخرج كل يوم ملايين الكائنات

انت (خنوم)

التجلي الخسوس للنسيم

اغاط بالأسرار الذي من عنقه تتولد الرياح الأربع * (لالويت ١٩٩٦: ١٩٧).

وكانت هناك أناشيد دينية شائعة ، كانت الناس ترددها لأزمان طويلة مثل نشيد (استيقظي بسلام ..) الذي كان يوجه الى الآلهة كل صباح في المعابد لكي تستيقظ .

وهناك أناشيد ذات طابع صوفي وطقوس خاص مثل أناشيد (هنو) التي كان مردودها يركعون ويضربون صدورهم بأيديهم (انظر إرمات ١٩٩٥: ٢٤٨) .

وكانت الموسيقى تلعب دوراً ثانوياً في أداء الأناشيد والتراتيل ولم تكن هناك عناية بها مع هذا النوع من الشعر ، على العكس من الغناء الديني ، وقد كان للكاهنات دور بسيط في أداء بعض أنواع الموسيقى الدينية البسيطة عن طريق استعمال الشخيلة والصنوج والعقود الكبيرة أمام الإلهة تحتحور أو أي إله آخر .

٤- القرايين:

كان طقس تقديم القرايين تقليداً مصرياً يومياً مبنياً على اساس أن الآلهة والأموات من الناس يحتاجون الى الطعام كما يحتاج اليه الناس الأحياء ، وكان تقدم القرايين شعيرة ثابتة في الطقوس الإلهية اليومية التي يقوم بها كهنة المعابد أو في الاحتفالات الدورية وطقوس المناسبات الدينية فقد ذكرنا كيفية تقديم القرايين في التقاليد اليومية لخدمة المعبد والتي كانت للآلهة الكبيرة ثم قدمت للآلهة الصغيرة ولتمائيل الملوك والأمراء .

وكانت هذه القرايين تقتسم آخر الامر بين الكهنة والعاملين في المعابد وتتكون القرايين عادة من الحيوانات والنباتات ، وقد تكون بسيطة تقتصر على صب الماء والبخور كما هي الحال في قرايين الظهيرة اليومية ، أما قرايين الصباح والمساء فقد كانت عامرة .

فيما يخص الموتى كانت العقائد الجنائزية المصرية المبكرة ترى ضرورة تقديم الطعام والشراب إلى الميت ولذلك كانت تدفن مع الميت جرار مليئة بالطعام والشراب ، ثم أصبح لزاماً على الابن الأكبر أو الكاهن المنتدب لهذه المهمة تقديم الطعام والشراب اليومي للمتوفي ثم اقتصر الامر على تقديمه في الاعياد ، وكانت شعائر (فتح الغم) الجنائزية للمتوفي تشير إلى استرداد قدرته على الأكل والتمتع بالقرايين التي تقدم له .

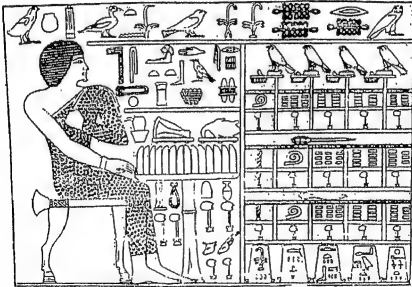
كانت مائدة القرايين التي تقدم للمتوفي في العصور الزولى مقتصرة على رغيف يوضع على حصير يفرش أمام القبر . ولذلك أصبح شكل الرغيف هو رمز القربان في الكتابة المصرية .

ورغم إن تقاليد تقديم القرايين إلى المتوفي ظلت قائمة إلا أن العلم الكهنوتي اخترع طريقه سحرية لطعام أبدي عن طريق رسم مائدة قرايين باذخة في أغلب الأحيان «حيث يُنحت في الحجر أمام الباب الوهمي أو اللوح الذي يدل على مكان القربان ، وكثيراً ما كانت تنقش بعض مناظر الطعام من خبز ولحم وطيور وفاكهة وزهر من فوق رسم الحصىرة الأصلية ، وذلك مع أدعية تقليدية بوافر الطعام من قبل الملك والآلهة لروح المتوفي ، وربما زودت أحياناً بمواضع منقورة للزيوت ، وقناة يجري فيها ما

يصب عليها من القربان السائل حيث يستقبل في وعاء ملحق بها أو يوضع تحتها ، وكانت هذه الموائد تقدم أحياناً هدية من الأحياء إلى أحبائهم المتوفين « (يوسف ، الموسوعة المصرية : ٣٢٥) .

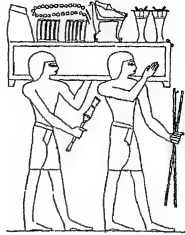
كانت الصيغة التقليدية لتقديم القربان هي (قربان يقدمه الملك) التي كانت الصلوات تبدأ بها من أجل الموتى في الجبانات ومن أجل الآلهة في المعابد .

ولكن الصيغة التي شاعت هي أن يسمى القربان بـ (عين حورس) فكل طعام وكل شراب والثياب والأدهان والمساحيق ، كل ذلك يجب تسميته هكذا حتى يصل الأمر إلى أن يسمى النبيذ عين حورس الخضراء ، واللبن عين حورس البيضاء والأدهان وكل ماله رائحة طيبة يسمى (عرق الآلهة) ويدهن الإله برائحته . . العرق الذي خرج من لحمه ، وكانت الحيوانات التي تذبح في ساحة خاصة من المعبد كأنها هي أعداء الإله التي تقتل لإرضائه . . وكانت قرابين اللحم تقدم إما نيئة أو مشوية ومن النادر إن تحرق (انظر إرمان ١٩٩٥ : ٢٤٥) .

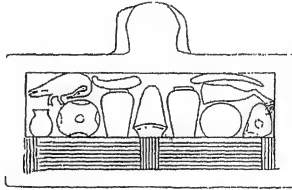


١- لوح قريان

ب- حملة القرايين



ج- مائدة قرايين منقوش عليها صور اطعمة واشربة.



د- رجل يقدم القريان في
مجمرة فحم.



هـ- رجل يقدم بطا في
مجمرتين.



شكل (٦٤)
طقوس القرايين

طقوس المناسبات :

تتماز طقوس المناسبات بأنها غير يومية وغير دورية في الوقت نفسه ، وتشمل طقوس الولادة والبناء والزواج والموت ، وهذه الطقوس لا تحصل في حياة الإنسان سوى مرة واحدة كالولادة والموت وبعضها قد يتكرر كالبناء والزواج .

١- طقوس الولادة:

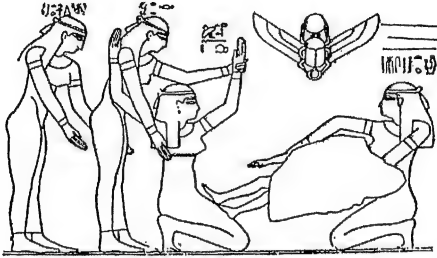
تردد صدى وصفة طبية مصرية طوال العصور القديمة تقول : اذا بالث المرأة المتزوجة على نبات معين فأزهر صدق حملها ، وإن ذبل كان حملها كاذباً . وكان السحرة يصنعون للنساء تائم خاصة لنجاح الحمل على هيئة إناث الحيوانات التي تمتاز بقوة النسل كالضفادع ، وأخرى على هيئة إناث الحيوانات التي تمتاز بضخامة البطن والثدي كأفراس البحر .

وكان من ضمن تنبؤاتهم حول المولود الذكر أو الانثى إن تبول المرأة الحامل على حفنتين من الشعير والحنطة موضوعتين في خرفتين منفصلتين ، فإذا نما الشعير أكثر من غو الحنطة كان الجنين ذكراً ، وإذا نمت الحنطة أكثر من نبات الشعير كان الجنين انثى .

وكان الإله خنوم هو الذي يصوغ شكل الجنين على عجلته الفخارية ، أما ساعة الولادة فتساعد فيها الإلهات الأربع (إيزيس ، نفتيس ، حقت ، مسخت) حيث ينفردن بالحامل في غرفتها مع القابلات ، وتقوم الإلهة إيزيس وكاهنتها القابلة بعملية الولادة وتساعد الإلهات الباقيات فتسندنها نفتيس ، وتستعجلها حقت ، وتشجعها مسخت (شكل ٦٤) ثم تغسل القابلة الوليد وتقطع حبله السري ، وترقد فوق المهد وتغطيه بالكثان ، وكان الكهنة المولدين والكاهنات المولدرات يلبسون ملابس خاصة ويسكون عصياً خشبية معينة ويستعينون بها حين يتلون رقاهم على إبعاد اشباح الشياطين الذين يتوهمهم متجمعين حول المرأة الحامل لاجهاض حملها أو تأخيرها .

وهناك طقوس للرضاعة أيضاً فقد كانت هناك تائم رقيقة من المعدن والخزف مصورة على هيئة الثدي ، أو هيئة الإلهة إيزيس وهي تضع طفلها حورس ، أو على

هيئة الإلهة حتحور في شكل البقرة ، أو الإلهة تاورت في شكل فرسة النهر ، وتعلق هذه التماثيل على الصدر أو على الثدي . وقد وصفت بردية مصرية طريقتين لإدراج لبن المرضعة « اوصت احدهما بأن تحرق المرضعة عظام سمك في الزيت وتسحقها ، ثم تدلك بها سلسلة ظهرها ، وأشارت الثانية بأن تستعين المرضع بعفن الخبز فتحرق رغيفاً عفناً . وتخلطه بنبات معين اسمه (خساو) ثم تأكل خليطهما وهي جالسة تفتersh ساقها تحتها» (صالح ١٩٦١ : ٤٤) .



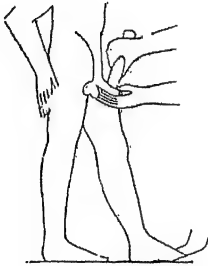
شكل (٦٤)

طقوس الولادة ونرى بعض المعبودات يساعدن الأم من العصر البطلمي

وكانت عادة الختان عند المصريين عامة ، وقد اعتبرها المصريون من عوامل نظافة البدن وقد سبقت الديانة المصرية غيرها كاليهودية في اعتبار الختان طقساً دينياً وعملاً طبياً صحيحاً (شكل ٦٥) .



ختان الاطفال



شكل (٦٥)

منظر لعملية ختان

- الاطفال - الدولة القديمة

وكان الطفل يطلق عليه اسمه يوم ولادته أو بعدها وتطلق عليه اسماء مشتقة من الدين أو البيئة أو العادات . . الخ وكانوا يطلقون اسماً أو اسمين أو ثلاثة ، وللطفل اسم عادي واسم تدليل أو اسم عادي وكنية ، أو اسم يختاره له ابوه واسم تختاره له أمه .

وكان من المحبب لديهم اطلاق اسماء مرتبطة بالآلهة أو الفراعين مثل (حم رع = عبد رع) و(باكن آمون = خادم آمون) و(سا آمون = ابن آمون) و(سن نثر = أخو الرب) أو (نفر ايرت بتاح = طيب ما فعله بتاح) . الخ .

٢- طقوس البناء:

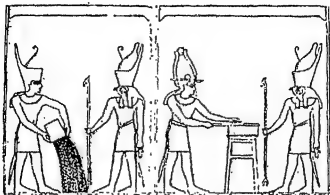
كان بناء المعابد ، بوجه خاص ، محاطاً بالكثير من الطقوس والشعائر الخاصة والتي يعتقد أنها كانت محفوظة في كتاب بعنوان (كتاب تأسيس المعابد) وضعه إمحوتب وأن الآلهة اخذته معها إلى السماء عندما هجرت الأرض لكن امحوتب استنزله في شمال منف .

وكانت الشعائر التي تقام قبل بدء البناء تتضمن قيام الملك أو من ينوب عنه بمساعدة كهنة وكاهنات يمثلون بعض الآلهة والإلهات ، وكان الملك يخرج من قصره وتتقدمه أربعة ألوية (لواء ابن أوى ، لواء الصقر ، لواء طيبة ، لواء أبو منجل) وحين يصل إلى مكان البناء يقوم مع كاهنه الإلهة سشات (إلهة العمارة وربة دور الكتب والوثائق والهة الكتابة وزوجها الإله تحوت) . وربما تأخذ الملكة دور هذه الكاهنة ، ويقومان بتحديد المساحة التي يبنى عليها المعبد ، حيث تثبت أربع قوائم في أركان هذه المساحة ثم يربط هذه القوائم حبل يمد بينها ويحفر الملك والعمال أساس المعبد بمعزق ويلقي الملك رمل الأساس في الأخدود ثم توضع في أركان الأساس الأربعة ودائع الأساس التي تتألف من لبنة أو أكثر من الذهب يصنعها ويضعها الملك بنفسه وقطع صغيرة من الأحجار الكريمة وأوان من الفخار والقاشاني والحجر ونماذج نحاسية لما يستخدم في المعبد من أدوات ولوحات منقوشة باسم الملك ، وصحاف لحم وخبز وفاكهة وأدوات فتح الفم (انظر شكري ١٩٨٦: ٢٥١) .

وكان الإله حور أحياناً هو الذي يرعى بناء المعبد بدلاً عن الإلهة سشات ويعبر هذا عن الطقس الديني الإلهي للبناء (شكل ٦٦) وكان الملك يضع أول حجر في الأساس مستعيناً بعتلة وكان هذا مصحوباً بشعائر وقراءة صيغ خاصة يتلوها الكهنة القراء وتقدم فيها أضحيات حيوانية .

أما الطقوس التي كانت تقام بعد بناء المعبد فكانت تشمل شعائر افتتاح المعبد وتكريسه ، حيث كان الملك يظهر المعبد بحرق البخور من حوله ثم يقوم بطرق باب المعبد (١٢) طريقة بدبوسه لشكريس الباب قبل الدخول ، ثم كان يبخر الداخل ويظهر الناووس الذي فيه تمثال الآلهة ويضيء قدس الأقداس بالمصباح أربع مرات ، وإذا كانت جدران المعبد مرسومة بالصور والنقوش فإنه يقوم بأهداء المعبد ونقوشه إلى الإله في طقس كان يسمى (إعطاء البيت لسيدته) حيث يرفع الملك يده اليمنى قليلاً ويمسك باليسرى العصا والدبوس .

وقد تكرر هذه الطقوس عند ترميم المعبد أو إضافة مباني جديدة له .



شكل (٦٦)

طقوس البناء وتظهر الإلهة سشات كإله لبناء المعابد.

٣- طقوس الزواج:

لم تصلنا طقوس ثابتة للزواج في مصر فقد كانت الأم تختطف لولدها وعند الموافقة تعقد طقوس الزواج في المعبد بحضور اقرباء الزوجين وكان والد العروس ، في الغالب ، هو الذي يجهزها بعدة الزواج .

وكان ولي أمر العروس هو الذي ينوب عن العروس في كتابة العقد وفي القرن السابع ق.م أباح المجتمع للعروس وللثيب بخاصة أن تحضر كتابة العقد بنفسها وكان عقد القران يشهده الشهود من القرية أو الحي وتسجل أسماءهم به . وورد من شهود عقد متواضع في مدينة طيبة رئيس اسطبل وكاتب وكاهن (انظر صالح ١٩٦١: ١٠٣) .

كان الزواج طقساً دينياً وكان كاهن الإله آمون هو الذي يشرف عليه وكان الزوج يقسم خلال العقد على تعهداته بأسماء اربابه واسم فرعونيه وينص كتابه على قيمة الصداق من اوزان الفضة ومكايل الفلال ، وهناك مبلغ مؤجل يدفعه في حالة الانفصال عن زوجته « وفي عقد متأخر من هذه العقود تعهد زوج أن يقدم لزوجته نصيباً من الخنطة كل صباح ، ومقداراً من الزيت كل شهر ، وراتباً لنفقاتها الفردية كل شهر ايضاً ، وراتباً مفروضاً لتكاليف زيتها كل عام ، كما تعهد أن يدفع لها تعويضاً إذا سرحها وتزوج سواها » (المرجع السابق ١٠٣-١٠٤) .

وكانت الديانة المصرية تحث علي الزواج وترعاه . وتقيم أهمية خاصة للأسرة ولعل في وصياء الحكماء لابنائهم الكثير من الحث على الزواج المبكر واقامة الاسرة الصالحة .

٤- طقوس الموت:

ناقشنا في الفصل الثالث عقائد الموت (الاسكاتولوجيا) وسناقش هنا طقوس الموت أي الفعاليات الدينية المرافقة لموت الإنسان حتى دفنه .

وقبل كل شيء لا بد من معرفة أن الموت كان حاجزاً رقيقاً يفصل عالماً واحداً عند المصريين ، لأن الموت لم يكن نهاية الحياة (كما عند العراقيين القدماء) بل استمراراً لها في عالم آخر لا يختلف في جوهره عن عالم الحياة .

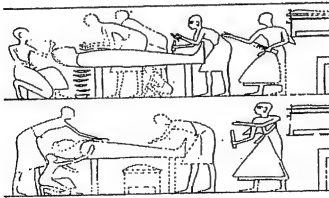
كان الانسان عندما يموت يحمله أهله أو اقرباؤه إلى المحنطين الذين يعرضون نماذج ثلاثة مصنوعة من الخشب تمثل الأنواع الثلاثة من التحنيط، وأعلى هذه الطرق التي تتبع طريقة تحنيط جثة اوزيريس والطريقة الثانية اقل تكلفة، أما الطريقة الثالثة فهي أقل ما يمكن عمله ولا تكلف إلا القليل من المال. فإذا ما اتفق الطرفان تسلم المحنطون الجثة، وبدأوا عملهم بإخراج المخ من الجمجمة بألة معدنية لها طرف ملتو، ثم يقومون بغسلها من الداخل بنبيب البليخ وسوائل ذات رائحة عطرية، ثم يلمسونها بمسحوق المرمرود أخرى ذات عطر طيب، وإذا ما انتهوا من أحشاء وعناصر رخوة يقومون بوضع الجثة بأكملها في ملح النطرون لمدة سبعة أيام، وإذا ما انتهت هذه المدة غسلوا الجثة غسلًا جيدًا ثم لفوها في قماش كتاني بعد أن يغمسوه في سائل لاصق (انظر ابوبكر، الموسوعة المصرية: ١٧٣).

إن ما يهمنا من عملية التحنيط هنا طقوسها الدينية التي تبدأ في أيامها الأولى بطقس الغسيل بماء النيل لإزالة الملح الزائد، وكان هذا الغسل غملاً طقسياً إلى أبعد مدى لأن المصري رأى فيه رمزاً لأسطورة خلق الشمس من ماء النيل وانحسار مياه الفيضان. ومن الصور الشائعة لتلك الطقسة منظرًا نراه في مقابر الدولة الحديثة أو توابيته، ويمثل المتوفي جالساً على جرة كبيرة، وهو يستحم في تيار من الماء يصب فوقه (انظر سبنر ١٩٨٧: ١٤٤).

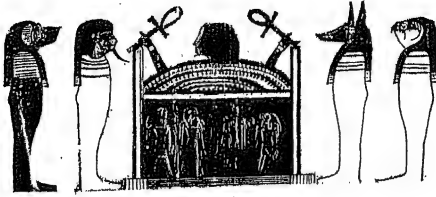
وتستمر الطقوس الدينية من خلال التعاويذ التي تقرأ في كل مرحلة من مراحل التحنيط حيث ذكرت برديتان بعض هذه التعاويذ مرفقة بالتعليمات التي توصي بإزالة اظافر اليدين والاصابع قبل لفها حيث يصاحب ذلك تعويذه خاصة لكي تستعيدهما المومياء بعد ذلك، ومسح الرأس بالزيت مسحاً ختامياً بعدد من اللفائف المشبعة بالزيت أو الراتنج وتتكفل التعاويذ التي تقال برد الحواس لها وهكذا بقية الاعضاء.. (انظر المرجع السابق، ١٤٥).

ويوضح الشكل (٦٧) مناظر مختلفة لعملية التحنيط من مقبرتي (تجوى) و (أموغبة). وكانت الأحشاء الداخلية تحفظ في الاواني الكانوبية وهي آنية مصنوعة من الحجر والخشب والفخار توضع فيها أحشاء المتوفي وكان كل منها على شكل من اشكال ابناء حورس الاربعة: أمست برأس إنسان، حابي برأس قرد، فيحسثوف برأس صقر، دواموتف برأس ابن أوى التي تحميها إلهات مرافقات على التوالي: إيزيس، نفتيس، سرقت، نيت، وقد تطرقنا إلى العلاقة اللاهوتية بين الآلهة والاعضاء وجهاً للعالم (شكل ٦٨).

وكان الإله (أنوبيس) إله المخططين، والإله (ابووات) الذي برأس ابن أوى من الوجوه المألوفة في الطقوس والعقائد الجنائزية إضافة للآلهة (أوزيريس، حتحور، مريت سجرت) .. الخ



شكل (٦٧) مناظر التحنيط من مقبرة، أمونمية وتجووى



شكل (٦٨)

الاواني الكانوبية على شكل ابناء حورس، والميت يستيقظ حاملاً رمزي الحياة الاربعة، من اليمين (فبحسنوف، دواموتوف، امست، حابي).

توضع الجثة المخططة بعدها في تابوت أو نعش يكون عادة مزيناً بصورة الآلهة التي ستعينه على الاستيقاظ بعد الموت واختلفت انواعها حسب مكانة الميت ومستواه الاقتصادي، وكانت تتخذ في الغالب شكل اوزيريس المسجى.

أما طقوس الدفن فكانت تجري وسط نوع من الرقص الديني الجنائزي شكل (٦٩) وقرع الدفوف وكان الكهنة يحملون التابوت وصندوق الاحشاء وقد تكدمت الزهور حول التابوت الذي يعبرون به النيل. والنسوة من اقارب الميت يندبن ويولولن، ويحمل تابوت آخر تماثيل الميت وتحمل بقية القوارب المتاع الجنائزي واهل المتوفي، كان يسبق قارب الجثة قارب آخر يضم عدداً من النسوة يولولون في اتجاه الجثة، ويقف في مقدمة القارب واحد من اهل المتوفي ويصيح بماسك الدفة بأن يتجه صوب الغرب إلى بلد الابار، ويضم القارب الثالث اقارب المتوفي من الذكور اما القارب الرابع ففيه اصدقاء وزملاء المتوفي يحملون عصيهم في أيديهم، وقد اتوا ليقدموا التكريم الاخير للراحل، وليضعوا في مقبرته هداياهم التي يحملها خدمهم أمامهم من باقات الزهور وقرابين الطعام وغيرها (انظر مهران ١٩٨٤ : ٤٣٠). وفي الشاطيء الغربي من النيل تبدأ طقوس التشييع الاخير، ويسير الرجال في المقدمة وتتبعهم النساء، وفي اثناء

سير الجنائز كان الكهنة يقومون بحرق البخور أمام المومياة ، وبترتيل التراتيل الحزينة على المتوفي وغالباً ما كان تتقدم طائفة من الراقصين الذين يحملون اسم (موو) حيث يقومون برقصة دينية للمتوفي بملاص خاصة مع ندابتين تمثلان ايزيس ونفتيس ممثلاً بمأساة اوزيريس (المرجع السابق) .

طقس فتح الفم والعينين والأذنين :

كان هذا الطقس يقام قرب القبر، أو في (البيت الذهبي) الذي هو مصنع النحاتين وكان الإله (خنوم) هو الذي يقوم بها ولذلك لقب بـ(سيد البيت الذهبي) أو الإله بتاح الخالق . أما كاهن هذا الطقس فاسمه (سم) الذي كان يرتدي جلد الفهد المميز له . وكان يقوم أولاً بتطهير تمثال الميت ويضعه على قاعدة من الرمل موجهاً وجهه نحو الجنوب ثم يقوم بطقوس فتح الفم والعينين والأذنين وذلك بلمس وجه الميت بألات مختلفة يردد فيها (أنا أفتح فمك لكي تتكلم وأفتح عينيك لكي ترى رع وأذنك لكي تسمع تبجيلك ، ثم تمشي على رجلك لكي تدفع عنك الأعداء) .



شكل (٦٩)

الرقص الديني الجنائزي

وريتبع ذلك بعض الطقوس لكي يستعيد الميت قدرته على تسلم الطعام ، الذي يقدم له يومياً في العالم الآخر ، ثم يقوم الكاهن بتبخير التمثال ثانية (انظر احمد ، الموسوعة المصرية ، ٣١٥) أن هذا الطقس في جوهره سحري يحاول التأثير على تمثال الميت لكي يحصل التأثير على جثة الميت .



وبعد هذا كان يذبح ثور أو بقرة وهو الكفارة أو ذبيحة النعش ويوزع لحم الذبيحة على المشيعين ، وهذا جزء من (قرايين الملك) التي كان يقدمها الملك سابقاً إلى الميت ثم أصبح يتولاها أقرباء المتوفي وخاصة ابنه الأكبر ويضاف لها الخبز والجمعة .

وأخر طقوس الموت هو طقس كسر الفخار الذي كان الغرض منها عدم عودة الموتى إلى بيت الأحياء ومضايقتهم ، وبعد أن تنتهى كل هذه المراسيم والشعائر يوضع التابوت في حجرة الدفن ، وتملأ البئر المؤدية إليها بالحصى والأتربة التي كانت قد تخلقت من تحتها ، وبعد ذلك يترك المتوفي ليذهب إلى حياته الأخرة التي سيحيها من جديد في العالم الآخر (انظر مهران ١٩٨٤ : ٤٣١) .

الطقوس الدورية (الأعياد)

تمثل الطقوس الدورية من حيث المعنى العميق لها مناسبات لاستذكار العود الأبدي لأيام الخليقة الأولى والزمن الأول الذي ظهر فيه الكون، الآلهة، الإنسان، الزمان، المكان والأشياء بعامه. والأعياد الدينية التي تأخذ طابع التكرار الأسبوعي أو الشهري أو الفصلي أو السنوي أو لسنوات معينة (كل ٣٠ سنة كما في العيد الثلاثيني المصري) هذه الأعياد لا تأخذ طابع الزمن التاريخي العادي التقليدي الذي نراه في الأيام والشهور الباقية بل هي زمن آخر استثنائي يبدو وكأنه جزء من الزمن البدئي أو الميثي... أي أننا نلمح تعارضاً بين الزمن التاريخي والزمن اللاتاريخي، أو بين الزمن الدنيوي والزمن الديني، وقد كان هذا الزمن الديني يعمل دائماً على إنعاش الزمن التاريخي (الدنيوي) المختصر. فهو تجديد للزمن أو إعادة توليده.

إن بنية الزمان الدورية هذه على صعيد كوني، بايولوجي، تاريخي، بشري... الخ هي ببساطة جوهر فكرة (العود الأبدي) التي تكشف عن الطولوجية غير ملوثة بالزمان والضرورة لأنها توقف هذا وهذه الضرورة. وقد كان الإنسان القديم بعمله هذا يمنح الزمان مسرى دائرياً يلغي عدم قابليته للرجوع... كل شيء يعود إلى بدايته في كل لحظة... وليس الماضي غير تصور سابق للمستقبل وما من حادثة إلا وهي قابلة للرجوع، وما من تغيير إلا وهو غير نهائي بمعنى ما، يمكننا القول أنه لا يحدث جديد في العالم، لأن كل شيء ما هو غير تكرار للنماذج البدئية نفسها (انظر الياد، ١٩٨٧: ١٥٩).

وقد أذهلنا كثرة وتنوع الطقوس الدورية أو الأعياد الدينية المصرية القديمة وهي جديرة بدراسات مثولوجية وفكرية معمقة لا بدراسات استعراضية سريعة. وحيرتنا طريقة تصنيف هذه الأعياد لكي نجد مدخلاً فكرياً عميقاً لها. وقد اهتدينا إلى تصنيف مقبول يتيح لنا جمع هذه الأعياد وفق ترتيبات زمنية دقيقة لكننا لن نتوقف كثيراً عند الأعياد المحلية لكل مدينة أو قرية أو إقليم وسنكتفي، على الأغلب، بدرس وتحليل الأعياد التي كانت سائدة في مصر كلها.

١- الأعياد الشهرية:

كانت الأعياد الشهرية في مصر القديمة أعياداً قمرية فقد ارتبطت بمراحل تحول القمر وغوه واختفائه. وكان العידان الشهران الرئيسان هما عيد ظهور الهلال وعيد اكتمال القمر.

ولكن القمر لم يلعب دوراً رئيسياً في الديانة المصرية التي كان طابعها الاعظم طابعاً شمسياً ونرجح إن سبب ذلك له علاقة بالجلود الماقبل تاريخية في مصر . . فقد جاءت الزراعة إلى مصر متأخرة ولم تتشعب العقائد المصرية الروحية بالإلهة الأم الزراعية ودورها في الأخصاب لأن الزراعة في مصر لم تكتشف محلياً بل انتقلت تقاليداً إلى مصر من الشام . ولذلك فإن الديانة القمرية النزعة المرتبطة بالزراعة لم يكن لها دور كبير .

لقد كانت الزراعة في مصر تظهر مع الانقلاب المعدني (الكالكوليتي) الذي حصل في الشرق الأدنى القديم والذي رتب معه ظهور العقائد الرجولية الشمسية ولذلك كان الايقاع الشمسي في الألف الخامس قبل الميلاد هو السائد ، وفي هذا الزمن تقريباً انتقلت الزراعة إلى مصر فبدلاً من إن تبتكر لها ايقاعاً قمرياً انشأوا من بيئتها تراقف مع نقلها الايقاع الشمسي الذي لاثم طبيعة مصر ومكانة الشمس في بيئتها ، وهكذا كان النيوليت والكالكوليت في مصر عملياً مرتبطين بالايقاع الشمسي وظهور العقائد الشمسية وكان ذلك كفيلاً بإزاحة القمر والنزعة القمرية في العبارة .

ولكن القمر اقتصر إلى حد ما على الوقت وتنظيم الزمن معبراً عنه بالإله تحوت رب العلم والمعرفة والسحر والحساب ، فقد كان القمر مصدر تنظيم الشهر ومعرفة أيامه من خلال تغيراته المستمرة من الهلال إلى نصف البدر إلى البدر المكتمل ثم الهلال ثم الاختفاء .

واتصل القمر أيضاً بالإله (خنسو) إله القمر وابن الإله آمون في ثالوث طيبة الذي كان معروفاً بالتجوال المستمر وهو إله الحساب الزمني .

وفي العصور الأخيرة من الدين المصري ارتبط القمر بالإله اوزيرس وذلك اعتماداً على دورته الشهرية التي تبدأ بالولادة ثم الاكتمال ثم الموت كونها تشبه دورة حياة اوزيرس .

إن عيد الهلال وعيد البدر يمثلان العيدين نصف الشهيدين للمصريين ولا تعرف تفاصيل كثيرة عن طقوسهما .

إن الاحتفالات القمرية ذات بعد ديني ، وكانت مرتبطة في وقت مبكر من الحياة المصرية الملك (الفرعون) فقد كان الفرعون المتوفي عندما يصعد إلى السماء يتصل بالقمر . . وهذا ما يوضحه النص التالي من نصوص الأهرام :

«التوأم الذي يعبر السماء هو (رع) و(تحت) اصطحبا الملك معكما . سوف يأكل مما تغذيان ، ويشرب مما تشربان ، ويعيش مما تعيشان ، وسوف يجلس على مقعدكما . ويكون قوياً بفضل ما يصنع قوتكما ، ويكون قوياً بفضل ما يصنع قوتكما ، وسوف يبحر على قاربكما » (لالويت ١٩٩٦ : ٢٠٦) .

وكان القمر يقوم الصيرورة الكونية دينياً ويصالح الانسان مع الموت ، أما الشمس فتكشف عن غط آخر من الوجود : لا تسهم في الصيرورة وهي في حركة دائمة لا تتغير ، وهيبتها دائماً هي . لكن القمر يسهم في الحياة (الصيرورة والتكاثر والتناقص) وفي الموت . إن ما يكشفه القمر للإنسان الديني لا يقتصر على اتصال الموت بالحياة اتصالاً لا انفصام له وحسب ، وإنما ايضاً ، وبصورة خاصة ، إن الموت ليس نهائياً ، وإنما تعقبه ولادة جديدة دائماً (انظر الياد ١٩٨٧ : ١٤٨) .

٢- الأعياد الفصلية:

١- أعياد الفصول الثلاثة:

كان المصريون يقسمون السنة الى (١٢) شهراً مقسمة إلى ثلاثة فصول لا نستطيع البت في بدايتها ونهايتها . ولكن بعض العلماء يعتقدون بأن هذه الفصول ، وأعيادها التي تكون في بدايتها تنتظم كما يلي :

١- عيد آخت Akhet وهو عيد فصل الفيضان الذي يبدأ في ١٩ تموز وينتهي في ١٥ تشرين الثاني ، وهو ما يقابل فصل الخريف تقريباً .

٢- عيد بيرت Peret وهو عيد فصل الزرع الذي يبدأ في ١٦ تشرين الثاني وينتهي في ١٥ آذار ، وهو ما يقابل فصل الشتاء تقريباً .

٣- عيد شمو Shemu وهو عيد فصل الحصاد الذي يبدأ في ١٦ آذار وينتهي في ١٣ تموز وهو ما يقابل فصل الصيف .

أما الايام الخمسة النسبية (من ١٤-١٩) تموز فقد كانت عيداً سنوياً للأيام الزائدة عن السنة المكونة من (٣٦٠) يوماً عند المصريين .

والظاهر أن الأعياد الفصلية كانت أعياداً زراعية ترتبط بالمحاصيل وبزرها ونموها وحصادها، ولذلك نرجح أن يكون الإله أوزيريس هو الراعي الأول لمثل هذه الأعياد والشعائر الزراعية لارتباطه بطقوس الزراعة والبدار .

ومن خلال الاستعراض السابق يتضح لنا أن كل فصل يتكون من أربعة أشهر وكل شهر من ٣٠ يوماً . وسيقسم الفلكيون كل شهر إلى ثلاث مناطق بروجية تتكون كل منها من عشرة أيام أي أن هناك (٣٦) منطقة بروجية وتكون كل ثلاثة منها (على نظام الشهر) برجاً مصريةً باسم معروف .

كان استقبال الفيضان أو الزرع أو الحصاد في بداية كل فصل من الفصول المصرية مدعاة للاحتفال بخير قادم ، فيضان النيل كان استهلالاً لسقي الأرض لدفن الحبوب في الأرض حيث تستذكر فيها طقوس دفن وموت أوزيريس على أنها بعث قادم للغير والزرع . أما الحصاد فقد كان مناسبة لجمع جهود السنة الزراعية وانتصاراً لقوى البعث والزراعة .

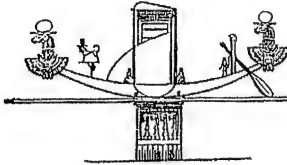
ب- الطواف:

كان الطواف بتمثال الإله الرئيسي المحفوظ في قدس الاقداس في معبده طقساً كهنوتياً موسمياً يجري في كل فصل على وجه التقريب . ويرى سونيرون أنه كان يجري بمعدل (٥-١٠) رحلات مخصصة لأحد الآلهة أو لآلهة آخرين من المكان نفسه ، والذي يتبدل مساره حسب الهدف من الطواف والمعبد المقرر للاستراحة الليلية .

كان هذا الطقس كهنوتياً بالدرجة الأولى يمارسه كهنة المعبد ، وكان يجري بعد أن تقام صلاة احتفالية بدل الصلاة النظامية يوضع خلالها تمثال الإله داخل هيكل صغير من الخشب في قارب يحمله الكهان على اكتفاهم ، مختبراً أزقة القرى وكان هذا القارب نموذجاً مصغراً للسفينة التي تتخرعاب نهر النيل في الاساطير ، تتزين مقدمته ومؤخرته برمز الوهي يكون غالباً لحورس الصقر وقرص الشمس وخونسو وقرص القمر . وتعلو هيكل الإله مظلة من الخشب الخفيف أو القماش المشع على أعمدة رفيعة من الخشب ، وفي مؤخرة القارب مجذاف طويل جانبي يقوم بمثابة دفة التوجيه وكانت صورة الإله تزين هيكل الخشب وترتفع في المقدمة بعض الرايات الإلهية المقدسة . (انظر سونيرون ١٩٩٤ : ١٢٠-١٢١) .

كان قارب الطواف يحمل أحياناً على أكتاف أكثر من ثلاثين كاهناً تحت إشراف كهنة كبار ، وكان لقب (حامل القارب) هو الذي يطلق على هؤلاء الكهنة الصغار . وكان شرف حمل القارب وابتغاء رضا الإله دافعاً أساسياً ليقوم الكهنة والرجال بالتناوب على حمله طيلة فترة الطواف الطويلة .

«كان الكاهن يمشي أمام القارب ، يحمل المبخرة بيده ينثر منها دخان البخور لطرده الجن والارواح الشريرة التي تحوم حول القارب ، كان الكهنة يسرون خلفه بمواكب طويلة بثيابهم النقية الطاهرة ، يرتلون بعض الاناشيد الوقعية .



ثاويوس وحامل على شكل سفينة، ومن أسفل قاعدة حجرية (من معبد أبيدوس)



قارب خنسو الصغير الذي يطرد الشياطين، ومن أمامه كاهن يحرق البخور (من نصب بفتريش).

شكل (٧٠) طقس الطواف

ينشط حولهم جميع المؤمنين والعاطلين عن العمل متأثرين وغوغاءيين، مطلقين صرخات الفرح، مع جوقات المغنين المقدسين» (سونيرون ١٩٩٤: ١٢٢).

وكان موكب الطواف هذا يقطع المدن والقرى مستريحاً في محطات استراحة صغيرة وفي محطات كبيرة هي عبارة عن معابد صغيرة لذلك الإله وفي الحالين كانت تجري عند الاستراحة طقوس معينة كالتبخير والتقدمات المتنوعة وقراءة التراتيل المقدسة وكانت تعطى النبوءات باستشارات مكتوبة .

وكان طقس الطواف يجري أحياناً كجزء من اعياد الآلهة (التي سنناقشها في فقرة قادمة) أو أثناء التتويج السنوي لحيوان مقدس ليرافق في اليوم الأول من السنة الاتحاد بين الإله ومثاله على الأرض . ويأخذ الطواف طابعاً جماهيرياً في الغالب حتى أن الناس كانت تحيي الإله وتلوح بأيديها فرحاً لمروره من أمامها . وكان طقس الطواف أحياناً طقساً سرياً محدوداً .

ومن الأمور التي كانت ترافق طقس الطواف، وخصوصاً في عهد الامبراطورية الجديدة، استشارة الإله وطلب نصائحه أو ما يعرف بـ(الوحي الإلهي) حيث يقوم بالكهان بدور الوسيط بين الإله ومن يستشيريه من الناس . وإذا كان الأمر يتعلق بالفصل بين خصمين أو تحديد خط سلوك المستقبل، وكان الإله (عبر الكهنة) يعطي أحكامه بنزاهة مطلقة دون أن يميز بين غني أو فقير ودون أن يأخذ بنظر الاعتبار ظروف المتظلمين .. كانت العدالة المطلقة قانونه .

وربما كان يجري ذلك وسط الهتاف والتهليل حين كان موكب القارب يشق حشود الجماهير المحتفلة فلا يتمكن عند ذاك الكهنة الوسطاء من تبليغ الوحي الإلهي ولذلك يعبر عنه بحركة حاملي مقدمة القارب فإن ثقل القارب وجعل حاملي القارب ينحنون بوضوح فإن ذلك يدل على أن الإله موافق، أو إن يتقدم الحمالون بالقارب إلى أمام، أما إذا تراجع حاملو مؤخرة القارب إلى الخلف فإن ذلك يعني النفي أو السلب . وهكذا كان الإله يعطي اجوابه عن طريق حركات معبرة يسلمها الحاملي قاربه .

وإذا اردنا الإشارة الواضحة لموضوع الوحي الإلهي فأننا نقول انه كان يعبر عنه في معابد تلك الآلهة، قبل أو بعد الطواف، من خلال اصوات الآلهة التي كانت تنطلق بهدوء ووقار وجلال تحيطه مشاعر الخوف والرهبة من غرف تفصلها عن الناس الذين يسألون الإله جدران أو قناطر ذات أبواب وتعلوها نوافذ مفتوحة يخرج منها الصوت

الذي ينفذه كهان مختبئون في هذه الغرف والذين تحوطوا لاية مفاجأة قد يرتكبها زائر ويفتح عليهم الباب فصنعوا مسالك للتخفي والتراجع . وكان هناك إجراء أكثر احترازا يقضي بأن تنصب التماثيل الجوفة للألهة بحيث تسمح بالاتصال بها صوتياً ويقوم كاهن مستتر خلفها أو بعيداً عنها بالكلام حيث يظهر الصوت وكأنه من هذه التماثيل .

وربما قدم الوحي الإلهي عن طريق الحلم ، أو النوم في المعبد وانتظار الحلم الذي سيبحث الإله للسائل وربما دخل الإله في جسم انسان أو طفل بطريق الرعب والخوف في حالة تشبه الجنون المقدس . وكان الاطفال الفقراء والمساكين اللاجئين في المعابد يستخدمون كوسطاء لنقل كلام الإله (انظر سونيرون ١٩٩٤ : ١٣٠-١٣١) .

وكانت المواكب احياناً تقام في النهر ، اذا كانت مسيرة الطواف تتضمن مدناً واقعة على نهر النيل ، وهنا يكون القارب حقيقياً محاطاً بقوارب الكهنة والرسامين والناس .

٣-الأعياد السنوية:

وهي الاعياد التي كان كل منها يقام مرة واحدة في العام في الوقت نفسه مثل الاعياد التالية :

١-عيد رأس السنة

٢-عيد نهاية السنة

٣-عيد أيام النسيء الخمسة

٤-عيد فيضان النيل

٥-عيد الحصاد

٦-عيد ظهور نجم الشعرى اليمانية (عيد ترقب الفيضان)

وكانت هذه الاعياد تعتمد على التقويم السنوي الثابت الذي يقسم ايام السنة إلى ٣٦٠ يوماً على مدى ١٢ شهراً بمعدل ٣٠ يوماً لكل شهر . أما الايام الخمسة فسميت ايام النسيء التي كان المصريون يحتفلون بها عيداً والغريب في الامر ان هذا التقسيم

السني والاحتفال بالايام الخمسة التي اعتبرت خارج السنة مازال اليوم يعمل به الصائبة المندائون في العراق فهم يسمون عيد النسيء بعيد البنتجة .

أما ريع اليوم الذي كان لا بد من اضافته لكل اربع سنوات فلم يعمل به المصريون إلا في نهاية الحكم الاغريقي لمصر . . وهو زمن متأخر جداً يقع من الناحية العملية خارج الحضارة المصرية القديمة .

واستعملت كلمة (رنبت) بمعنى السنة وتأتي غالباً عند الحديث عن السنة الجديدة أو بالتحديد (بداية أو مفتتح العام) وقد حلل الأستاذ علي فهمي خثيم هذه الكلمة ووجد إن هذه الكلمة نشأت أصلاً عن معنى (الطلع الجديد) أو (النبت الجديد) حين بدأ فصل الانبات وليس مجرد (السنة = العام ، الحول) ، ثم صار الشباب ، الطلع الجديد ، والخضر والفاكهة (النبات) وتجرد حتى صار يعني السنة أو بالتحديد السنة الجديدة بداية الإنبات (انظر خثيم ١٩٩٠ : ٦٥٧-٦٥٨) .

٤-أعياد الملوك:

تنوعت أعياد الفرعون في مصر فكان ينظر لها كأعياد دينية بسبب المعتقد المصري الذي يجعل من الملك إلهاً . وهي أعياد رسمية من الناحية الأخرى بسبب الطبيعة السياسية لها .

وكانت أعياد الملوك (الفراعنة) تتوزع على عدة مناسبات هي :

أ-عيد الميلاد : الذي يحتفل بمناسبة ميلاد الفرعون الالهي الذي كان الفرعون يعتبر فيه ابناً للإله رع منذ منتصف الدولة القديمة وكان قبل ذلك ملكاً وسيداً لقومه .

ب-عيد التتويج : الذي يحتفل به بمناسبة جلوس الفرعون على العرش وكانت تتلى فيه صلوات خاصة وتجري طقوس دينية متواردة وكان يظهر الفرعون على رأس مركب الاحتفال ويأتي بعده الكهنة الذي يحملون غنائيل الفراعنة العظام قبله مثل (مينتا) موحد القفطرين واول ملوك الدولة القديمة ، و(منتوحبت الأول) معيد الوحدة ورأس الدولة الوسطى ، و(أحمس) محرر البلاد ورئيس وحدتها ورأس الدولة الحديثة .

وهذا التقليد يدل على الوحدة السياسية والروحية لمصر عبر تاريخها الطويل وعلى ندرة الضمان السياسية بين الفراعنة وهو ما كانت تفتقده كل دول العالم القديم .

وكان جوهر هذا العيد مستنداً إلى تخليد ذكرى قيام وحدة القطرين وكان كاهنا (حور) و(ست) المقنعين يقودان الملك ليغسلاه ويطهراه ثم يقدماه لبقية الآلهة ويضعان على رأسه التاجين الأبيض والأحمر . ثم يتم الطواف المرتبط باتحاد القطرين حول الحائط الأبيض ثم يحتضن إله الدولة الملك الجديد بين ذراعيه ، ويخلد اسمه على أغصان الشجرة المقدسة (انظر مهراڤ ١٩٨٤ : ١١٣) .

ولكي يأخذ حفل التتويج بعداً دينياً عميقاً كانت تلمح به احتفالات الملك بأبيه الإله مين ، وهو أقدم اله مصري ويرمز للإخصاب والزراعة لكي يستبشر الناس خيراً زراعياً عند تتويج الملك . وكان موكب الملك المنتجه نحو معبد الإله مين يتكون من ولدي الملك اللذين يحملان مروحتين عن يساره ويمينه ، ويتقدم الموكب كاهنان يحملان المباخر يليهما الكاهن المرتل . وحين يصل الموكب إلى مقر الإله مين الذي يخرج من قُدس اقداسه ، ويتقدم للملاقاة الملك في المعبد موكب عظيم يتقدمه العجل الأبيض والمقدس عند مين ، ثم صف من الكهنة الذين يحملون الشارات الملكية والرموز الإلهية وصور ملوك الوجهين القبلي والبحري الاقدمين ، ويقف الملك على شرفة بها ساريتان عليهما لباس رأس الإله ، ثم يطلق الكهنة أربع أوزات إلى أركان السماء الأربعة لتنقل الأنبياء بأن حور بن اوزير وايزا قد وضعاً على رأسه التاجين ، الأبيض والأحمر ، وعندما يتم اعلان فرعون للآلهة ملكاً على أرض مصر ، يتقدم برفع قربانه إلى تمثال أسلافه ، ثم يقطع حزمة من سيقان القمح كأول ثمار للأرض وذلك بمنجل موسى بالذهب ، وتكرماً لأوزير أول ملك علم شعبه الزراعة ، ثم يدعو الملك بعد ذلك إلى قصره ليمارس سلطانه ويتقبل التهاني من رجال بلاطه (انظر مهراڤ ١٩٨٤ : ١١٥ عن إرمان ورائكه ١٩٥٣ : ٥٥-٥٧ وميخائيل ١٩٦٦ : ٨٣) .

ويتضح من خلال هذا العرض الجوهر المزدوج للدين المصري الشمسي والزراعي فقد مثل القسم الأول الجانب الشمسي بظهور الإلهين حورس وست وكان هذا الجانب يلمح للقوة السياسية . أما القسم الثاني فيمثل الجانب الزراعي الخصبي القديم الذي يمثله الإله مين ويظهر فيه الإلهان اوزير وايزيس وسيقان القمح والمنجل وهذا ما يمثل

البعد الزراعي الخصب وهو البعد الديني القديم ويجمع هذين الجانبين يمتلك الفرعون سلطته السياسية والدينية ويبدأ بحكم البلاد . وفي الخالين هناك استعادة للإيقاع الشمسي والإيقاع الزراعي لبدايات مصر .

جـ- العيد الثلاثيني (عيد سد-حب سد) وهو أهم الأعياد الملكية التي تقام بمناسبة تولي الفرعون الملكية قبل ثلاثين عاماً .

ولم يتم الالتزام الدقيق بعدد السنين الثلاثين للاحتفال بهذا العيد وهناك شواهد كثيرة في هذا المجال .

يبدأ هذا باعادة بناء مقصورات صغيرة في المعابد تحتوي على آلهة الاقاليم المصرية المصنوعة من الذهب والفضة والاحجار الكريمة وتكسى بالملابس الرقيقة وتمسح بالدهون وتسربق بقرابين جديدة وكان الملك يجلس على أحد عرشين يمثلان مصر العليا ومصر السفلى ثم يقوم الملك بعدو راقص أمام هذه المعبودات ويكرر كل رقصة اربع مرات ثم يعدو ليجلس على أحد عرشي البلاد المقامين فوق منصة عالية تنصب فوقها خيمة . وكان الملك يشرب ، قبل (العدو الراقص) شرباً معيناً من أنية على هيئة طبق ، يقدمها له قرد ابيض ، يذكر في النصوص القديمة باسم (الابيض العظيم) كما كان الناس يقومون بدفن تمثال الملك في الليلة السابقة على يوم الاحتفال (انظر ابوبكر ، الموسوعة المصرية : ٢١٠) .

هذه هي طقوس العيد الثلاثيني حتى اواخر الاسرة الخامسة ، ثم اضيفت لها طقوس اخرى حلت محلها أخيراً أهمها منح الإله حقوقاً واسعة ثم الاحتفال باطلاق عجل من حظيرته المقدسة ويرمز ذلك إلى زيادة الخصب في البلاد ثم اقامة عمود (جد) واطلاق اربعة سهام يوجه كل منها إلى احد اركان العالم .

ان الشكل القديم للعيد الثلاثيني يشير إلى جذور في غاية القدم ، واذا كان الباحثون قد وصفوها بالغموض ولم يصار إلى تفسيرها الدقيق فاننا نرى أن جذور هذه الطقوس ، تتصل بطقوس (الغصن الذهبي) الذي كان طقساً تمارسه الاقوام البدائية حيث كان الملك الجديد يقوم بكسر الغصن الذهبي ثم مصارعة وقتل الملك الكاهن القديم ليصبح بعدها ملكاً جديداً وقد كان الملك الجديد يقوم بانعاش قوى الطبيعة

المختصرة من جديد ومن هنا اعتقد الناس إن بإمكان الملوك تقديم ما يستطيعون بالصلاة والتضحية وإرسال المطر أو ضوء الشمس في الموسم المناسب وإن يساعدوا على نمو المحاصيل وما إلى ذلك (انظر فريزر ١٩٧١: ١٠٠).

وتستند فكرة العيد الثلاثيني إلى العصور البدائية الأولى، حين كان الناس يتمثلون في الحاكم قوة تهيمن على مظاهر الطبيعة وترتبط بها بحيث يتحتم عليهم التخلص من الحاكم بعد مرور ٣٠ عاماً على حكمه بقتله، وحتى لا تتأثر مظاهر الطبيعة بشيخوخته وضعفه، فتقل المحاصيل وتناج الماشية. فكانوا يسارعون بقتله وإحلال شاب قوي صحيح الجسم خلو من مظاهر الضعف في مكانه (أوبكر، الموسوعة المصرية: ٢١٠).

وتتطابق جوهر فكرة الغصن الذهبي مع فكرة العيد الثلاثيني المصري ويدل على ذلك إن الناس يقومون بدفن تمثال للملك في الليلة السابقة على الاحتفال وهو نوع من القتل الرمزي للملك القديم وظهور ملك جديد خلال الاحتفال. ونود إن نشير إلى أن فكرة الغصن الذهبي أي تزعم الملك المطلق وعدم مغادرة عرشه إلا بالقتل.. كان تقليداً من تقاليد الغابة حيث كان مجتمع القردة محكوماً من قرد زعيم يحتكر لنفسه كل أنثى مجتمعه ولا يزحزحه عن هذا المنصب إلا قرد جديد يقوم بقتله ويحتكر الأنثى له. ويبدو إن راسب هذه العادات التي اكتسبها الإنسان المنحدر من الغابة ظلت معه في احتكار الحكم، بل وقد يكون القرد الذي يقدم الشراب للملك (الابيض العظيم) في الاحتفال الثلاثيني هو أحد رموزه المترسبة في ذاكرة الإنسان المصري القديم.

وفي جميع الاحوال كانت اعياد الملوك تحمل ايقاعها الكوني ومعنى فكرة العود الابدي ليس الى بدايات التكوين بعامة، بل إلى بدايات تكوين مصر نفسها ونشوء تقاليد الروحية والسياسية. وهذا ما يجعلها تحمل ايقاع العود الابدي ايضا الذي هو جوهر الطقوس الدورية والاعیاد الاحتفالية القديمة.

٥- أعياد الآلهة:

كانت الاعياد الدينية للآلهة تتصل مباشرة بتقديس إله معين وتكريس معبده ، ولم تكن الآلهة العظمى لها مثل هذه الاعياد فقط ، بل حظيت بعض الآلهة الثانوية بها على مقدار شعبيتها وانتشار عقائدها بين الناس وكانت هذه الاعياد تستغرق عدة أيام قد تصل الى حوالي الشهر كما في عيد الإله آمون (أوبت) في الاسرة العشرين الذين أصبح لمدة (٢٧) يوماً .

وكانت الاعياد في مدينة هابو تنفصل عن بعضها أحياناً بمدة زمنية لا تتجاوز الثلاثة أو اربعة أيام . . وهكذا .

وقد ترسخت في الأذهان أن هذه الاعياد قديمة جداً أنشأها (رع) بنفسه منذ الأزل ، وكانت هناك اعياد محلية لكل مدينة تتضمن عيداً رئيسياً لإله المدينة يذكر بانتصاره على أعدائه ويحكى قصته أي اسطوره على المستوى الطقسي أو التمثيلي العقوي .

وليس بامكاننا الآن تقديم عرض مفصل لكل الاعياد التي كانت تقام للآلهة المحلية منها أو المصرية لضيق المجال ولكننا سنكتفي بالمرور سريعاً على بعضها وشرح العيد الأكبر في الدولة الحديثة الذي كان مخصصاً للإله آمون والذي كان يسمى عيد (أوبت) .

كان عيد الإلهة حتحور في دندرة يستمر لمدة (١٥) يوماً تقضي خلاله الإلهة أيامها عند زوجها الإله حور في أدفو .

وكان عيد الإلهة (باستت) ، كما يقول هيرودوت ، عيداً جماهيرياً كبيراً يحتفل به حوالي ٧٠٠٠٠ رجل وامرأة يشربون ويضحكون ويتمتعون كما يريدون (انظر أحمد ، الموسوعة المصرية : ٣١٤) .

ومن الأعياد الجزئية الخاصة بالآلهة عيد الإله آمون حيث يزور فيه هذا الإله وادي الضفة الغربية الذي يقع أمام الأقصر حيث جبانات الموتى الكبيرة التي يجتمع عندها في هذا العيد أقارب الموتى مقدمين لهم القرابين والصلوات . وقد بدأ هذا العيد منذ الاسرة (١١) ، وأصبح في الدولة الحديثة من أهم الاعياد الجزئية (الرجع السابق : ٣١٥) .

أ- الأعياد الأوزيرية في أبيدوس:

ولا شك أن أعظم الاحتفالات والأعياد القديمة كانت أعياد أبيدوس الخاصة بتجسيد أسطورة الإله أوزيريس التي كانت تنحو منحى درامياً وهناك من يرى أن هذه الأعياد الأوزيرية كانت النواة التي خرج منها المسرح في العالم القديم وأن أعياد ديونيزيوس اليونانية التي خرج منها المسرح اليوناني كانت امتداداً لأعياد أوزيريس .

ويعتقد أن منشأ هذه الأعياد في مدينة أبيدوس (أبجو) كان مرتبطاً بإله الغربيين أو إله الموتى (ختني أمنتي) ، وقد كانت مدينة مقدسة بسبب ارتباطها بعقائد ما بعد الموت وتطور الأمر عندما ارتبط الإله أوزيريس بالإله (ختني أمنتي) وحلّ محله في العبادة ، وازداد الأمر تعقيداً عندما اعتقدوا أن مقبرة الملك (حر) من الأسرة الأولى هي مقبرة زوزيريس . وهكذا رأوا أن روح أوزيريس تعيش جميلة غناء بأرض بكر على شاطئ النيل قرب أبيدوس ، ثم سرعان ما تضحمت قداسة أبيدوس بمرور الأجيال ، حتى اعتبرت داراً للحج والزيارة ، ربما منذ أيام الدولة القديمة (انظر مهران ، ١٩٨٤ : ٤٣٢) .

وتحولت أبيدوس إلى أعظم مقبرة مصرية تقريباً من الإله أزوزيريس وأصبح الحج الديني المصري القديم موجهاً نحو هذه المدينة إضافة إلى الاحتفالات السنوية التي يمثل فيها الكهنة مقتل أوزيريس .

كان أوزيريس ، أولاً ، قبل أن يذهب إلى مدينة أبيدوس في مدينة (ددو) وكان هو حصراً إلهاً للمياه والحبوب والبذور والزراعة بشكل عام . وكان يرمز له هناك في مدينته الأولى (ددو) بالعمود الثقيل الوزن الذي يسموه (دد) ، وقمته العليا مقسمة إلى تيجان تظهر منها تنوءات توحي بأنها سيقان النباتات ، وحزم الأعشاب المرصوصة ، ولكنه عندما تغلب في عصر الأسرات الأولى على إله الموتى الأبيدوسي ، صار يرمز إليه بمومياء محنطة تمسك بالصولجات وعصا الحكم . وأما الـ (دد) رمزه الأصلي فظلت له قيمته الأصلية في الكتابة المصرية ، وفي الفكر المصري ، إذ صار يرمز إلى استمرار البقاء ، وأيضاً المتعة والبهاء الملكي (انظر ذريل ١٩٧٣ : ٤٧-٤٨) .

وهكذا عبرت الأعياد الأوزيرية عن قضية مزوجة هي (الحياة ، الموت) وصارت تحمل هذا الجدل المخصب ، وكان ذلك أحد أسباب استمرارها . وتحولت هذه الأعياد

إلى (طقوس أسرار) أيضاً لأنها كانت تحمل في أعماقها أسرار الإنبات والإخصاب إذ سيمود الإله إلى الحياة مثل البذرة المدفونة في الأرض حين تبذر في الخريف لتنت مع حلول الربيع .

وكان الكهنة في المعابد ، وفي معبد أبيدوس تحديداً ، يقومون بعرض تمثيلي إيمائي ويكررون أسرار موت وبعث أوزيريس ، وخلالها يرتدون الأقنعة ، ويقومون بأدوار الآلهة ، وكان في وسع الشعب المحتشد على شواطئ النهر وفوق التلال أن يرى من على بعد عرض هذه الأسرار . وتذكر هذه المسرحيات البدائية ، بطبيعة الحال ، بما كان يصير مثلها في وادي الرافدين ومقتل تموز (دموزي) وبعثه ، بطريقة متشابهة تقريباً . أما الجانب الجنائزي من الأعياد الأبيدوسية فكان يتجسد في زيارات الطواف الجنائزية لتوابيت الموتى ، وفي الألواح التذكارية التي يضعها أهل المتوفي هناك إن لم يدفن الميت في أبيدوس بعد أن يزورها تابوت الميت .

ب-عيد أويت (أمون)

كان هذا العيد أعظم أعياد الدولة الحديثة وكان يجري في شهر (بابه) الذي أخذ اسمه منه . وهناك أكثر من إشارة للأيام التي يستغرقها والتي تتراوح من (٢٧،٢٤،١١،١) يوماً حسب روايات مختلفة في أزمان مختلفة أيضاً ، وربما يكون قد بدأ بيوم واحد وانتهى إلى ما يقرب الشهر . وكان جوهر هذا الاحتفال هو طقس (الطواف) الذي كان طقساً موسمياً إلى حد ما . ويبدو أنه كان كذلك في بداية الأمر حتى أخذ (طقس طواف الإله أمون) طابع العيد والاحتفال العظيم .

كان العيد يبدأ من معبد أمون في الكرنك حيث يتم إخراج قارب أمون من قدس أقداس المعبد والخروج به عند باب المعبد حيث يقدم الملك تقدمته للإله الذي يحمل قاربه ما يقرب من الثلاثين كاهناً . وهناك قوارب أخرى محملة بالقرايين .

ثم يبدأ موكب القوارب الذي يتقدمه جندي ينفخ في النفير ثم قارب الإله أمون ثم الملك والملكة ثم قوارب القرايين وتصحب الموكب جوقات الغناء والطبول .

وعندما يصل الموكب إلى النيل تُنزل القوارب وتوضع في الماء ويبدأ الموكب من جديد يسري في النيل ويقوم البعض بجر المراكب ضد التيار خدمة للإله في

عيده . اما الملك والملكة فيأخذان مكانهما وسط القوارب المختلفة . وكان الناس المحتفلين على شاطئ النيل يهللون فرحاً ويحيون موكب المراكب ويصرخون ويقفزون ويضربون الصلاصل ويرتلون أنشودة قديمة ترددها جماعة من الغنيات والكهنة .

وحين يصل الموكب إلى الأقصر يتجهون إلى المعبد ويعاد حمل القوارب في موكب راجل ويضاف له مركبا الآلهة موت وخونسو (زوجة وابن الإله آمون) ليتشكل ثالث الإله آمون وهو ثالث مدينة طيبة . ووسط هذا الجو الاحتفالي ترقص مجاميع من النساء اللاتي يلبسن ملابس شفافة بحركات خليعة وجذابة وفي معبد الأقصر يدخل الملك إلى غرفة قدس الأقداس حيث يكون مركب آمون ويقدم له القربان بطقوسية ومراسيم خشوع بينما تنتظر حاشيته وكهنته على باب قدس الأقداس .

ويبدو أن البقاء في الأقصر لعدة أيام كان يعني زواج الإله آمون من موت أو إعادة إحياء ذكرى زواجه ، وكان ذلك يعني بطبيعة الحال زواج الملك والملكة والاحتفال بذكراه .

وفي طريق العودة إلى الكرنك كانت الاحتفالات تتم بالطريقة نفسها وكان الناس يهللون على الضفاف للملك الذي سرى بآمون على المياه ، وكان الاحتفال يختتم عند العودة إلى الكرنك بتقديم القرابين العظيمة في معبد آمون هناك .

وهناك أعياد آلهة أخرى مثل الإله (مين) إله الإخصاب .

الطقوس السرية:

يسمى سيرج سونيرون حقول العلوم الكهنوتية بـ(مجالات العلم المقدس) ويرى أن تخصصات الكهنة تبدو مستقلة ، وهي كما يذكرها الكاتب كليمنت الإسكندري حين يصف موكب طواف الإله أوزيريس في العصر الهليني تشمل العلوم الفلكية والجغرافية والهندسية وعلوم الحيوان والعبادة واللاهوت والطقوس والتاريخ والعمارة والطب . . الخ .

لكن المجال السري أو الخفي للعلوم المقدسة كان يتجسد في مجموعة من العلوم ذات الطابع الطقسي الذي كان مقتصرأ على نخبة قليلة من العارفين أو الكهنة . وكانت

الطبيعة السرية لهذه العلوم متأنية من ممارستها النخبوية من جهة ومن سرية تعاليمها وحظرها في أغلب الاحيان من جهة اخرى .

كأنت هذه الطقوس تنتعش في بعض العصور التي تزداد فيها نزعات الخلاص ويزداد معها عجز الإنسان وتشبهه بالآلهة والدين المعلن فقد كان يلجأ الى الطقوس السرية التي يكتنفها الغموض والجازبية الخفية .

ولا شك أن الطابع العام لهذه الطقوس كان مرتبطاً بالسحر الذي كان يعني ضمناً اللجوء إلى القوى الشيطانية والإلهية مباشرة . وقد أعطت الطقوس السرية المسحة الأقوى للفترات الأخيرة من الدين المصري بل وصار الدين المصري كله سحراً بعد أن شاعت الديانة المسيحية وأصبح ينظر إلى نظامه الروحي كنظام باطني وسري للمسيحية نفسها وهذا أمر متوقع لأن الأنظمة الدينية المنحدرة أو الهامشية كانت دائماً بمثابة الأسرار والسحر بالنسبة للنظام الديني الشائع والمعروف .

١- طقوس التنشئة (طقوس تلقين الأسرار) Initiation Rituals

تعتبر مصر المهد الأول الذي خرجت منه طقوس تلقين الأسرار أو طقوس التنشئة التي هي عبارة عن طقوس غامضة كان الغرض منها تهيئة المرشحين للكهانة لهذا المنصب وقد اُثرت مصر على اليونان في هذا المجال ، ويبدو أن طقوس التنشئة كانت تجري لنوع معين من الكهان السريين الذين كان جلهم من السحرة والعرافين والمنجمين .

وكان الأساس في طقوس التنشئة أن يتعرض هؤلاء المرشحون إلى مجموعة من الاختبارات القاسية التي تتضمن نمطاً خاصاً من التعاليم والأسرار . وكان المرشح خلال فترة التكريس يقضي وقته في كهف أو نفق تحت الأرض على عدة مراحل حيث يدخل إلى هذا النفق أو البئر الذي له بمر وهو يحمل مشعلأ بيده ويصادف بوابة موصدة ثم مخلوقات مزيفة وتعرض عليه الفرصة الأخيرة للتراجع للعودة ، ثم يجتاز خط النار ويسبح في جدول تحت الأرض فيصل إلى بوابة أخرى تنفتح له وتنبعث منها ريح عاتية تطفئ المشعل الذي في يده ثم يرمى في حفرة وعندما يصل مرحلة الارهاق تفتح بوابة من العاج ويجد نفسه في معبد الإلهة إيزيس الفخم حيث يكون

في استقباله الرهبان ثم يقوم بعد ذلك بالصوم وتلقي الدروس . وفي تلك المرحلة يصبح المرشح مؤهلاً لتسليم الدرجة الكهنوتية (انظر دارول ١٩٩٤: ١١٩-١٢٠) .

وكانت هذه الشعائر تختلف من زمن لآخر ومن درجة لأخرى لكن مبدأها العام يظل واحداً ، وقد قدمت لنا إشنادي لوبكز عرضاً موسعاً لطقوس التنشئة المصرية المسماة (هيرباك Her-pak) والتي تعني حرفياً حبة الصوص أو حمصة الكتكوت - Chick pea وهو الاسم الذي يطلق على الصبي الذي يبحث عن طريقه حتى يصبح اسمه (وجه حور) وهو الوجه المفلطح الذي تبدو عليه طيور حورس حيث يكون الطريق مهدياً للذهاب إلى المعبد ومن هذه المرحلة تبدأ خطوات التنشئة والتعليم السري .

وكانت هذه الطقوس تجري بين السلالتين الثانية عشرة والعشرين في معبد الكرنك (انظر Lubiez 1967) .

وهناك نوع آخر من هذه الطقوس السرية التي كانت تجري لكهنة طبعة الكبار من أجل تكريسهم في مناصب كهنوتية خاصة يتمتع الكاهن في نهايتها بالقدرة والصلاحيات المطلقة للإطلاع على جميع الكتب المقدسة المكتوبة بالهيريوغليفية وأن تكون له الصلاحية في انتخاب الملك (في حالة الانتخاب) .

وكانت طقوس تلقين الأسرار في طبعة تجري على سبع مراحل تسبقها مرحلة تمهيدية ينال المرشح فيها سبع درجات كهنوتية سرية بعد أن يمر بطقوس وشعائر في غاية القسوة والتعقيد والغموض لكل درجة منها اسم معين وكلمة سر محددة وإشارة تعارف خاصة واسم لمكان محدد يدخل فيه المرشح ويتعرض فيه لأمتحان وتحديات خاصة ويرتدي فيها لباساً خاصاً ويقوم أثناءها بواجب معين ويتلقى نطقاً معيناً من العلوم المقدسة . وفيما يلي خلاصة لطقوس تلقين الأسرار التي كانت تجري في طبعة منقولة عن نصوص هيلنستية عرضها كتاب أركون دارول (انظر دارول ١٩٩٤: ١٢٥-١٣٠) .

§المرحلة التمهيدية: يقدم الملك بنفسه الكاهن المرشح إلى كهنة المعبد ، ويقوم الكهنة بإرساله إلى أون أو منف للتدريب قبل إرساله إلى طبعة حيث يتم ختانه ويتبع عنه اللحم والسّمك والخمر (وهو نوع من الصيام) .

وفي طيبة يدخله الكهنة في كهف ويطلبون منه كتابة انطباعاته ثم يقودونه عبر ممر محمولاً على أعمدة تحوت (هرمس) حيث يقوم بتعلم ما كتب عليها ثم يأتي الكاهن الذي رشحه واسمه (مينياس) حاملاً سوطاً لإخضاعه ثم تربط عيناه وتشد يده وتبدأ شعائر دخول الأبواب كما يلي :

١-الدرجة الأولى (القبليية Protophorus) حيث يدخل المرشح الباب الأولى وتكون كلمة السر آمون أي الخفي ، أما العلم الذي يتلقاه فهو الطب ، وتكون إشارة التعارف عن طريق المصافحة ، ويرتدي المرشح ثوباً هرمياً خلف عنقه ياقه اسمه زايولون . وتقرأ عليه قوانين (كراتاربيوا) وعليه أن يوافق عليها .

ويتعرض المرشح للرياح والامطار والرعود والبروق . ثم يقسم تحت حد السيف امام زعيمه بالولاء المطلق . ثم يوضع بين عمودين تحملان سلماً مؤلفاً من سبعة مدرجات خلفها ثمانية أبواب من مختلف المعادن تتدرج في نقاوتها وترمز إلى الروح الهائمة . ثم يوكل بمهمة حراسه الباب .

٢-الدرجة الثانية (الجلد الجديد Neocoris) حيث يدخل المرشح البوابة الثانية بكلمة السر هيف أي الأفعى ، أما العلم الذي يتلقاه فهو الهندسة والعمارة ، وتكون إشارة التعارف عن طريق تقاطع الذراعين على الصدر . ويستمر زعيم الطائفة بتلقيه الدروس .

ويتعرض المرشح للمياه بعد أن ترمى عليه افعى ثم يدخل غرفة مليئة بالأفاعي ويقاد إلى عمودين شاهقين بينهما حيوان خرافي هو الخرفين (نصفه نسر ونصفه أسد) يدفع امام عجلة ذات أربع اشحة تمثل الفصول الأربعة .

٣-الدرجة الثالثة (حامل السواد Melanophotis) وهي درجة الدخول إلى عالم الموت حيث يدخل المرشح إلى غرفة مملوءة بنماذج من التوابيت والجثث المنحطة والمشارح وأدوات التحنيط ، ويتلقى هنا علوم تزويق التوابيت والنقوش الهيروغليفية وتكون إشارة التعارف عن طريق المعانقة ، والملابس السوداء هي السائدة .

وحين يدخل الغرفة يسأل المرشح إن كانت له صلة باغتتيال سيده وعند إجابته بالنفي يهاجمه شخصان من حاملي الجثث ويقودانه إلى قاعة فيها أعضاء هذه الدرجة وهم يرتدون الاسود .

ويسأله الملك إن يرفض هذا الامتحان ويعرض عليه التاج الذهبي لكن المرشح يرفض ذلك ويدوس على التاج ، فيأمر الملك أتباعه بضربه فيهبون بالفأس حتى يصل إلى رأسه دون إن يمزقه ، ثم يطرح أرضاً ويلف باللفافات فيبكي ، ثم يقاد إلى بوابة (ملجأ الأرواح) التي تفتح فينطلق منها البرق الذي يصعق الرجل الميت ظاهرياً ثم يوضع في القارب مع الحكماء الذين يلقون عليه أسئلة ، يبقى بعدها في العالم الأسفل وترفع عنه اللفافات .

وتستمر أيام الغضب الإلهي هذه (في هذه الدرجة) لمدة سنة ونصف .

4-الدرجة الرابعة(حامل الإيمان Chrestophoris) : وهي درجة الدخول بقوة في معركة الجحيم حيث يلبس المرشح سيفاً ودرعاً وتكون كلمة السر (يوا) أما العلوم التي يتعلمها فهي الحكمة واللون السائد هو الأزرق .

ويتعرض فيها المرشح لثلاثة أنواع من الأجواء الأولى دخوله مسلحاً عبر عمرات مظلمة يلاقي فيها شخصيات مخيفة المظهر حاملاً المشاعل والأفاعي ويدافع عن نفسه لكنه يؤخذ كسجين وتربط عيناه بعصابة وعنقه بحبل ، ويسحب إلى الجو الثاني ،حيث قاعة جميلة فخمة مزوقة ، فيها الملك وكبار القوم حاضرون وهم يرتدون اللون الأزرق ، ويهنيء الخطيب العضو الجديد ويعطى شراباً اسمه سايكي عبارة عن عسل ولبن وماء ونبيد وثريد وربما شراب مخدر ويلبس المرشح جزمة انوبيس ودرع ايزيس ورداء وخوذة اوركس ،يعطى سيفاً ويطلب منه قطع اول شخص يقابله في الكهف القادم والعودة إلى الملك .

وئثل الكهف الجو الثالث حيث يشاهد امرأة جميلة يقطع رأسها وهي زوجة ثعبان الظلام تيفون .

ثم يرتدي الملابس ويدرج اسمه في كتاب الحكماء وينجح وسام ايزيس .

5-الدرجة الخامسة (بالاهتي Balahate)حيث كلمة السر هي كيمياء والعلم الذي يتعلمه هو الكيمياء ويشاهد المرشح مسرحية يكون فيها هو المشاهد الوحيد ، ومرشحو الدرجة الخامسة يظهرون وكأنهم يبحثون عن شيء . وحين يظهر تيفون ثعبان الظلام يصصره بسيفه ، وهنا يُعلم المرشح أن تيفون الذي يمثل النار ، برغم رهبت ، لكنه مفيد ولا يستغنى عنه .

٦-الدرجة السادسة : حيث كلمة السرهى إيبيس والعلم الذي يتعلمه المرشح هو علم الفلك حيث يقاد المرشح مقيداً إلى بوابة الموت وتعرض عليه جثة ملفاة في الماء ويحذر من نفس المصير إذا ما خرق قسمه ويعطى دروساً في الفلك ثم تتم قيادته مرة أخرى إلى بوابة الآلهة حيث يرى صور الآلهة وتروى له سيرتهم وفي هذه الأثناء تعرض رقصة الكهنة التي تمثل طريق الأجساد السماوية ويشاهد قائمة بأسماء أعضاء هذه الطائفة السرية .

٧-الدرجة السابعة (درجة الأنبياء Porpheta) حيث يطلق على العضو اسم (سافيناث بانكاهاث Saphenath Panchath) أي (الذي يعرف كل الأسرار) وكلمة السرهى أدون . وتكشف للعضو جميع الأسرار بعد موافقة الملك وأعضاء الدرجة العليا . ويرتدي العضو لباساً فضفاضاً مقلماً بالأبيض ، أما إشارة التعارف فتكون في إخفاء ذراعيه وهي مكتوفة داخل الأكمام عريضة الرداء .

ويخرج العضو سراً من المدينة إلى دور مشيدة مربعة محاطة بأعمدة يوضع بجانبها على التناوب درع وتابوت . وتحكي غرف تلك الدور قصة الإنسان وتسمى (مانيراس) ، ويشرب شرباً خاصاً ويقال له بأن جميع المحاكمات انتهت الآن . ويستلم العضو صليباً له دلالة غريبة ويطلب ارتداؤه دائماً .

ولا يخفى على القارئ المؤثرات الأغريقية والمسيحية واليهودية بل وطريقة المحافل الماسونية على طقوس تلقين الأسرار المصرية . ولذلك نضع علامة استفهام كبيرة أمامها رغم اعتقادنا الصارم بأن جوهر هذه الطقوس كان يقام في مصر القديمة ولكن بعض التفاصيل حملت هذه المؤثرات اللاحقة والتي سببتها عمليات النقل بين اللغات والأديان .

وإنه ما يؤكد وجود طقوس التنشئة وتلقين الأسرار بشكل واسع في بعض النصوص واللوحات المرسومة ، وتنعكس في أجواء هذه الطقوس ، كما لاحظنا عوالم الموت المصرية والطقوس الجنائزية لما بعد الموت .

٢- السحر:

لا يضع سوثيرون، اعتماداً على الكهنة المصريين، السحر في عداد العلوم المقدسة أو الكهنوتية، فقد كان الساحر كائناً خطراً. ولكن السحر بسبب سرية وباطنيته ومنعه من التداول الرسمي كان مثيراً للفضول بل والاعجاب وكان يستقطب مع مرور الزمن، الناس لصالحه حتى إذا ما جاء الغزو الفارسي عام ٥٢٥ ق.م ولم تعد مصر حرة سياسياً انتشر السحر بين الناس وكأنه البديل الرئيسي عن الديانة المصرية وكانت عبادة الحيوانات المقدسة الجو المناسب الذي ظهر فيه السحر الشعبي والشعوذات الكبرى.

ولكن السحر كان ممارسة قديمة برمت خيوطها داخل نسيج الدين المصري وبإمكاننا أن نلمح ذلك أولاً في أساطير الآلهة حيث استطاعت إيزيس التسلط على رع بعد أن عرفت اسمه الخفي وكان ذلك نوعاً من السحر الإلهي. وكان الإله (تحوت) هو الإله الذي علم العلوم المقدسة والسرية ومنها السحر. ويجب أن لا ننسى محاولة إيزيس لإعادة الحياة إلى أوزيريس عن طريق السحر.

أما الإله (ست) فقد كان رمزاً للسحر الأسود ونظر إليه كناشر للأوبئة وكان للإلهتين باستت وسخمت بعض القوى السحرية.

يستند السحر إلى فكرة أساسية واحدة هي امتلاك الساحر قوة يؤثر فيها على الطبيعة والناس والأشياء، وكان الساحر يعبر عن هذه القوة بالكلمة (حقو، هيكاو Hekau) التي تعني كلمات القوة. وكان الساحر يوصف بأنه (قوي اللسان) مثل إيزيس وينطق بكلمات القوة التي يعرفها بتهج صحيح ولا يتلعثم في كلامه.

ويرى والس بدج إن السحر المصري كان على نوعين: الأول لغايات مشروعة يهدف إلى إيصال الفوائد للأحياء والأموات، والثاني يستخدم للتأمر وتنفيذ الحظوظ الدينية ويهدف إلى إحلال الكوارث على من يوجه ضدهم ويسمى السحر الأسود. ونجد في الكتب الدينية كيف استخدم السحر كأداة للدين، ونجده في بعض الأحيان جنباً إلى جنب مع أكثر المفاهيم روحية (Budge 1981:10).

ولعل التعاويذ من أكثر مظاهر السحر المصري ظهوراً في تراث مصر القديمة وقد صنعها المصريون من الأقمشة والجلود والأخشاب ودنوا عليه نص التعويذة لحماية جسم

الانسان الحي أو الميت من التأثيرات المؤذية ومن هجوم الأعداء المرئيين وغير المرئيين وكانت تسمى بالمصرية هيكاو أي كلمات القوة كما ذكرنا . وكانت على أنواع كثيرة يذكر لنا والس بدج بعضاً منها وهي :

١-تعويذة القلب : وكانت على شكل القلب ويكتب عليه النص التالي :

« ليكن قلبي معي في بيت القلوب

ليكن صدري معي في بيت القلوب

ليكن قلبي معي ويبقى معي وإلا فأنتي لن أكل من

خبز أوزر في الجانب الشرقي من بحيرة الزهور

ولن اركب القارب الذي يحملني في النيل صاعداً أو نازلاً

ليكن فمي معي وأن يعطى لي لكي اتكلم

وأن تعطى ساقاي لأسير بها ، ويدي لأهزم أعدائي

لتنتفتح ابواب السماء لي وليقم (سب) أمير الآلهة

بفتح فمي بالتهليل ، وليفتح عيني الموتقتين .

ليقم (سب) بفتح ساقَي المعقودتين .

ليقم(أنبو) بتقوية أنخازي ليعينني على الوقوف

ولتقم الإلهة (سخت) بإعانتني على الوقوف لأرتفع إلى السماء

وكل ما أمرت به في معبد (كا-بتاح) أن يكون

سأدرك بقلبي ، وسأتمكن من السيطرة عليه

وعلى يديّ وساقَيّ

وسأفعل كل ما أمرني به نفسي (كا)

إن روحي لن تكون مقيدة بجسدي عند باب الآخرة

ولكنني سأدخل بسلام» (Budge 1981:15)

٢- تعويذة الجعران : حيث اعتقد المصريون أن للجعران قوة عظيمة لحماية القلب وإعطاء حياة جديدة للمتوفي فهو رمز الاله (خبيرا) ويجسد قوة الخلق غير المرئية التي تدبر الشمس في الفضاء .

وكانت هناك بعض الطقوس المذكورة في بردي حول طقوس الجعران وخاتم إيزا ننقل نصها هنا :

« نأخذ الجعران ونضعه على مائدة نظيفة من الورق ونضع تحتها قطعة كتان نظيفة وتحتها قطعة من خشب الزيتون ، وعلى المائدة نضع مبخرة فيها المرو والكيفي ونحمل قدحاً من حجر أخضر فاتح أو أصفر ونضع فيه مرهماً من الزنابق أو المر أو الدارصيني ونأخذ خاتم حورس ونضعه في المرهم لنجعله نقياً ونضعه على المبخرة مع الكيفي والمر ونترك الخاتم لمدة ثلاثة أيام ثم نحفظ الخاتم في مكان أمين .

وفي يوم الاحتفال ، حيث الخبز النظيف والفاكهة ، وبعد أن تقدم ضحية على جذوع العنب يؤخذ الخاتم من المرهم وتدهن نفسك بالمرهم صباحاً متجهاً نحو الشرق ومردداً كلمات الرقية . ويجب نحت الجعران من الزمرد ويشقّب ثم يلبس بسلسلة ذهبية وتنقش صورة إيزا على قاعدته وكما كتبنا استخدمه . أما أيام الاحتفال فهي الأيام ٧ و٩ و١٠ و١٢ و١٤ و١٦ و٢١ و٢٤ و٢٥ من الشهر وتتوقف في الأيام الأخرى ، أما الرقية فتقرأ كما يلي :

أنني تحوت مخترع وموحد الدواء والحروف .

تعال إلي أنت أيها الراقد تحت الأرض

إنهضي أيتها الروح الكبرى . (Budge 1981:20)

٣- تعويذة الأبزم : لمنح الميت منفلاً إلى جميع الأماكن في العالم الأسفل وتمكينه من امتلاك يد متجهة نحو الفردوس ويد نحو الأرض .

٤- تعويذة الرأس : لمنح الميت لإعادة تشكيل الجسد ولكي يصبح جسده الروحي (خو) مثالياً في الآخرة .

٥- تعويذة الوسادة : لرفع وحماية رأس الميت .

- ٦- تعويذة النسر: لكي تكون إيزا حامية للميت وتنقل قوتها إليه وتعامله مثلما عاملت أوزير المقطع الجسد.
- ٧- تعويذة قلادة الذهب: لمساعدة الميت على التخلص من لفافات موميائه .
- ٨- تعويذة صولجان البردي: لمنح الميت الحيوية وإعادة الشباب .
- ٩- تعويذة الروح: لمساعدة روح الميت أن تتحد مع جسده المخطط وأن تكون الـ (كا) وجسدها الروحي بإرادتها كقرين .
- ١٠- تعويذة السلم: لمساعدة الميت من التسلق إلى السماء والحصول على موافقة للدخول إلى الجنة .
- ١١- تعويذة الإصبعين: وهي تمثل السبابة والوسطى التي استخدمها حور لمساعدة أبيه أوزير للتسلق إلى السماء ، ويعثر عليها عادة في احشاء المومياءات .
- ١٢- تعويذة عين حور (الأوتشات Uchat): وهي تعويذة تقدم البركة والقوة والشجاعة والأمان ولاصحة لحاملها لأنها تمثل الشمس .
- ١٣- تعويذة صليب الحياة (عنخ Ankh): وهي التعويذة التي تحملها الآلهة وتمثل الحياة وربما ظهرت على الأيدي المنبشقة من الشمس ، وربما مثلت عنصر الذكورة .
- ١٤- تعويذة نفر Nefer: وهي تعويذة السعادة والحظ وربما كانت تمثل آلة موسيقية .
- ١٥- تعويذة رأس الأفعى: استخدمت هذه التعويذة على جسد الميت لمنع لدغة الأفعى في القبر أو الآخرة وهي لطرد الأفاعي والثعابين بقوة ملكة الأفاعي إيزا .
- ١٦- تعويذة الرضعة (Menat): تستخدم لمنح السعادة والصحة لمن يرتديها ولها خواص سحرية تمثل القوة والغذاء والذكورة والانوثة والتكاثر ، واعتقد أن الذكر والأنثى متحدان فيها .
- ١٧- تعويذة سام: ومعناها الإتحاد وتشير إلى ملذات الحيوانات وكانت توضع في لفافات المومياءات .



عقدة إيزيس



العمود (دد)



وادجت (العين)



عنخ (الحياة)



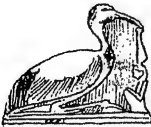
تاجان



نبات البردي



القلب



ماعت وتحتوت-
الحكمة والعرفة-

شكل (٧١)

التمائم (التعاونين) السحرية



تاج انتف



حتحور

١٨-تعويذة شين :توضع على جسد الميت لتعطيهِ الحياة الأبدية ،فهي تمثل مدار الشمس .

١٩-تعويذة كارتوش Cartache : وهي تعويذة شين على شكل مستطيل .

٢٠-تعويذة المدرج : وهي لرفع الميت إلى السماء وتعني العرش .

٢١-تعويذة الضفدعة : وهي تمثل ولادة الحياة بعد البعث وهدفها تحويل القوة إلى جسد المتوفي وتشير للإلهة هيكت .

كانت الممارسات الرسمية للسحر تقضي بإسعاف القوة المحتضرة للجوهر الإلهي الكامن في تماثيل الآلهة وأشكالها المنحوتة والمنقوشة على الجدران ، وكان على السحرة شحن صور هذه التماثيل بالقدرة الإلهية ، لأن اقتراب القوى الشريرة والمظلمة تهدد الإله الساكن في معبده (انظر سونيرون ١٩٩٤ : ٢٠٤) .

وكذلك تتجسد هذه الممارسات في إبعاد الشياطين من المعبد ورفع العين الشريرة عن الملوك واضعاف الثعيان أبيب (مصدر الشر الأول) وطقوس مثل الصيد بالشباك ، وطقس إبعاد السفهاء ، وطقس كسر الآنية الحمراء .

أما الممارسات الشعبية للسحر فكانت في تعاويذ الموتى والأحياء كما ذكرنا وفي طرد الأرواح الشريرة وكتابة البطاقات المضادة للحمى ولسعات العقارب والأمراض المختلفة ، وصنع تماثم وحجابات المحبة كما في هذين النموذجين :

«قيمة الرجل : اعمل من أجل أن تتبعني فلانة كما يتبع الثور علفه ، كاستخدامة التي تتبع أولادها ، كما الراعي الذي يتبع قطيعه .

قيمة المرأة : ارفع رأسك والزم من أراه يصبح عشيقتي» .

(سونيرون ١٩٩٤ : ٢٠٥) .

وكان السحرة عرضة للمحاكمة والعقوبة الصارمة ، إذا ثبتت ممارساتهم للسحر الأسود الضار ، فلقد حوكم السحرة الذين اشتركوا بسحرمهم في التأمر على حياة رمسيس الثالث ، فأعدم البعض وانتحر البعض الآخر قبل إزلال العقوبة به ، وذلك حين اكتشف أن السحرة ثبتوا في قصره كتابات سحرية ودمى من شمع كتبوا عليها

تعزيمات تشل أعضاء من تمثلهم تسهياً لتنفيذ المؤامرة على الملك (انظر يوسف ، الموسوعة المصرية : ٢٢٦) .

ولعل أغرب ما يذكره سونيرون عن السحر المصري هو تمكن السحرة المصريين من إسقاط المطر (سحر الاستسقاء) وإثارة العواصف . وكان هذا النوع من السحر نافذاً لأنه يشير إلى قدرة الساحر على التحكم بعناصر الطبيعة وهو أقصى ما يطمح إليه الساحر .

٣- العرافة:

تختلف العرافة عن السحر في أنها تشترط وجود قوة في العراف تجعله قادراً على استلام الإشارات والعلامات الطبيعية والصناعية خارجه ليعمل هو على تأويلها وتفسير ومعرفة الغيب بها . فهي عملياً معاكسة للسحر لأن السحر يعمل على إخراج هذه القوة من الساحر والتأثير بها على الطبيعة . أما العراف فيستلم من الطبيعة علاماته لتعمل قوته الداخلية على تفسيرها .

ولا نلحج انتشاراً واسعاً للعرافة في مصر ولا نعرف تنوعها المألوف والذي ظهر عند أم قديمة أخرى .

إنه لمن المؤكد أن المصريين القدماء عرفوا أنواعاً من العرافين وقارئي البخت والطاق .

وكانت أعمال العرافة التي يقوم بها العلماء معروفة منها ما ذكر عن كامس الذي خرج لقتال الهكسوس بناء على أمون ذي الرأي السديد الذي وعده من خلال العرافين بالنصر . وعرافة أمون التي أرسلت من خلالها حثشبسوت بعثتها إلى بلاد بونت حيث حددت مسبقاً ميعاد الغزوات وما سيلقاه تحتموس فيها من نصر .

وكان من المألوف أن يتطلع العرافون إلى الغيب عن طريق (المندل) الذي كان يقوم به صبي ينظر في أنية مملوءة ماء وطبقة من الزيت حيث يحكي عن كل ما يراه عندما ينعكس الضوء على الزيت والماء ويكون هذا الإجراء بمثابة الاتصال بالآلهة وكان يسمى التاليه (التحويل إلى إله) . وهذه الطريقة الصناعية في العرافة كانت معروفة

وشائعة في العالم القديم مثلما كانت قراءة اشكان دخان المبخرة أمراً مألوفاً وبسيطاً عند العرافين .

وكانت قراءة حركة الحيوانات المقدسة وخصوصاً الشيران جزءاً من العرافة المصرية القديمة .

ولعلنا نجد في نص أدبي تعارف المختصون على تسميته بـ (نبوءة نفرتي) نوعاً من العرافة السياسية التي تبشر بظهور ملك جديد يقضي على الفوضى التي سادت البلاد . وترجع بردية هذه العرافة إلى أوائل عهد الأسرة الثانية عشرة ، وربما إلى عهد مؤسسها الملك (امنحباب الأول ١٩٩١-١٩٦١ ق.م) ولكن كاتبها نسبها إلى عهد قديم فقد زعم أنها القيت في حضرة الملك (سنفرو) مؤسس الأسرة الرابعة . أي قبل عصر الأسرة الثانية عشرة بفترة طويلة . وتشتمل البردية على موضوعين رئيسين ، أولهما : الحالة السيئة التي آل إليها أمر البلاد ، وثانيهما التنبؤ بظهور ملك جديد سيخلص البلاد من الفوضى والشر ، وسيسعد من يعيشون في عصره .

يقول نفرتي في القسم الأول من البردية : (انظر مهرا ١٩٨٩ : ٣٠٢-٣٠٥)

«سأريك البلاد وقد أصبحت شذر مذر ، لقد أصبح الكليل صاحب سلطة وسلاح ، وصار القوم يجلسون من كان يجلسهم ، سأريك البلاد ، وقد أصبح في القمة من كان في الدرك الأسفل ، وسيعيش الناس في الجبابة ، وسيتمكن المعدم من الثراء ، وسيأكل المتسولون خبز القرابين بينما يبتهج الخدم بما حدث» .

أما النبوءة فهي :

«سيأتي ملك من الصعيد ، يدعى (أميني) له الجد ، ابن امرأة من تاستي (جزيرة أسوان) ويولد في الصعيد في خن خن ، وسوف يتلقى التاج الأبيض ، ويتوج بالتاج الأحمر ، فاسعدوا إذن يا أهل عصره ، وسوف يعمل ابن الإنسان على تخليد سمعته إلى الأبد ، أما الذين كانوا يتألمون على الشر ، ودبروا الفتنة ، فسيتبقون أفواههم خوفاً منه ، وسوف يسقط الآسيويون بسيفه ، والليبيون أمام لهيبه ، وسيستلم الثوار أمام غضبه والعصاة أمام جلالته» .

٤- التنجيم:

التنجيم هو نوع من العرافة التي يتم بها قراءة حركة الكواكب والنجوم والأنواء وتأويلها من أجل قراءة غيب الدولة أو الملك أو الفرد . والتنجيم Astrology يختلف عن علم الفلك Astronomy في أنه ذو نزعة سحرية بينما يعتمد الفلك على القياس العلمي الدقيق .

والأبراج المصرية تختلف عن الأبراج التي نعرفها اليوم ذات الأصل البابلي ، ورغم أنه من الصعوبة بمكان تحليل مادتها والتعرف عليها بصورة دقيقة إلا أننا يمكن أن نتعرف على أسماؤها كما يلي (انظر مهران ١٩٨٩ : ٣٥١) .

١- برج فخذ الثور : الذي يتضمن مجموعة الدب الأكبر

٢- برج البجعة : الذي يظهر في صورة الرجل ذي الذراعين المفتوحتين

٣- برج الجوزاء : الذي يظهر في صورة رجل يعدو وهو ينظر من فوق منكبيه

٤- برج الكاسيوسيا : الذي يظهر في صورة آدمي ممدود الذراعين

٥- برج الحوت

٦- برج الثريا

٧- برج العقرب

٨- برج الحمل

وحتى البرج الثاني عشر ، وكانت هذه البروج ترسم في سقوف بعض القبور وهي مزينة بالنجوم المألوفة في دوائرها الفلكية « وقد كان معبد دندرة مثلاً إحدى هذه الدوائر الفلكية التي تصور السماء توج بصور البروج المصرية في أشكالها التقليدية ، وكواكبها السيارة ، وما يليها من العلامات التي استمدت وازيغت للأسلوب النيلي بصور البروج الاثني عشر ثم مناطق البروج الست والثلاثين » (مهران ١٩٨٩ : ٣٥١) .

ونظام الابراج المصرية يقتضي تقسيم السنة على قبة السماء بمعدل ٣٦ من الديكانات (كل ديكان بعشرة أيام) ويبزغ في كل ديكان نجم معروف وواضح . وهذا يعني إن كل برج من الابراج الاثني عشر يحتوي على ثلاث ديكانات فيه ثلاث نجوم واضحة وربما تشكل منها ومن بقية النجوم في مجالها تلك الاشكال التي ذكرناها .

ولا نملك وثائق تشير إلى الاستخدامات السحرية أو التنجيمية لهذه البروج ، ولكننا لا ننفي ذلك لأن الفلك العلمي كان يستخدم كتنجيم على أساس شعبي وعندما تسود المجتمعات موجات الظلم واليأس والاحتلال .

ومن مظاهر التنجيم اعتقاد المصريين إن النجوم آلهة وكان الكهان المنجمون يصوغون من شكلها ولونها وحركاتها ومواقعها تنبؤات تتعلق بطوالع الأحداث، في البلاد ، وأعمال المستقبل للملوك . ولأن الآلهة حكمت هذه النجوم فهي بالتالي تحكم الزمان بأكمله ولها الأيام كلها . ولكن هذه الأيام تعكس ما حدث من خير وشر للآلهة ايضاً . وعلى هذا الأساس قسم الكهنة الأيام إلى ثلاثة أنواع هي : (انظر بد : ١٩٨٩ : ١٩٥-١٩٦) .

١-يوم السعد : ويوصف بأنه على شكل ثلاث ملاعق مقلوبة ذات أذرع بها نهايات مخززة بخطين .



٢-يوم النحس : ويوصف بأنه على شكل ثلاث كؤوس مترعة .



٣-اليوم المزدوج بالسعد والنحس : ويوصف على عدة أشكال حسب نسبة السعد والنحس من الملاقع والكؤوس .



وهناك أيام سعد ونحس معينة في السنة تتصل ، في أغلب الأحيان ، بأحداث معينة مترسبة في نفوسهم من جراء ذكريات أسطورية أو دينية مثل (انظر مهران ١٩٨٩ : ٣٦٠) .

- * ٢٧ من شهر حتحور : وهو يوم سعيد لأنه يوم الصلح بين حورس وست .
- * أول يوم من شهر أمشير : يوم سعيد لأن السماء رفعت فيه .
- * ١٤ من شهر طوبة : يوم نحس لأن إيز ونفتيس ندبتا أوزيريس .
- * أيام موت أوزيريس كانت أيام نحس .

وكان الناس يمتنعون عن إقامة الحفلات في أيام النحس ، ويتفادون الموسيقى والغناء مثل يوم الحداد على أوزيريس (١٤ طوبة) ، وكان الغسيل محرماً في اليوم السادس عشر من طوبة ، وكان يفضل الامتناع عن السمك في أيام معينة ، واجتناب ذكر اسم الإله (ست) في الرابع والعشرين من شهر برمودة .

وطالت أيام النحس والسعد مولد الأطفال فبعض الأطفال لا يعيشون إن ولدوا في اليوم الثالث والعشرين من شهر توت . والبعض الآخر تحمل بهم المكاره والأمراض إن ولدوا في أيام معينة ، فالذي يولد في العشرين من شهر كيهك يصاب بالعمى والذي يولد في الثالث من كيهك يصاب بالصمم وهكذا (انظر مهراڤ ١٩٨٩ : ٣٦١) .

ونحن نرى أن مثل هذه الأيام والتي قبلها لها موقع محدد في دائرة البروج المصرية وترتبط بظهور نجوم أو كواكب معينة أو حركتها في مناطقها البرجية ولذلك تم الربط بين البروج ومصائر الناس على الأرض .

٥-تفسير الأحلام:

اعتاد الناس في مصر القديمة ، إذا أرادوا معرفة المستقبل ، الذهاب إلى معبد إله معين والنوم فيه ، ثم إخبار الكاهن المختص بتفسير الأحلام بمجريات هذا الحلم ، وعند ذاك يقوم الكاهن بتفسير الحلم وفقاً لمعرفته السرية بأصول هذا العلم .

وربما يكون من الأفضل العودة إلى دراسة سيرج سونيرون عن الأحلام وتفسيرها في مصر القديمة المنشورة في باريس ١٩٥٩ للإطلاع على تفاصيل هذا الحقل النادر ، وبالمقابل فإن بردية شيلستر بيتي رقم ٣ المحفوظة في متحف انكلترا تطلعنا على نصوص ما يمكن

أن نسميه بـ (كتاب الأحلام) ويتكون هذا الكتاب من مجموعة من القواعد الثابتة لتفسير الأحلام فكل حلم يتكون من ثلاثة حقول هي :

١- متن الحلم : حيث يقول النص - إذا رأى إنسان نفسه في الحلم كذا ...

٢- الحكم على الحلم : حيث يقول النص - فإن ذلك جيد أو سيء .

٣- تفسير الحلم : حيث يقول النص - فإن ذلك يعني ...

وفيما يلي بعض الأمثلة : (انظر سوتيرون ١٩٩٤ : ٢٠٣).

إذا رأى رجل نفسه في الحلم :

وهو يفتح الخمر : جيد : وهذا يعني انه سيفتح فمه ليتكلم .

وهو يجلس على شجرة : جيد : معناه تدمير مأساه كافة .

وهو يقتل أوزة : جيد : يعني قتل جميع أعدائه .

يزور بوزيريس : جيد : يعني أن عمره سيكون طويلاً .

ينظر في بئر عميقة : سيء : يعني انه سيوضع في السجن .

يأخذ النار : سيء : يعني أنه سوف يقتل أو يذبح .

ينظر الى قزم : سيء : يعني انه سوف يؤخذ منه نصف حياته ... الخ .

وهناك ترجمة أخرى لبعض مقاطع من بردية شبيستر بيتي رقم ٣ (Chester Beatty 3) التي ترجع إلى عصر الرعامة ، وتدل مفرداتها وتعابيرها على أنها تعود إلى الدولة الوسطى كما يرى المؤرخو ، وهناك منهم من يرجع بعض هذه التعابير إلى العصر الروماني : (انظر لالويت ج١ : ١٩٩٦ : ٣١٦)

إذا رأي إنسان نفسه في المنام :

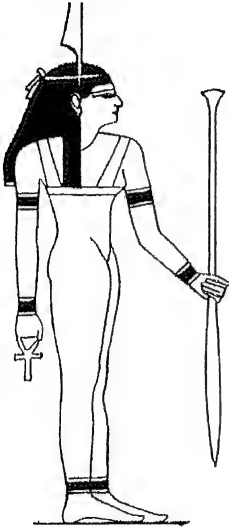
ناظراً إلى أفعى : حسن : فهذا يعني ثروة .

الغم ملوء تراباً : حسن : فهذا يعني : أكل ممتلكات جيرانه .

ملتتهما لحم حمار : حسن : فهذا يعني : ترقية
 في ثياب الحداد : حسن : فهذا يعني : الإثراء .
 وهو يتناول خبزاً أبيض : حسن سيحدث : شيء ما يسعد له .
 ممارسة الحب مع أخته : حسن : هذا يعني ميراثاً .
 ناظراً إلى ثور نافق : حسن : هذا يعني : (موت) أعدائه .
 عابراً الماء بواسطة معدية : حسن : القضاء على مصائبه .. الخ .
 ولعلنا نتذكر في المرويات الدينية ونصوص التوراة كيف استطاع النبي يوسف بعلمه
 تفسير رؤيا الملك حول البقرات السبع العجاف بسنوات القحط السبع ، وكيف فسّر
 المفسرون حلم الفرعون في الموروث الشعبي وقصة ولادة موسى .
 ومهما كان الأمر فإن المصريين كانوا يعتبرون الأحلام رسائل إلهية رمزية وكان على
 الكهنة المختصين تفسيرها لأنها تقع ضمن خطط الآلهة المستقبلية .

الفصل الخامس الأخلاق والشرائع

(دراسة في المكونات الثانوية للدين المصري القديم)



«قلتُ الماعت
وطبقت الماعت
أعطيتُ خبزاً للجائع
ورداء للعاري
احترمت أُمي
تمتعت بحنان أُمي
لم أكل شيئاً سيئاً
أو شريراً أو خبيثاً ضد أحد »
نص جنائزي
منتصف الألف الثالث ق م .

١- ماعت

نظام وعدالة الكون والملك والمجتمع

أطلق المصريون القدماء كلمة (ماعت) على جوهر النظام والعدالة للكون والملك والمجتمع والفرد، ولخصت هذه الكلمة الفلسفة الروحية العميقة للأخلاق والقيم والعدل والمثالية .

وإذا كانت الـ (ماعت) قد تجسدت في إلهة الصدق والعدل (ماعت) لكنها أبعد من إن تعامل كالإلهة انثى ابنة لرع وزوجة لتحوت، فهي أساس الحضارة المصرية والبعد الخفي والعميق لمدينة المصريين .

ويرى جان لوكلان أن الماعت ظهرت منذ فترة طويلة وكأنها المفهوم الأساسي للفكر المصري واعتبرها علماء المصريات اصطلاحاً مرادفاً «للحقيقة والعدالة» أما المحدثون منهم فقد وضعوها في منظور كوني بحث ، وطبقاً لرأيهم فإن العالم الفرعوني يركز على تبادل الماعت بين الآلهة من جهة والفرعون من الجهة الأخرى بكونه الوسيط الأكبر، في فوضى اضطراب العناصر الكونية، تأتي الماعت لتعيد المعايير والمقاييس في جميع أنظمة الخلق، حيث ارتبط قطبا الكون والاجتماع بثوابت ماثلة (أسمان ١٩٩٦: ٨) .

ولأننا نرى إن الماعت هي جوهر الأخلاق والحقيقة والنظام في الدين المصري وإن مظاهرها الكثيرة تتجلى في عدة أشكال وحقول، لذلك سنعمل على دراسة هذه المظاهر والأبعاد علناً نستطيع التقاط وفهم هذا الجوهر الذي كرس له دراسات هائلة ومازال مستعصياً على الفهم الكامل وفي محاولتنا هذه سنكون كمن راجع أهم هذه الدراسات وعرف بها :

أ- البعد المثلولوجي للماعت:

لنبداً أولاً في التجسيد الإلهي للماعت باعتبارها إلهة للحق والعدالة والابنة المدللة للإله الخالق (رع) والمؤتنة على أسرارها، وزوجة معلم الآلهة تحوت إله الحكمة الذي كان يدعى (سيد ماعت) وقد صورت (ماعت) كامرأة واقفة أو جالسة على عقب قدميها، تعتمر على رأسها بريشة نعام رمزاً لاسمها (الحقيقة أو العدالة) وتشكل ماعت جزءاً من حاشية أوزيريس في عالم الآخرة، وتسمى القاعة التي تعقد فيها محكمته (قاعة العدالة المزدوجة) إذ إن ماعت كثيراً ما تكون مزدوجة في شكل الهتين متطابقتين تماماً، تقفان على الطرفين البعيدين للقاعة الواسعة. وتتخذ ريشة ماعت كذلك مكانها في إحدى كفتي الميزان مقابل قلب المريض لغرض اختبار صدقه. وقد كانت ماعت إلهة تحريرية خالصة وكانت تحب أن تغذي نفسها بالحقيقة والعدل. وكان الملك لا يقدم قرابين مألوفة للإله بل يقدم ما كان الإله يقبله أكثر من أي قربان وهو تمثال صغير للإلهة ماعت (انظر الخوري ج ١٩٩٠: ١٩٨).

أما في المثلولوجيا الشمسية فتلحق ماعت بالقارب الشمسي الذي يحمل أباه وزوجها (رع وتحوت) عندما أبحروا من نون في الزمن الأول وقبل أن تبدأ الخليقة، كما أنها كانت الضوء الذي أحضره رع إلى العالم، فقد خلق العالم بوضعها في مكان مادة الكون قبل تكوينه، ومن فقد مُثلت كواحد من طاقم القارب الشمسي (انظر مهران ١٩٨٤: ٣٥١).

وتمسك ماعت عادة صولجاناً بيد وفي الأخرى رمز الحياة، وقد صورت في بعض الصور وقد التصق بكل ذراع من ذراعيها جناح، وصورت في حالات نادرة بجسد امرأة رأسها عبارة عن ريشة. أما المعنى الحرفي لكلمة ماعت فهو (الشيء الذي هو مستقيم).

وفي إحدى التسابيح الموجهة لـ (رع) نقرأ.

«أرض مانو (أي الغرب) استقبلتك برضى والربة ماعت احتضنتك في كل من الصباح والمساء.

الإله تحوت والربة ماعت قد سطرًا مسارك اليومي لكل يوم

أيمكنني أن أرى حورس كقائد دفة (لقارب رج) مع تحوت وماعت كل منهما على جنب ؟ (بدج ١٩٩٤ : ٤٨٢) .

ب- البعد الكوني للماعت:

يرى يان أسمان أن البعد الكوني للماعت يتمثل في انتصار الشمس على الظلام وانتشار النور وأن هذا الانتصار هو الانتصار المثالي لجميع المواجهات المباشرة ، وتظهر الماعت في هذا الرمز كالقوة ، الطاقة الكونية التي تظهر بالنهار . وكذلك الواقع الذي هو صراع مستمر بين (الماعت) و (الإسفت) ، الخير والشر ، العدل والظلم ، الحقيقة والكذب ، النظام والفوضى .

وقد وردت في نصوص التوابيت إشارة لعبت فيها الماعت دوراً في نشأة الكون وذلك حين يتحول الميت إلى الإله شو إله الهواء وأنخ الإلهة تفتوت إلهة الرطوبة ، لكن النص لا يتحدث بهذا المستوى المادي بل بمستوى رمزي حيث يصبح شو هو الحياة وتفتوت هي الماعت (الحقيقة) . ولذلك فإن الحياة والحقيقة هما أبناء الإله الخالق الذي يمكن أن نترجمه على المستوى الرمزي بـ (العدم) و(الكل) .

يقول أتوم في هذا النص :

«تفتوت هي ابنتي الحية

إنها مع أخيها شو واسمه (حياة)

واسمها (حقيقة)

أعيش بمصاحبة أطفالي الاثنين

أعيش بمصاحبة أطفالي الاثنين التوأم

إنني بينهما ،

أحدهما بجوار ظهري

والآخر بجوار بطني

(حياة) ترقد مع (حقيقة)

أحدهما بداخلي والآخر حولي

وقفت بينهما

أذرعهما حولي» (أسمان ١٩٩٦: ١٠٣)

إن هذه اللحظة الكونية ، كما يسميها أسمان ، تحتضن الأب والابن والبنات على شكل الكل والحياة والحقيقة ولنقل الوجود والحي والنظام ، ولذلك فالحياة والنظام متلازمان ويتجلى ذلك في رحلة الشمس التي تمثل حياة الكون أو الشكل الدوري الذي بداخله تتحقق هذه الحياة «حيث يتصور المصريون الكون على شكل زمني أكثر منه مكانياً فالبنسبة لهم الكون كان عبارة عن عملية نجاح مستمر أكثر من أن يكون مكاناً منظماً . كونية الكون هي النجاح والنصر : هذه هي الماعت في معناها الكوني ليست هي حالة ولكنها حدث» (المرجع السابق : ١٠٤) .

إن الماعت هي القوة الكونية الملازمة لحياة الكون على شكل مسيرة ذات نظام وغاية وهدف . وأن هذه القوة نزلت منذ خلق الكون في صلب الظواهر التي لفت العالم وهو يستمر في الحياة .

ج- البعد الأسكاتولوجي للماعت:

يتجسد البعد الأسكاتولوجي للماعت في مراحل عديدة من حياة ما بعد الموت ولا يقتصر على الظهور المثلوجي للإلهة ماعت في محاكمة الموتى فقد وردت في النصوص الجنائزية (الأهرام والتوابيت والبرديات) ما يشير إلى ذلك وسنتناول هذا البعد من خلال المظاهر التالية :

أ- الإماخو : وهي كلمة مصرية محيرة ولكنها تشير إلى حالة المتوفي الاجتماعية ، ويعني أدق أن الإنسان وهو في طريقه إلى الموت وعند حلول الموت يتمتع بحالة اجتماعية معينة هي (إماخو) التي يشترط الحصول عليها في حالة توفر ثلاثة شروط هي الوظيفة التي مارسها الميت في الحياة ومكانته من مزاوله مهنة حرفية وتكون في الغالب حكومية ، والذرية التي تتولى أمور الطقوس الجنائزية بعد الوفاة ، والتقدير المعلن للشخص في الذاكرة الاجتماعية (انظر أسمان ١٩٩٦ : ٥٨) .

وكانت هذه الإماخو في النتيجة الأخيرة تمثل الماعت معبراً عنها في وقت الوفاة ولذلك يؤكد يان أسمان أن هذه الماعت تأخذ شكل المؤسسة التي تؤمن (العبور) (الرسو) و(الدوام) والتي تترتب كما يلي: توريث الثروة بواسطة وصية، ثم تأدية الطقس الجنائزي الذي يقع على عاتق الورث، ولاطقس جنازتي دون وصية، وأخيراً وبالأخص: ذاكرة اجتماعية تذكارية، هذه الذاكرة هي التي تناشدها النصوص المنقوشة على جدران المقابر حيث تقرر هذه النصوص انجازات المتوفي الأخلاقية أو، كما يقول تباح حتب (مطابقته للماعت) (انظر أسمان ١٩٩٦: ٦٠-٦١).

ب- المرحلة العتبية أو العبورية (Limniation) وهي المرحلة التي يظهر فيها ما يمكن إن نسميه بالإنسان الداخلي المكون من جهاز روحي مركب تظهر فيه عناصر (البا، الكا، الأب) مؤحد والتي تسيطر عليه الماعت وتدعم تماسكه وتكامله.

ج- الأورزيس: حيث يظهر الميت في المحاكمة بصفة الأورزيس التي تشبه ما نسميه اليوم مثلاً بالرحوم كما يسميه لوكلان وهو تعبير دقيق. فمن الآن نقول الأورز فلان وكأننا نقول بالرحوم فلان، وفي هذه المرحلة تتجسد الماعت بشكل الإلهة سيدة القاعة المزدوجة، الإلهة ماعت صاحبة الريشة، ويدفعنا هذا للتساؤل: هل ظهرت الماعت في الموت بصيغة الإماخو واحتجبت باطنياً في الإنسان الروحي اثناء العبور، وتجسدت في مرحلة الأورزيس على شكل الإلهة التي سيوزن قلب الميت بريشتها!!

وفي هذه المرحلة، كما عرفنا في الفصل الثالث، وبعد أن يوزن القلب ويبدأ الاعتراف السلبي، يتجلى ظهور الماعت وتتوسع بشكل واضح لتسيطر على القواعد الأخلاقية العامة والعملية والمحرمات ولذلك يبدأ الميت بنفي كل التهم (المعروفة) عنه.

وهذا يعني أن الماعت نظام محكم متماسك، يبدأ منذ ولادة الإنسان ويستمر بالعمل عند الوفاة وبعدها بل ويسيطر على كل مراحل ما بعد الموت، أي أن الماعت مبدأ عميق وجوهي وهي ليست قانوناً ملدناً مثل قانون حمورابي أو ناموس موسى. وهي أساس كل التشريعات كونها المبدأ المولد للقانون وليست القانون نفسه، كما يقول أسمان الذي يرى أيضاً أنها تترجم الصورة الجديدة للإنسان التي ظهرت في ذلك

الوقت مع التصور الجديد الخاص ليس فقط بالإنسان بل وبالسياسة . فالإنسان الذي سوف يتوحد قلبه - الذي سوف يوزن على الميزان- لم يعد تابعاً لأوامر الملك لكي يسعى ولكنه يتلقى الآن الأوامر من قلبه هو الخاص الذي يأخذ على عاتقه الآن هذه المسؤولية . إنه إنسان يقود نفسه بنفسه عكس ما كان في الدولة القديمة حيث كانت تقوده سلطة خارجية (انظر اسمان ١٩٩٦ : ٨٨) .

د-البعد السياسي للماعت :

يتخذ البعد السياسي للماعت أشكالاً عديدة أولها : إن الماعت هي التي سببت وجود الملك بعد أن كانت سبباً في وجود (رع) أب الملك ، ولذلك تظهر الماعت كخلاف وجوهر يحيط بالإله والملك ، فقد وصف الملك وكأنه قادم من السماء بعد أن وضع ماعت بدلاً من الماعت التي كانت سائدة في جزيرة اللمب (وهي الاسقت التي تمثل العالم في مرحلته الهيولية البدئية) ، فقد رفع الملك الغموض عن ذلك العالم القديم وجعله قابلاً للسكنى .

والشكل الثاني للبعد السياسي يتمثل في إقامة الدولة التي تكون فيها (ماعت الدولة) محصورة في مهمة إقامة نظام العدل والمساواة وإرضاء الإله ، والعالم الذي انبثق من الإله الأول كان عالماً بلا دولة ، لكن ظهور الملك الذي هو بمثابة الإله الثاني وظهور العالم الجديد (الكوسموسي بدلاً من الهيولي) كل هذه الأمور تفرض وجود الدولة كنظام تسييره الماعت ويسعى لتحقيق الماعت في الوقت نفسه ، أي أن العالم لا ينظم نفسه بنفسه بل يحتاج إلى ملك ودولة لكي ينظم ، ولذلك فإن العالم ، في الفكر المصري ، يحتاج إلى الماعت دائماً أذ بمجرد تطبيقها يسود النظام كل شيء وتعود الأمور إلى مقاديرها ولذلك لم يحفل التراث المصري بظهور المخلص والمهدي المنتظر لأن العالم يحتاج إلى الماعت ولا يحتاج إلى المسيح .

إن مؤسسة الدولة الفرعونية كانت أقوى مما يمكن تصوره إذا نظرنا لكل ما عرفناه من المؤسسات الملكية في العالم القديم لأنها ببساطة جزء لا يتجزأ من المؤسسة الإلهية ، وقد كانت الماعت وسيلتها للربط بين (الإله - الكون - الملك - الدولة - المجتمع - الفرد) . أي أن الماعت كانت بمثابة السلك الخفي الذي يخترقهم ويربطهم في دائرة متماسكة .

إن النظر إلى الماعت والأسقت يحيلنا إلى مفهوم أعمق من التضاد بين النظام والفوضى . فهو يذهب بنا إلى مفهومي الهيولى والكون . ولعلنا نجد في بعض النصوص هذين المستويين عندما نعرف إن نكوص الماعت في الدولة أو العالم يؤدي إلى عودة الفوضى أو الهيولى . فهل يقودنا هذا إلى أن معنى العود الأبدي في هيأته المصرية يستند جوهرياً إلى الماعت والأسقت . . اعتقد أن ذلك هو الأمر الدقيق لأن المسافة بين الأسقت والماعت والأسقت ثانية ، ومعنى آخر (مسرئ الماعت) هو ما يمكن أن نسميه بـ (العود الأبدي المصري) .

ولكننا يجب أن نقيم تفریقاً هاماً بين الإله والماعت وهو أن الماعت يمكن أن نتعرف عليها ، ونحصل عليها ونقلها فهي واضحة ومريحة ، أما إرادة الله فهي مختلفة ، فالإنسان الذي يضع الماعت في قلبه قد جعل من نفسه اجتماعياً واندمج في المجتمع والكون واشترك في الإتصال وفي الحياة العملية وفي الاستماع للآخرين . والآن ، إنه الإنسان الذي يضع الإله في قلبه وهو المثل الأعلى ، إنه الإنسان الذي وضع نفسه بين يدي الإله (انظر أسمان ١٩٩٦ : ١٤١-١٤٢) .

من هذه النقطة يتجلى البعد الاجتماعي للماعت حيث تعطي النصوص المصرية القديمة ما يوضح هذا البعد فهو التضامن الفاعل والإيجابي بين الفرد والجماعة حيث تقوم الماعت برص الأفراد في جماعة متضامنة وساعية باتجاه إيجابي وعندما ينتفي هذا التضامن فإن الفوضى والقتال يدهبان في المجتمع وتخبرنا فقرة من مقطوعة الفلاح الفصيح تقول (اسع من أجل من يسعى) وهكذا ينسئ الفرد أنانيته ويتخلئ عنها بالسعي في وسط جماعة ساعية لبعضها أو بشكل أدق ساعية للماعت التي هي سبب هذا التضامن وغايته ، وتوضح الماعت لا على شكل تعاليم اجتماعية بل على شكل إحساس فردي داخلي باتجاه الجماعة وهذا ما يكسبها قوة روحية عميقة .

هـ- الماعت : الصيرورة

الماعت : الروح القدس

توصلنا من خلال قراءتنا للماعت أنها من الناحية الفلسفية أقرب ما تكون إلى الصيرورة التي تبدأ من الوجود والعدم وتصل إلى أرقى وأعقد أشكال الحياة والفكر مختزنة كل عمليات الجدل بين الأشياء .

إن الماعت كما عرفناها في الفكر المصري هي صيرورة أي شيء وحركته الصاعدة الخلاقة ولكن هذه الصيرورة غير مشروطة إلا بما يسبقها من عوامل فهي تنطلق خلاقة تربط العوامل وتعمل على تخليقها Synthesis وإن توقفها هو بالضبط (الأسقت) وحلول الفساد والظلام والفوضى والهولوى .

ورغم أن العقل المصري القديم جعل الماعت مرتبطة بالخير والنظام إلا أنه في أعماق النصوص يوحى بشمولية الماعت ويؤكد عليها كصيرورة شاملة يمكن أن تستوعب التناقض ولكن غايتها بلا شك النظام المطلق وفي قراءة دينية موازية يمكننا النظر إلى الماعت وهي تربط بين الإله والفرعون أو الإله والملك وكأنها الروح القدس الذي ربط بين الأب والابن في المسيحية . ونحن لا نريد الخوض في المركب العقائدي لفكرة الروح القدس . ولكن علاقة الإله الأب والملك الابن على المستويين الواقعي والرمزي يمكن أن تجسدها الماعت فهي سبب ولادة الملك من الإله ، وهي سبب التحاق الملك بالإله بعد الموت ، أنها النظام الذي نزل به الإله على الأرض بصيغة الملك ، والذي صعد به إلى السماء وجلس على قارب رع بصحبة ابنة رع وزوجة تحوت الألهة الماعت . ومادنا في هذه المقارنات فلنتبه إلى إن الملك والماعت شقيقان لأنهما ابنا (رع) وبمعنى آخر إن الملك وماعت وجهان لعملة ، وهكذا يكون الثالوث المكون من (رع ، والملك وماعت) مختلفاً عن أي ثالوث إلهي آخر يتجسد بصيغة الأب والأم والابن ، أو الأب والزوجتين . أنه ببساطة أقنوم لاهوتي مصري أصيل شكل الجذر الأعرق لفكرة الأقنوم المسيحي كما هي وليس بصيغة (الأب ومرم) والمسيح) ثم حذفت مرم ليحل محلها الروح القدس .

وفي هذا نجد منافساً شديداً للقوة أمام الثالوثات الالهية القديمة التي رشحها الباحثون لتكون جذراً للأقنوم المسيحي .

إن نزول الأب بالروح القدس (الماعت) ، وصعود الابن بالروح القدس (الماعت) يشير إلى الدورة الربانية كنظام كوني مطلق وليس كحاجة لوجود الخلق والفادي . إنه حتم إزلي لا تدفعه نيات الخلاص .. وإذا كان إحلال النظام في الحياة أحد أهدافه فإنه ليس الهدف الوحيد له .. وبذلك تكون دورة الماعت أكثر كونية من دورة الروح القدس ... وهنا يكمن الاختلاف بينهما .

و- الـ (مي) السومرية والـ (ماعت) المصرية :

بحسبنا في تراث العالم القديم عن مايوإزي كلمة الـ (ماعت) سعيًا للعشور على أصل هذه الكلمة أو فرع قريب لها ، وحقيقة الأمر أن التراث السومري الذي يوازي التراث المصري في النشأة بل ويسبقه قليلاً يمكن أن يدلنا على شيء من هذا .

إن مصطلح الـ (مي Me) ويلفظ أيضاً (ميه) الذي يعني بالسومرية النواميس الإلهية ويدل في معناه القاموسي على (الوجود) وكان هذا المصطلح من أصعب المصطلحات اللاهوتية السومرية لا وقد اتفق بعض العلماء على اصطلاح قريب من معناها وهو -القوى الإلهية- وتشمل في هذا المعنى كل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوي والسماوي الذي تسيره قوى الآلهة خيراً أو شراً (افزارد ١٩٨٧ : ١٢٨) .

إن هذا التعريف للـ (مي) يقترب كثيراً من معنى الـ (ماعت) فكلاهما يدل على نظام الوجود والكون وعلى شموليتها .

لقد كانت الـ (مي) هي النواميس والأنظمة والقوانين التي في عهدة الآلهة والتي تسيّر بها الكون كله ، وإذا تناولنا تعريف جاكوبسن لها فانه يشير إلى أنها جملة الوظائف المرتبطة بالطقوس والعادات والأعراف (المرجع السابق، ١٢٩) وهذا يعني الوجهة الشعائري والاجتماعي للـ (مي) .

أما فان ديك فانه يعطي بعداً أشمل للـ (مي) فيقول أنها الوجود الإلهي في الهيولى الميتة أو الحية بشكل أزلي ، وهي غير مشخصة بجسد ، ولكن بواسطة تحكم الآلهة بأمور العالم (المرجع السابق) .

كأننا في هذه التعاريف نقرأ تماماً معنى الـ (ماعت) . مما يدل على تقارب المعنى بينهما ، بل اعتقد أن الـ (مي) والـ (ماعت) يشتركان بلفظ صوتي واحد تقريباً .. وأجازف بالقول أن أحدهما مشتق من الآخر . ولأن الأدراج السومرية المثلولوجية واللاهوتية نشأت في فترات أسبق من قرينتها المصرية لذلك أرجح أن تكون (الماعت) المصرية مأخوذة من الـ (مي) السومرية . وانه لما يشجع على ذلك الأساطير التي ذكرت فيها الـ (مي) السومرية حيث رافقت هذه الكلمة الإله (إنكي) ، حيث كانت بحوزته ، والتي كان يدير بها شؤون الحضارة في سومر . ويرقى الإله إنكي إلى أقدم جذور سومر في جنوب العراق حيث ظهر السومريون في الألف الخامس قبل الميلاد على ضفاف الأنهار وفي الأهوار وكان إلههم الأكبر هو إله الماء والحكمة (إنكي) وارتبط ظهوره بنشوء المدنية ونواميسها هناك . ورغم أن الحضارة كانت تعم سومر إلا أن مركزها كان في (أريدو) مدينة الإله إنكي ، وقد ظهرت أسطورة (إنكي وانا والـ (مي) حين انتقلت الحضارة من أريدو إلى زروك مدينة إنانا حيث نقلت الإلهة إنانا هذه النواميس إلى مدينتها . وكل هذا يشير إلى قدمها .

إن وثائقنا السومرية عن هذه النواميس ليست كثيرة ولذلك لا نستطيع التوسع في المقارنات بين الـ (مي) والـ (ماعت) ، ونحن نميل في هذا إلى أن مفهوم الـ (ماعت) أرقى وأعمق وأوسع من الـ (مي) وذلك لهيمنته الجهورية على الآلهة والكون والدولة والمجتمع والفرد ، ولأن له فلسفة في غاية العمق والدقة . في حين يحيلنا التداعي القاموسي لمفردات الـ (مي) إلى مفردات قائمة بذاتها قد يأخذ بعضها الشكل المادي المباشر .

٢- الحكمة والأخلاق المكتسبة

إذا كانت الماعت تمثل النظام الأخلاقي الساري (القطري) في الكون والمجتمع والفرد ، فإن الحكمة التي كانت تتردد على أفواه الحكماء المصريين كانت بمثابة النظام الأخلاقي المكتسب والذي يتوجب تعلمه ، وهي النصائح والتحذيرات والخبرات التي عرفها الحكماء من حياة مليئة بالصعوبات وقد أوروها إلى أبنائهم (في الغالب) سعيًا منهم لأن تكون تعاليم اجتماعية شاملة .

وإذا كانت الإلهة ماعت تمثل النظام والعدالة فإن زوجها الإله تحوت يمثل الحكمة ، ولذلك تقترن العدالة بالحكمة في هذا التكوين الإلهي الفريد .

وتنسب للإله تحوت (تحوتي ، جحوتي) أصول الحكمة والحساب ورعاية الكتاب والكتابة والفصل في القضاء ، كما اعتبر كاتباً أعلى ووزيراً ونائباً لمعبودهم الأكبر (رع) ، وهو الإله الذي يقسم الزمن إلى شهور وينظمها ، إنه القاضي الذي يحكم السماء ، ويقضي في المنازعات الإلهية ، وهو سيد الكتب ورب كلمات الآلهة أي الكتابة المقدسة (انظر مهراڤ ١٩٨٤ : ٢١٣) . وله ثلاثة رموز (الطاثر ابيس ، القرد ، القمر) .

وهذا الإله هو أصل هرمس اليوناني الذي لقب بـ (هرمس مثلث العظمة) واعتبر رسول الآلهة .

أما الحكماء فهم أشباه تحوت ويمثلوه على الأرض فقد كانوا يرعون الكتابة والحكمة وكان أغلبهم في بلاط الموظفين الكبار ومنهم الوزراء العظام للفراعنة ، وقد قمنا باحصاء نصوص الحكمة ، التي دون أغلبها على البرديات ، ووجدنا أن مصر القديمة أظهرت مجموعة عظيمة من الحكماء منذ عصر السلالة الثالثة ووضعتنا كتب الحكمة المصرية الأحد عشر في جدول يصنفها ويشرحها كما يلي :

جدول (١٠)
كتب الحكمة المصرية الأحدث عشر

| الرقم | اسم الكتاب (باسم صاحبه) | الشخص الموجد له الكتاب | الزمن التقريبي ق. م. | رقم الأسرة الملكية التي ظهر فيها | اسم الملك المعاصر له | جوهر شعاعه |
|-------|----------------------------|---------------------------|-------------------------|--|--------------------------------|--|
| ١ | تعالم كأرسو | ابنه كاجمني إلى | حوالي ٢٦٨٠-٢٧٠٤ | ٣ | حزني أخسر ملوك السلالة ٣ | صفحتان من بردية : آداب الطعام مملوك المعاصرة ، التواضع ، عدم التواضع بالقوة مثال : السكين تشد لمن يعيد عن الطريق المستقيم |
| ٢ | تعالم بناح حنب | إلى ابنه | حوالي ٢٤٨٠-٢٣٤٠ | ٥ | إسمي | ٣٧ حكمة : آداب التواضع ، آداب المخاضة ، العدالة والحقيقة ، الوداعة ، آداب المائدة ، كيف تكون رسولاً أميناً ، عن الكرم ، الاحترام الواجب في حق حديث النعمة ، السمادة ، السلوك في حق الأبناء ، البروتوكول ، الاحترام ، خطر النساء ، الجشع ، الفوز بالزوجة الصالحة ، التهمة ، ... الخ |
| ٣ | تعالم إينور | إلى الملك الثاني | حوالي ٢٢٧٤-٢٢٨٠ | ٦ | بيني | قول منشور وست قصائد شعورية في الحكمة : وصف الفساد ، مظاهر الفساد في ذلك العصر ، تصاعد مساة الوصف ، التذكير بعبادة الآلهة ، وصف المستقبل السعيد . |

| | | | | | | |
|---|--|----------------------------------|----------------------|------------------------|-------------------------|-------|
| جوهر تميمه | اسم الملك المعاصر له | رقم الأسرة الملكية التي ظهر فيها | الزمن التقريبي ق. م. | الشخص الموجب له الكتاب | اسم الكتاب (باسم صاحبه) | الرقم |
| مثال : حقاً لقد أصبح النهر قبراً لرجال كثيرين دفنوا فيه . | | | | | | |
| تمجيد مهبة الكتابة واستعراض الجوانب المرفقة والسينة في الملون الأخرى . | ربما الملك خيتي الأول | ٩ | حوالي ٢٢٠٠ ق. م | الذي ابنه ييتي | تعاليم خيتي الكاتب | ٤ |
| الحكمة السياسية وطريقة الحكم ، احترام الشعب ، إقامة العمالة ، إقامة العمران ، مخافة الإله واداء الطقوس . | الملك خيتي الثالث | ١٠ | حوالي ٢١٢٢ ق. م | الذي ابنه مريكرج | تعاليم خيتي الملك | ٥ |
| تمجيد صناعة الكلام والمحادثة ، حب الخير ، الحيل والبقعة ، كبار الموظفين ، واجبات الحاكم ، التذكير بالعمال الأخير وديم الحساب ، معاملة الجمل الجديد ، النشاط والعدل ، الحاكم . | مريكرج | ١١ | حوالي ٢٠٠٠ ق. م | الذي ابنه مريكرج | تعاليم نيكوج | ٦ |
| عدم الثقة بالاصدقاء ، التحذير من مؤامرات اللقيرين نصيحته عبارة عن سرد لزامرة حصلت والتحذير لابنه . | امتمحات الأول | ١٢ | ١٩٦٢-١٩٥١ ق. م | السى ابنته مشوسرت | تعاليم امتمحات الاول | ٧ |
| آداب السلوك ، الزواج المبكر ، آداب الزيارة التحذير من النساء والخطيئة ، تجنب كثرة الكلام ، تقوى الإله ، البر بالوالدين ، التحذير من الخمر التذكير بالموت ، احترام الغير ، فصل الأم ، العمل ، معاملة الرؤساء . | الملكة احمنس تقرتاري أوجسة الملك احمنس | ١٨ | ١٥٨٠-١٥٥٨ ق. م | الذي ابنه خندوم حناب | تعاليم أني | ٨ |

| | | | | | | |
|---|---|-----------------------------|---|---|---------------------------------------|----|
| جوهر تميم | اسم الملك الماصر له | رقم الأسرة التي ظهر فيها | الزمن التقريبي ق. م. ١٠٠٠ | الشخص الموجه له الكتاب | اسم الكتاب (باسم صاحبه) | |
| فن الحياة : التجاح ، التحذير من السلب ، الأحق والخليم . احترام أملاك للعب ، التسليم لا قدر للإنسان . وتعاليمه من أرقى تعاليم الحكمة المصرية القديمة عدد فصولها (٢٠) فصلا . أثرت على حكمة سليمان وسفر الامثال . | — | ٢٢-٢١ | حوالي ق. م. ١٠٠٠ | حورماتر ابنه | تعاليم امنموني | ٩ |
| تفصيص مدونة على جذران المقبرة التي شيدها بدي أورد وهي أشبه بـ (النداءات الى الأحياء) أو البيانات الاخلاقية للسيرة الذاتية وتتكون من عدة مدونات : وتحتوي على تعاليم أخلاقية للطريق المستقيم وتعاليم الآلهة والخير ، اخلاق الموت والدفن . . . الخ . | الغزو الفارسي الثاني والاسكندر الأكبر | ٣٠ | ق. م. ٣٣٠ | ١- مدونات : ٢- طبسو ٣- سيدجوتي أورد ٤- سيدجوتي إن ٥- سيدجوتي إن | تعاليم عائلة بدي أورد (بتوزريس) | ١٠ |
| التصالح والتخفيزات الرجعية الى طلبية المدارس والتي تشمل : الحياة في المدرسة ، الاجتهاد ، تصالح معلم الى تلميذه ، وضع التلميذ في القيد تجميع مهنة الكتابة ، لا تكن فلاحاً ، لا تكن فارساً ، كن موظفاً . | — | ١٩ | عشر عليها مستطعات في الثلاثين عصر الأسرة التاسعة عشر وما بعدها | الى طلبية المدارس | تعاليم المدرسة | ١١ |

ومن المؤكد أن هناك حكماء آخرين ، ولكن هؤلاء الحكماء يمثلون صفوة مختارة على طول تاريخ مصر القديمة .

والحكماء يختلفون عن الكهنة العظام (الذي يسميهم بدج وسونيرون الأنبياء) وعن الكهنة العاديين ، في إن الحكماء ليسوا رجال دين ، بل رجال دولة فهم إما موظفون كبار أو وزراء عظام عند الملوك وبعضهم كان ملكاً كما يشير الجدول لذلك ، ولكن تعاليمهم تدمج بين أمور الدين والدنيا فخيرتهم البراجمانية لا تنفصل عن خلفية دينية ورعة ، والأخلاق التي يدعون لها هي ببساطة (خبرات محكمة) لا تندرج ضمن الخبرات العادية أو الخبرات المنزلة ، بل نراهم يدعون الى آداب السلوك والمائدة وفن الحياة والسياسة والكلام ، برؤية العملي الناور وليس برؤية المتعلم الواعظ فقط .

وإذا كان يحتاج حثب مؤسس الحكمة المصرية القديمة فلا شك إن هذه الحكمة بلغت ذروتها عند أممؤبي الذي ترك أسلوب النصائح العادية وتمتاز هذه الحكم بالعمق الديني لها ، فقد كان مؤلفها شاعراً متديناً ، والواقع انه لم يصلنا إلى الآن من الكتب المعروفة في الأخلاق والتعاليم عند المصريين القدامى ما يظهر لنا مثل هذا الروح ولذلك تعتبر تعاليم اممؤبي من أمتع الكتب وأعظمها قيمة ، ولقد وافتنا تلك التعاليم -بأن الصلاح كان فضيلة وأن التفكير في الموت والأبدية كان حافزاً يدفع الإنسان إلى أن يسلك الطريق السوي في الحياة الدنيا مخافة الله ، إذ إن الله هو الذي يسعد ويغني ولكن كان التدين في نظر اممؤبي يقوم بدور أعظم من ذلك إذ كانت فكرة وجود الله في نظره هي المستوى الذي وضعه أمامه لفهم الحياة « (بيوني ١٩٨٤ : ٦٥) .

الإنسان المثالي في نظر أممؤبي هو المتواضع المعتدل في حياته ، وترسم تعاليمه دستوراً عملياً للحياة فتشرح واجب الموظف وتحثه على العدل والإنصاف والرحمة وتحذر من الغش في المعاملات ، ويضع اممؤبي قواعد السلوك الإنساني بين الناس خارج الأعمال الرسمية ، ويرى أن يختلط الإنسان بمن هو على شاكلته .

(أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد) ، هكذا كان العمق الديني للحكمة المصرية على لسان اممؤبي ، وعن أخلاق الكتابة يقول «لا تغمس قلمك في المداد لتحدث ضرراً لأحد ، فإن عيني الإله تحوت تراقبان كل شيء حول الأرض ، وإذا رأى الإله من يسعى في الشر فإنه يرمي بطعامه الى اللجة العميقة والكتاب الذي يحدث الضرر لا يكون لابنه أي ذكر» (كمال ١٩٦٢ : ١١٠) .

وكان كتاب امنموبي يفيض حلاوة وقوة وبلاغة وحيوية في الأسلوب وأصبحت تعاليمه على كل لسان حتى إنها استعملت ككتب للدراسة في مدارس عصر الدولة الحديثة وقبلها كانت تعاليم أي قد حازت مرتبة ماثلة .

٣- الشرائع المصرية (الأعراف والقوانين)

لم تصلنا شرائع مصرية مدونة ولكن هذا لا يعني عدم وجودها ، أو في الأقل عدم وجود قوانين مصرية اعتمدت في بناء القضاء المصري القديم ، إضافة إلى الأعراف السائدة لها ذات المصدر الديني بشكل خاص .

لقد شوهت التوراة صورة الملوك المصريين (الفراعنة) وجعلت من اسم (الفرعون) رمزاً للظلم والقهر والاستبداد ، في حين كان الفراعنة رمزاً عظيماً للعدل والمساواة والتقوى فقد كانوا يهدي الماعت التي يمثلونها مصدر القانون والتشريع . وكانت قوة الماعت لاتضاهيها قوة أخرى ، كما عرفنا ، وقد ذهب ديودورو الصقلي إلى أن ملوك مصر « لم يكونوا يعيشون على غط الحكم المستبد في البلاد الأخرى ، يعملون ما يشاءون تبعاً لأهوائهم ، غير خاضعين لرقابة ما ، فقد رسمت القوانين لهم حدود تصرفاتهم في حياتهم الخاصة والعامة سواء بسواء ، وكانت ساعات الليل والنهار مرتبة بحيث يعمل الملك في الوقت المحدد ما يفرضه القانون عليه ، وهكذا كان الملوك يلتزمون جادة العدل إزاء رعاياهم » (مهران ١٩٨٤ : ٢٢٨) .

وكان سن القوانين من اختصاص الملك والوزراء والكهنة العظام في السابق . أما في عهد الدولة الحديثة فقد كانت من اختصاص الملك وحده ، وكان الملك يصدر القوانين على شكل مراسيم قوانين جديدة أو يبطل فيها قوانين من سبقه من الملوك .

أما المجالس القضائية فكانت دائماً تحت إشراف الوزير ويقع على قمة الهيكل القضائي وكان يسمى الوزير كبير القضاة ويضع هذا اللقب في مقدمة ألقابه الكثيرة ، أما القاضي فكان يسمى (زاب) وهناك الكاتب القضائي (زاب ش) ومدير الإدارة القضائية (زاب إيمي ش) وكاتب الشكاوى (شس سبرو) . وكان الوزير يرأس (البيوت

الستة العليا) وهي المحكمة العليا المكونة من ست دوائر يرأس كل دائرة قضائية قاضي قضاة (فم نحن) .

إن هذا الهيكل القضائي المركب يعطينا الانطباع برسوخ التشريع المصري ووجود القوانين بل والدساتير القانونية الكثيرة .

وهناك مظاهر عديدة تدل على وجود هذا التشريع منها :

١- يظهر الكثير من الصور الخاصة بالمحاكمات القضائية وجود الملفات البردية والجلدية أمام القاضي تدل على أنها نصوص القوانين والشرائع .

٢- إن النصوص الجنائية تشير إلى وجود قانون متقدم تتمثل في وصايا وعقود وهبات وغير ذلك مما يتصل بنظام الملكية والحقوق العينية .

٣- هناك الكثير من القضايا والحالات القانونية المدونة ضمن النصوص والقصاص والدوريات التاريخية لامجال لذكرها الآن .

٤- ماذكره (ديودرو) من بعض نصوص القانون الجنائي المصري ، ومنها الحكم بالإعدام على شاهد الزور وعلى من يمتنع عن تقديم العون لمن يتعرض للموت وهو قادر على إنقاذه ، وعلى من يزور في البيان الذي يقدمه للسلطات الحكومية عن مصدر دخله أو يكون دخله من مصدر حرام ، وعلى من يقتل إنساناً ، حرّاً كان أم عبداً ، والحكم بالجلد بالسياط والحرمان بنفس العقوبة على من يتهم بريئاً بجريمة لم يرتكبها ، والحكم على الآباء والامهات الذين يقتلون أبناءهم أمام الناس ، أما من يقتل أحد والديه أو كليهما فعاقبته قطعاً أجزاء من جسده بالتدرج ثم حرقه حياً فوق الأشواك . وكانت الحوامل يؤجل تنفيذ الإعدام فيهن حتى يضعن حملهن . وكان الحكم بقطع اليدين على كل من ينش الكيل أو الميزان أو يزيف الاختام أو النقود أو يحرم من رجولته التي دفعته لهذا العمل الشائن أما عقوبة الزنى بغير إكراه فكانت ألف جلدة للزاني وجدة ألف الزانية حتى يتشوه وجه تلك المرأة ولا تعود تنوي به الرجال . (انظر مهران ١٩٨٤ : ٢٢٧) .

إن مثل هذه القوانين التي ذكرها ديودرو تؤكد لنا وجود شريعة مصرية راسخة ومفصلة .

أما الأعراف وهي القوانين الضمنية والسلوك الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري فقد كانت من القوة والتماسك بحيث أنها اعطتنا مثل هذا المجتمع العظيم الذي أبهر التاريخ بتماسك حضارته ودولته ، اذ ليس هنا دولة في التاريخ استمرت على مدى يقترب من ثلاثة آلاف سنة وحكمتها ثلاثون أسرة متصلة ، وكانت في أغلب عصورها على قدر من الرصانة والرسوم الاجتماعي مثل مصر ، وهذا يشير إلى الأعراف الأخلاقية الراسخة لها والروح الديني العميق فيها .

٤-الفقه المصري القديم

سنتناول في الفقه المصري القديم مارسخ من شرائع وأعراف تخص الأصول الشخصية ، وتحديد الأسرة وما يخص الزواج والطلاق والإرث والأبناء والزنى . الخ لنفهم العمق الديني والروحي للفقه المصري القديم .

إن من يطلع تفصيلاً على نصوص الحكمة المصرية يرى أن جميع الآباء الحكماء أوصوا أبناءهم بقواعد الزواج وحشوم على بناء أسرة مستقرة ، ومن نصائح الحكماء المصري أني لتلميذه (خونسو حبت) في عهد الملك (توت عنخ آمون) .

«تزوج حديث السن لثرى لك ولداً في ريعان شبابهك يكون سبباً في احترامك واجلالك وبرهاناً على صلاحك وتقواك» .

لا تهمل الترحم على والديك وتحرم لهما من أعمال الخير والبر أكثرها نفعاً وارجأها قبولاً ، ومتى قمت لهما بهذا الواجب قام به لك ولدك . اذا كانت زوجتك كاملة مدبرة فلا تعاملها بالخشونة والغلظة وراقب أطوارها لتكتشف أحوالها . ولا تسرع معها في الغضب لئلا تزرع الشقاق والنزاع في بيتك فتكون ثمرتها التنفيس فإن كثيراً من الناس يضعون أساس الخراب في بيوتهم لجهلهم حقوق المرأة (مطر ١٩٢٣ : ٢٦-٣٠) .

وكانت الأسرة المصرية تتعدى الزوج والزوجة والأبناء إلى الخالات والعمات وأم وأب الزوج أو الزوجة وهكذا .

وعرفنا كيف إن الزواج كان يقام بطقس ديني ووفق أعراف دقيقة ومفصلة أما ما شاع عن المصريين القدماء من الزواج بالأخت فغير دقيق لأن الزوجة كانت تسمى أختاً ، وربما سبب مثل هذا الإجراء (الذي مازال على أنواء الناس الشعبيين في مصر) مثل هذا اللبس الذي كرسه روايات الأغريق عن المصريين وبعض ما في ثنايا المثلولوجيا المصرية .

ونقول أن كل الأساطير في العالم القديم كانت تحتوي على زيجات بين الأخ واخته ، وإن هناك رواسب متبقية في هذه المجتمعات فيها هذا النوع من الزواج .

المسألة المهمة هي زواج الملوك من أخواتهم ، وكان هذا وارداً عند بعض الفراعنة لتأكيد صفاء الألوهية ولتقليل عدد المتطلعين إلى العرش (مهران ١٩٨٤ : ٥) .

أما النبلاء أو العامة في مصر فلا وجود لزواج الأخ بأخته عندهم . على امتداد مراحل الحضارة المصرية .

وكانت الأعراف المصرية تحت على نمط مثالي ومتوازن من العلاقات الزوجية ، ونجدنا النصوص عن مثل هذا التوازن كما في مثل هذا النص :

« اتخذتكَ زوجة حين الشباب ، واستقررت عندك

وما حدث أن تخليت عنك أو الحقتُ هماً بقلبك

وما أتاني إنسان بشأنكٍ وتقبلت منه شيئاً ضدك

وما أخفيتُ سرّاً عنك طيلة حياتك

وما أسأت إليك قط أو عاملتكِ معاملة السيد

وما هجرتكِ . . أو دخلت داراً غير دارك

وما جعلتُ أحداً يعينني على مسلكتي إزاءكِ» (صالح ١٩٦١ : ١٣)

ومجسدت الصورة المثالية للزوجة في شخصية الإلهة ايزيس فقد كانت مثلاً للزوجة المضحية والأم المثالية ، ورمزاً للوفاء والسماحة والرحمة والقوة والعناد والصبر في الوقت نفسه كما تحكي أسطورتها مع أوزيريس وصراعها مع ست .

وعرف المصريون تعدد الزوجات وإن كان الاستقرار بين الأزواج المصريين قد أدى إلى تقليله بينهم إلى حد معقول ، وذلك على الرغم من أنه كان مشروعاً لديهم ، وإن فريقاً من الفراعنة والأثرياء وأواسط الناس وطغاتهم أخذوا به وتقادوا فيه ، وإن بعض الزوجات ارتضينه وتسامحن فيه ، وأنه قد استمر طوال العصور الفرعونية (انظر مهران ١٩٨٤ : ١٧) .

أما الإرث فهناك ما يشير في الدولة القديمة إلى انتقاله إلى الأبناء أو الأخوة إن لم يكن هناك أبناء في الدولة الوسطى والحديثة أصبحت التركة تنتقل بصورة واضحة إلى جميع الأبناء ، دونما تفرقة بين الأبن الأكبر وبين غيره من الأخوة ، صغاراً كانوا أم كباراً ، ذكوراً أم إناثاً ، وأصبح للمرأة حق الإرث حتى في مال ابنها إبان حياة أبيه ، كما كان الأبن يرث في مال أمه فالإرث إذن تنتقل به الأموال من الأصول إلى الفروع ومن الفروع إلى الأصول (انظر المرجع السابق : ٢٨) .

وكانت الوصايا أيضاً تعتبر كأسانيد قانونية مهمة سواء كانت شفاهية أو مدونة ، أما الإرث فأحكامه شرعية عامة ومعروفة .

وكانت الشرائع المصرية القديمة تقضي بقتل الزوجة الزانية وذلك بحرقها حية وتذرية رمادها في الهواء ، ثم صار القانون يقضي بجذع أنفها فقط .

الفهارس

- ١- فهرس المراجع
- ٢- فهرس الجداول والمخططات
- ٣- فهرس الأشكال والصور
- ٤- فهرس المحتويات

١- فهرس المراجع:

المراجع العربية:

- ١- أبو بكر . د . عبد المنعم ١٩٦١ : إخناتون ، المكتبة الثقافية (٣٥) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة .
- ٢- اذنارد ، د . وجماعته ١٩٨٧ : قاموس الآلهة والأساطير ، ترجمة محمد وحيد خياطه ، مكتبة سومر ، حلب ، السليمانية .
- ٣- إرماني ، أدولف ١٩٩٥ : ديانة مصر القديمة ، ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر ، د . محمد أنور شكري ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .
- ٤- أسمان ، يان ١٩٩٦ : ماعت (مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية) ، ترجمة د . زكية طيوزادة ، د . علي شريف . دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة .
- ٥- إلياد ، ميرسيا ١٩٨٧ : أسطورة العود الأبدى ، ترجمة نهاد خياطه ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق .
- ٦- باقر ، طه ١٩٨٦ : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ حضارة وادي النيل) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .
- ٧- بدج ، السير والس ١٩٨٥ : الديانة الفرعونية (أفكار المصريين القدماء عن الحياة الاخرى) ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف ، دار منارات ، عمان) .
- ٨- بدج ، السير والس ١٩٨٨ : كتاب الموتى الفرعوني ، (برت إم هرو) عن بردية أني بالمتحف البريطاني ، ترجمة د . فيليب عطية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

- ٩- بذج ، السير والس ١٩٨٩ : الساكنون على النيل : ترجمة نوري محمد حسين مطبعة الديواني ، بغداد .
- ١٠- بذج ، السير والس ١٩٩٤ : آلهة المصريين : ترجمة محمد حسين يونس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .
- ١١- برستد ، جيمس هنري ١٩٢٩ : كتاب تاريخ مصر ، ترجمة الدكتور حسن كمال وزارة المعارف المصرية ، القاهرة .
- ١٢- برستد ، جيمس هنري ١٩٦٤ : إنتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخري ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة .
- ١٣- بيسيوني ، محمد عبد الحميد ١٩٨٤ : آداب السلوك عند المصريين القدماء . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المكتبة الثقافية (٣٨٢) القاهرة .
- ١٤- بوتيرو ، جان وجماعته ١٩٨٦ : الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، الفصل السادس أصول مصر لفيركوتر ، ترجمة د. عامر سليمان ، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل .
- ١٥- الحناوي ، كمال ب. ت. أساطير فرعونية : منشورات المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت .
- ١٦- خشيم ، علي فهمي ١٩٩٠ : آلهة مصر العربية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، دار الآفاق الجديدة ، مصراته ، الدار البيضاء .
- ١٧- الحنوري ، لطفي ١٩٩٠ : معجم الأساطير (الجزءان الأول والثاني) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .
- ١٨- دارول ، أركون ١٩٩٤ : الجمعيات السرية بين الأمس واليوم ، ترجمة أسيا الطريحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

- ١٩-دوماس ، فرانسوا ١٩٨٦ : آلهة مصر، ترجمة زكي سوس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة الألف كتاب الثاني، ١٠ القاهرة .
- ٢٠-ذريل ، عدنان بن ١٩٧٣ : التفسير الجدلي للأسطورة ، مطابع ألف باء ، الأدب ، دمشق .
- ٢١-رزقانه ، إبراهيم وجماعته ب.ت. : حضارة مصر والشرق القديم ، مكتبة مصر ، القاهرة .
- ٢٢-سبنسر ، أ.ج. ١٩٨٧ : الموتى وعالمهم في مصر القديمة ، ترجمة أحمد صليحة ، الألف كتاب الثاني ٣٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .
- ٢٣-سونيرون ، سيرج ١٩٩٤ : الكهان في مصر القديمة ، ترجمة عيسى طنوس ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق .
- ٢٤-شتيندورف ، ج. سيل ، ك. ١٩٩٠ : عندما حكمت مصر الشرق ، ترجمة محمد العزب موسى ، مكتبة مديبولي ، القاهرة .
- ٢٦-شكري ، د. محمد أنور ١٩٨٦ : العمارة في مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- ٢٧-صالح ، د. عبد العزيز ١٩٦١ : الأسرة في المجتمع المصري القديم ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المكتبة الثقافية ٤٤ ، القاهرة .
- ٢٨-عويس ، سيد ١٩٦٦ : الخلود في التراث الثقافي المصري ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .
- ٢٩-فرانكفورت هنري ١٩٥٩ : فجر الحضارة في الشرق الأدنى : ترجمة ميخائيل خوري ، مكتبة الحياة ومؤسسة فرانكلين ، بيروت .
- ٣٠-فرانكفورت ه.ه. وجماعته ١٩٨٠ : ما قبل الفلسفة : ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ٢ ، بيروت .

- ٣١- فريزر سير جيمس ١٩٧١ : الغصن الذهبي ، دراسة في السحر والدين ، ترجمة بإشراف د. أحمد أبو زيد ط ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- ٣٢- فليكوفسكي ، إيمانويل ب. ت. : أوديب واختاتون ، ترجمة فاروق فريد ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٣٣- كريم ، د. صموئيل نوح ١٩٧٤ : أساطير العالم القديم ، ترجمة د. أحمد عبد الحميد يوسف . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .
- ٣٤- كمال ، محرم ١٩٦٢ : الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المكتبة الثقافية ٧١ ، القاهرة .
- ٣٥- كورتل ، آرثر ١٩٩٣ : قاموس أساطير العالم القديم ، ترجمة سهى الطريحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
- ٣٦- لالويت ، كليز ١٩٩٦ : نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة (المجلد الأول والثاني) ترجمة ، ماهر جويجاني . دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع . ومطبوعات اليونسكو والمركز الفرنسي للثقافة والفنون ، القاهرة .
- ٣٧- مطر ، حنamina ١٩٢٣ ، : كنوز مصر الأثرية : رمواظ وحكم أني المصري . المطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة .
- ٣٨- مهران ، محمد بيومي ١٩٨٤ : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الحضارة المصرية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .
- ٣٩- مهران ، محمد بيومي ١٩٨٩ : الحضارة المصرية القديمة ج١ : الآداب والعلوم ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .
- ٤٠- الموسوعة المصرية (مجموعة مؤلفين) : تاريخ مصر القديمة وأثارها ، المجلد الأول ، ج١ وزارة الثقافة والإعلام ، القاهرة .

- ٤١-هوك، س. هـ. ١٩٨٧: ديانة بابل وأشور، ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- ٤٢-ويلز، هـ.ج: موجز تاريخ العالم: ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد سلسلة الألف كتاب، إدارة الثقافة العامة، القاهرة.

المؤلفون في (الموسوعة المصرية) الذين اقتبسنا منهم هم:

- ١-أ. د. أحمد فخري .
٢. أ. د. عبد المنعم أبو بكر .
٣. أ. د. محمد أنور شكري .
٤. أ. د. محمد جمال الدين مختار .
- ٥-أ. د. محرم كمال .
٦. د. أحمد عبد الحميد يوسف .
٧. أ. عبد العزيز فهمي صادق .
٨. د. سيد توفيق أحمد .

المراجع الأجنبية:

- 1-Budge ,sir Wallis: Bool of the dead. London 1977.
- 2-Budge ;Sir Wallis : Egyptian Magic .London. 1981.
- 3-Paulkner, R.O: The Egyptian Coffin Texts I-III Warminster .Aris and Philpis. 1937-6.
- 4-Lubicz, I.5: Her -Bak (Egyptian Initiate) Translated by Ronalld

Fraser .Hodder and Stoughton .London. 1967.

5-Mercer S. A.B. : The pyramid Texts in Translation and Commentary vols. New york. 1952.

6-Waddell , : Egyptian Civilization , its sumerian origin and chronology ,London. 1930.

7-Wilson .J.A: A Hymn to Amon -Re, ANET (Ancient Near East texts by James B. protchard ,1969.

٢-فهرس الجداول والمخططات:

١-ثقافات العصر الحجري الحديث (النيوليث) في مصر .

٢-ثقافات الكالكوليت المصري (عصر ما قبل السلالات) .

٣-الإصل السومري للكتابة الهيروغليفية المصرية .

٤-شجرة انساب الالهة المصرية .

٥-أقاليم الوجه البحري .

٦-أقاليم الوجه القبلي .

٧-الالهة الاساسية وجذورها الطوطمية .

٨-الثالوثات اللاهوتية للإنسان في الدين المصري .

٩-الروح والكون في اللاهوت المصري .

١٠- كتب الحكمة المصرية الأحد عشر .

٣- فهرس الأشكال والصور.

- ١- سكّين من الصوان بمقبض عاج عثر عليها في جبل الأراك (العراق) .
- ٢- طبعات أختام من بلاد ما بين النهرين (اليمن) وبنائيات مصرية من الأسرة الأولى (اليسار) .
- ٣- الأختام الأسطوانية العراقية والمصرية .
- ٤- سكّين صوانية ذات مقبض مذهب من جبل الطريف
- ٥- صلاية صيد الأسود .
- ٦- مراكب (أبلام) عراقية الطابع على مقبض سكّين جبل الأراك .
- ٧- الإلهتان الحارستان للجنوب والشمال .
- ٨- دبوس الملك العرب- متحف أشموليان .
- ٩- دبوس الملك نعرمر متحف أشموليان .
- ١٠- صلاية الملك نعرمر (الوجه والقفا) .
- ١١- صور الآلهة الثانويون الذكور .
- ١٢- صور الإلهات الثانويات الإناث .
- ١٣- صور الآلهة الأجنبية .
- ١٤- الثامون الهيلولي في خنمو (الاشمونين) .
- ١٥- الإله الخالق في أون (خبيرا ، رع ، أتم) .
- ١٦- الإله بتاح .
- ١٧- الثالوث الالهى لطيبة .
- ١٨- الإله آتون .

- ١٩-خنوم وساتيس .
- ٢٠-الإله نيت القواسه .
- ٢١-تاسوع عين شمس .
- ٢٢-الإله انبويس .
- ٢٣-بعض تاسوع منف .
- ٢٤-الإله خنوم يصنع الناس على دولا به الفخاري .
- ٢٥-الإله حتحور .
- ٢٦-أبناء وأشكال حور .
- ٢٧-قارب الشمس .
- ٢٨-ال شعبان أبيب (أبوفنيس) .
- ٢٩-ملك الدوات .
- ٣٠-الهة السماء (نوت) في هيئة بقرة وامرأة .
- ٣١-الإله ست وحيواناته .
- ٣٢-الإله اوزريس حيا وميتاً .
- ٣٣-ايزيس ، حورس في الاحراش .
- ٣٤-ايزيس ، حورس منتصباً .
- ٣٥-وظائف الملك وولادته الإلهية .
- ٣٦-كهنة مصريون .
- ٣٧-معابد ما قبل عصر الاسرات .
- ٣٨-معبد الإله خنتي امنتي في أيبندوس .

- ٣٩-معبد الشمس .
- ٤٠-معبد أوزيريس .
- ٤١-معابد الدولة الوسطى .
- ٤٢-حواقي الدولة الوسطى .
- ٤٣-المدخل بصواريه وأعلامه المتطايرة في الفضاء .
- ٤٤-تاج اسطون بردي يانع .
- ٤٥-معبد آمون رع في الكرنك .
- ٤٦-معبد ابوسنبيل العظيم .
- ٤٧-معبد آتون العظيم وهيكله .
- ٤٨-معبد حاتشيسوت وتحتوس الثالث في مدينة حابو .
- ٤٩-الإله يحتوي على جميع الإلهة .
- ٥٠-اوزيريس كإله لنيل في كهف وروحه على شجرة الغيضة المقدسة .
- ٥١-التيجان المصرية .
- ٥٢-رموز وعلامات الأقاليم المصرية .
- ٥٣-الإنسان وروحه .
- ٥٤-مقابر عصر ما قبل الأسرات .
- ٥٥-مقصورة مصلبة من الأسرة الثانية .
- ٥٦-مصطبه فرعون .
- ٥٧-المقاصير المنحوتة في الصخر .
- ٥٨-قطاع في غرفة دفن حرم هواة .

- ٥٩- حقل يارو .
- ٦٠- الحساب في الآخرة .
- ٦١- بعد الحساب :قاعة الحساب حيث اوزريس .
- ٦٢- اكل الموتى : الحيوان عمم أو يبيع .
- ٦٣- النار في الآخرة المصرية .
- ٦٤- طقوس الولادة .
- ٦٥- نختان الأطفال .
- ٦٦- طقوس البناء .
- ٦٧- مناظر التحنيط مقبرة امونوته .
- ٦٨- الآواني الكانوبية على شكل أبناء حورس .
- ٦٩- الرقص الديني الجنائزي .
- ٧٠- طقس الطواف .
- ٧١- التماثيل السحرية .

فهرس المحتويات

مقدمة : _____ ٧

الفصل الأول : مقدمة تاريخية

(تمهيد في التاريخ السياسي والديني لمصر القديمة)

- ١١- العصر الحجري الحديث (النيوليت) _____
١٢- العصر الحجري المعدني (الكالكوليت) - عصر ما قبل السلالات _____
٢٨- عصر المملكة القديمة : الأسرات (٦-١) _____
٣١- عصر المملكة الوسطى : الأسرات (١٧-٧) _____
٣٣- عصر المملكة الحديثة : الأسرات (٢٠-١٨) _____
٣٦- عصر الأنول : الأسرات (٣٠-٢١) _____
٣٧- العصر الكلاسيكي (اليوناني والروماني والبيزنطي) . _____

الفصل الثاني : الأساطير المصرية

(دراسة في أنساب وأساطير الآلهة المصرية القديمة)

- ٤٣- القسم الأول- شجرة أنساب الآلهة المصرية. _____
٤٨- ١- الآلهة الكونية _____
٤٩- ٢- آلهة الأقاليم _____
٥٤- ٣- الآلهة الثانوية _____
٦٧- ٤- الآلهة الأجنبية _____

- القسم الثاني: أساطير الخليفة (التكوين) ٦٩
- ١-التكوين الأول (الثامون الهيلي) ٧٠
- ٢-التكوين الثاني (الإله الخالق) ٧١
- ٣-التكوين الثالث (الكون والآلهة والبشر) ٨٢
- ٤-التكوين الرابع (ملك الآلهة حورس) ١٠٠
- القسم الثالث: أساطير (رع) ١٠٨
- أ-أساطير الشباب (رع القوي) الأساطير الدورية لرع ١٠٩
- ١-أسطورة الدورة الأبدية (زورق السماء) ١٠٩
- ٢-أسطورة الدورة النهارية (مقتل أبيب) ١١١
- ٣-أسطورة الدورة الليلية (الدوات) ١١٣
- ب-أساطير الشيخوخة (رع الضعيف) أساطير نهاية العصر الذهبي ١١٨
- ١-رع وتمرد البشر، والإلهة حتحور ١١٨
- ٢-رع وتمرد البشر .والإلهة نوت ١١٩
- ٣-رع وتمرد البشر .والآلهة ١٢٠
- ٤-رع وإيزيس ١٢٢
- القسم الرابع : أساطير أوزيريس ١٢٤

(دراما وأساطير أوزيريس وإيزيس وحورس وست في (٣٢) فقرة)

الفصل الثالث: اللاهوت المصري

(دراسة في المعتقدات والأفكار الدينية المصرية القديمة)

- أ- المؤسسة الدينية ١٣٩
- أ- المؤسسة الإلهية ١٣٩
- ب- المؤسسة الملكية (الفرعونية) ١٣٩
- ج- المؤسسة الكهنوتية ١٤٢
- د- المعابد المصرية ١٤٦
- ٢- عقائد الربوبية ١٦٣
- أ- الألوهية (نتر) ١٦٣
- ب- درجات التوحيد والتعدد ١٦٧
- ج- جذور الآلهة (الطبيعية والفتيشية والطوطمية) ١٧٣
- ٣- التشريح اللاهوتي للإنسان ١٨٢
- أ- ثلاث التكوين بعد الحياة ١٨٣
- ب- ثلاث القوى الحارسة للفرد أثناء حياته ١٨٣
- ج- ثلاث ما بعد الموت ١٨٤
- د- الثلاث الأبدى ١٨٥
- ٤- الاسكاتولوجيا المصرية والعقائد الجنائزية (عقائد ما بعد الموت) ١٩١
- الكتب والنصوص الجنائزية ١٩٣
- ١- عالم الجبنة (المقابر والمدافن المصرية) ١٩٥
- ١- الحفرة البسيطة ١٩٥
- ٢- المصطبة ١٩٦
- ٣- المقابر المنحوتة في الصخر ١٩٧

الدين المصري _____

- ٢٠٠ _____ ٤-المقبرة الهرمية (الأهرام)
٢٠٣ _____ ٥-المقاصير الجنائزية المبنية
٢٠٦ _____ ٢-عالم السماء (اللاهوت الجنائزي النجمي والشمسي والأوزيري)
٢١٢ _____ ٣-العالم السفلي (اللاهوت الأوزري: الحساب والجنة والنار)
٢١٢ _____ أ-مرحلة الحساب (محاكمة الميت)
٢١٦ _____ ب-مرحلة الجنة والنار
٢١٩ _____ ج-طريق الشمس في العالم السفلي

الفصل الرابع : الطقوس المصرية

(دراسة في الطقوس والشعائر المصرية القديمة)

- ٢٢٥ _____ الطقوس اليومية
٢٢٥ _____ ١-الصلاة
٢٢٥ _____ ٢-طقوس المعبد اليومية
٢٢٨ _____ ٣-التراتيل والأناشيد الدينية
٢٣٠ _____ ٤-القرابين
٢٣٣ _____ طقوس المناسبات
٢٣٣ _____ ١-طقوس الولادة
٢٣٦ _____ ٢-طقوس البناء
٢٣٨ _____ ٣-طقوس الزواج
٢٣٨ _____ ٤-طقوس الموت

| | |
|-----|--------------------------------------|
| ٢٤٤ | الحلقوس الدورية (الأعياد) |
| ٢٤٤ | ١- الأعياد الشهرية |
| ٢٤٦ | ٢- الأعياد الفصلية |
| ٢٤٦ | أ- أعياد الفصول الثلاثة |
| ٢٤٧ | ب- الطواف |
| ٢٥٠ | ٣- الأعياد السنوية |
| ٢٥١ | ٤- أعياد الملوك |
| ٢٥١ | أ- عيد الميلاد |
| ٢٥١ | ب- عيد التتويج |
| ٢٥٣ | ج- العيد الثلاثيني (عيد سد) |
| ٢٥٥ | ٥- أعياد الآلهة |
| ٢٥٦ | أ- الأعياد الأوزيرية في أبيدوس |
| ٢٥٧ | ب- عيد أوبت (أمون) |
| ٢٥٨ | الحلقوس السرية: |
| ٢٥٩ | ١- طقوس التنشئة (طقوس تلقين الأسرار) |
| ٢٦٤ | ٢- السحر |
| ٢٧٠ | ٣- العرافة |
| ٢٧٢ | ٤- التنجيم |
| ٢٧٤ | ٥- تفسير الأحلام |

الفصل الخامس : الاخلاق والشرائع

(دراسة في المكونات الثانوية للدين المصري القديم)

- ٢٧٩ ————— ١-ماعت: نظام وعدالة الكون والملك والمجتمع
- ٢٨٠ ————— أ- البعد المثلولوجي للماعت
- ٢٨١ ————— ب-البعد الكوني للماعت
- ٢٨٢ ————— ج-البعد الاسكانولوجي للماعت
- ٢٨٤ ————— د-البعد السياسي للماعت
- ٢٨٦ ————— هـ-الماعت : الصيرورة ، الروح القدس
- ٢٨٧ ————— و-ال(مي) السومرية وال(ماعت) المصرية
- ٢٨٩ ————— ٢-الحكمة والأخلاق المكتسبة
- ٢٩٤ ————— ٣-الشرائع المصرية (الأعراف والقوانين)
- ٢٩٦ ————— ٤-الفقه المصري القديم

الفهارس

- ٣٠١ ————— ١-فهرس المراجع
- ٣٠٦ ————— ٢-فهرس الجداول والمخططات
- ٣٠٧ ————— ٣-فهرس الأشكال والصور
- ٣١١ ————— ٤-فهرس المحتويات

صدر للمؤلف

في حفل المثلولوجيا والأديان القديمة.

١- سفر سومر/بغداد ١٩٩٠ .

٢- حكايات سومرية /بغداد ١٩٩٥ .

٣- مثلولوجيا الأردن القديم /عمان ١٩٩٧ .

٤- أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ/عمان ١٩٩٧ .

٥- جذور الديانة المندائية /بغداد ١٩٩٧ .

٦- يخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين) عمان ١٩٩٨ .

٧- الدين السومري/عمان ١٩٩٨ .

في حفل الشعر :

١- يقظة دلون/بغداد ١٩٨٠ .

٢- أناشيد اسرافيل/بغداد ١٩٨٤ .

٣- خزائيل /بغداد ١٩٨٩ .

٤- عكازة رامبو/بغداد ١٩٩٣ .

٥- فيزياء مضادة /بغداد ١٩٩٧ .

في حفل المسرح (المسرحيات المعروضة)

١- عزلة في الكريستال ١٩٩٠ .

٢- حفلة اللباس ١٩٩١ .

٣- هاملت بلا هاملت ١٩٩٢ .

٤- قمر من دم ١٩٩٢ .

- ٥- الغراب ١٩٩٢ .
- ٦- مسرحيات قصيرة جداً ١٩٩٣ .
- ٧- تموز في الأعلى ١٩٩٣ .
- ٨- قيامة شهرزاد ١٩٩٤ .
- ٩- نزول عشتار الى ملجأ العامرية ١٩٩٤ .
- ١٠- أكتو (الليالي البابلية) ١٩٩٥ .
- ١١- مفتح بغداد ١٩٩٦ .
- ١٢- أينما ١٩٩٧ .

هذا الكتاب

يسلم الضوء، بمنهج علمي ورؤية بحثية عميقة، على المكونات الرئيسة للدين المصري القديم والتي تشمل الأساطير واللاهوت والطقوس، والمكونات الثانوية التي تشمل الأخلاق والشرائع.

ورغم أن موضوع الكتاب قد بُحث في المؤلفات العربية والأجنبية إلا أن ميزة هذا الكتاب هي طريقة تقديمه وتبويبها لعناصر الدين المصري، إذ يستلم القارئ الممنم والمتخصص الدقيق، إيجاد ما يشبع فضولهما وعطشهما الروحي لأعرق وأعمق صفحات التاريخ الروحي القديم على الإطلاق، حيث يرى المؤلف أن الدين المصري كان الأندر والأخصب والأعظم بين أديان العالم القديم قاصبة.

الناشر

Bibliotheca Alexandrina



0261537



ISBN 9957 - 00 - 040 - 3 (ردمك)